

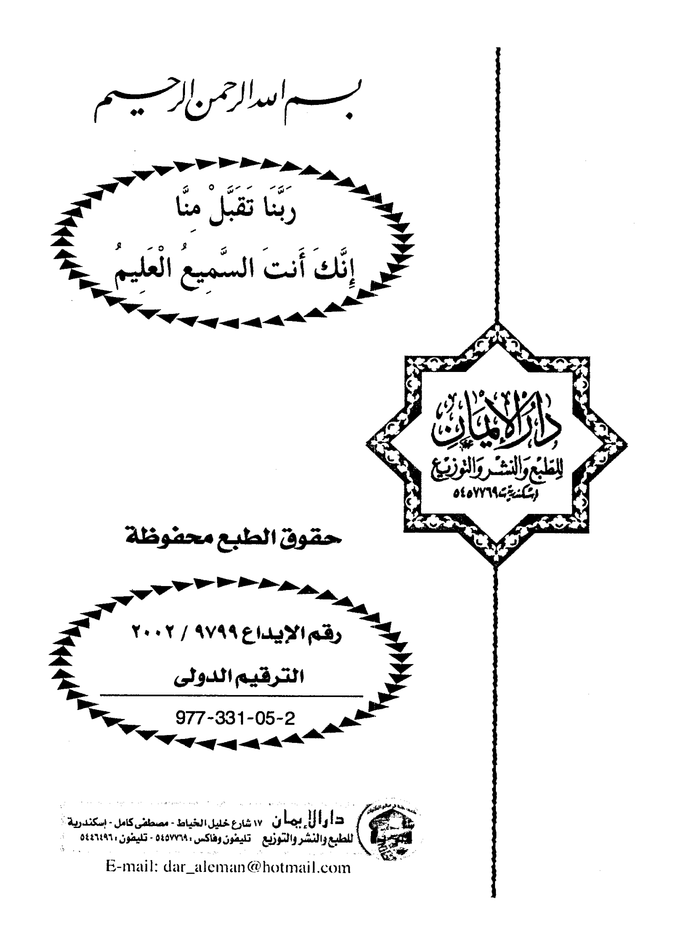
تأليف الشيخ الإمام

تقي الدين أبي إسحق إبراهيم بن العلامة أبي عبد الله
ابن محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي

خرج أحاديثه وعلق عليه

أبي عبد الرحمن القاطوني ياسر بن محمد بن عريف آل أبو مير




بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع ٩٧٩٩ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى
977-331-05-2

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مصائب الإنسان
من
مكائد الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الرباني ، إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر وقريع الدهر ، شيخ الإسلام ، بركه الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد وأوحد العباد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين ، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام أبي عبد الله بن مفلح المقدسي الحنبلي قدس الله روحه ونور ضريحه ، آمين يا رب العالمين :

الحمد لله العزيز الحكيم الذي قضى ، فأسقم الصحيح وعافى السقيم ، قسَّم عباده إلى قسمين : طائع وأثيم ، وجعل مآلهم إلى دارين : دار النعيم ودار الجحيم ، فمنهم من عصمه من الخطايا ، فكأنه في حريم ، ومنهم من قضى عليه أن يبقى على الذنوب ويقيم ، ومنهم من تردد بين الأمرين والعمل للخواتيم . خرج موسى راعيًا فعاد وهو كليم ، وذهب ذو النون مغاضبًا فالتقمه الحوت وهو مليم ، وكان محمد ﷺ يتيمًا فصار الكون لذلك اليتيم وعصى آدم عليه السلام وإبليس ، فهذا مرحوم وهذا رجيم ، فإذا سمعت نبيل الممالك أو رأيت وقوع المهالك ، فقل : ذلك تقدير العزيز العليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، وهو العليم الحكيم ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أخذ له الميثاق على الأنبياء وبشر عيسى بفضائله وقال : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ رؤوف رحيم وبه توسل آدم عليه السلام[1] .

---

(١) لعله يشير إلى هذه القصة المكذوبة عن الإمام مالك رحمه الله ، قال ابن حميد : ناظر=

. . . .

= أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله أدب قومًا فقال :
﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية ، ومدح الله قومًا فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، وذم قومًا فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية . وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا ، فاستكان لها أبو جعفر فقال : يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة وأدعو ؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله ، واستشفع به فيشفعك الله .
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»(١/٢٢٨) : «وهذه الحكاية منقطعة لم يدرك مالكًا ...وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث ، كذبه أبو زرعة ، وابن وارة ، وقال صالح بن محمد الأسدي : ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه . وقال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير، وقال النسائي : ليس بثقة ...
مع أن قوله «هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ...» إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة ، وهذا التوسل بشفاعته يوم القيامة ، وهذا حق كما جاءت به الأحاديث الصحيحة حين تأتي الناس يوم القيامة آدم ليشفع لهم ، فيردهم آدم إلى نوح ، ثم يردهم نوح إلى ... ولكنها مناقضة لمذهب مالك المعروف من وجوه :
أحدها : قوله : أستقبل القبلة ، وأدعوا أم أستقبل رسول الله وأدعو ؟ فقال : «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم» فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ، ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده ، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه بل إنما يستقبل القبر عند السلام على النبي ﷺ والدعاء له . هذا قول أكثر العلماء كمالك في إحدى الروايتين ، والشافعي وأحمد وغيره إلخ كلامه .
وقال في موضع آخر(١/٢٠٢) فلفظ التوسل يراد به ثلاث معان :
أحدها : التوسل بطاعته ، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به .
الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .
الثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلون في الإستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا في بعد مماته ، لا عند قبره ولا غيره قبره ، ولا يعرف هذا في شئ من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شئ من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ، أو عن من ليس قوله حجة» =

وقد أسجد له من أسجد من كل ملك كريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما الطريق القويم ، وما لاح برق أو هب نسيم .

أما بعد :

فإن السعادة كل السعادة في تقوى الله ، والشقاء كل الشقاء فعل الذنوب ومعصية الله ، فإنه جاء عن علي رضي الله عنه من جواهر الكلام : «العبد لا يرجوا إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، وما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة».

ذكر البيهقي عن علي بن أبي طالب قال : «خمس لو سافر فيهن رجل إلى اليمن كنَّ له عوضًا عن سفره لا يخشى عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا لم يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد» .

قال البيهقي : قال علي بن أبي طالب : «ما أحلاها وأبردها على الكبد يكررها ثلاثًا . قالوا : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يسئل الرجل عما لا يعلم فيقول: الله أعلم» .

وقال ابن عباس : إن للحسنة لنورًا في القلب ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لسوادًا في القلب ، وظلمة في الوجه ، وضيقًا في الرزق ، ووهنًا في البدن ، وبغضًا في قلوب الخلق . انتهى .

= أهـ كلامه .
قلت : التوسل المشروع يكون بثلاث :
١- التوسل بأسمائه تعالى وصفاته .
٢- التوسل بدعاء الصالحين .
٣- التوسل بالأعمال الصالحة .
وانظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وكل مؤمن يجد ذلك من نفسه على قدر حاله .

قال الحسن : لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه .

قال سميط بن عجلان : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب ، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ، ثم راجع بتوبة فهذا صاحب يمين ، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ، ثم أبذل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب شمال ، فقلت : يا نفس تداركي أمرك قبل مغيب شمس الحياة ، واقلعي عما أنت فيه من الرياء والركون إلى الدنيا وطلبها ومحبتها ، واقصدي بما أنت فيه وجه الله ، وأكثري من العمل بما علمت فإنه من عمل بما عمل أورثه الله علم ما لم يعلم والعلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية .

وبينا أنا في ذلك إذ أرسل إلينا بعض قضاة حلب في قضية حادثة تتضمن أن شخصًا شريفًا وقع منه أمور تقدح في الإيمان ، وتوجب الكفر بالرحمن ، فقلت : لا إله إلا الله إن الشيطان لبني آدم بالمرصاد ، وكنت إذ ذاك أتكلم على قوله تعالى : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [١]. لعنه الله . قالوا : من كل ألف واحد لله وتسعمائة وتسعة وتسعون للشيطان . ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ [٢]. فأخذت بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وفي بيان وسوسته وخدعه وكشف أموره لينتفع بها إخواني ، كما انتفعت وأحببت أن أظهر أمره وأشرحه ، فإنه عدو مشاهد فيحذره المؤمن ، وأن أكتب لك ما أقدرني الله تعالى عليه أعاذنا الله منه بمنه وكرمه ، ورتبت الكلام في ذلك على فصول :

---

(١) سورة النساء الآية : ١١٧ .
(٢) سورة النساء الآيتان : ١١٨-١١٩ .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٨ .

***

الفصل الأول

في الاستعاذة وأحكامها

تعريف كلمة الاستعاذة :

قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾[١]. وقال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾[٢].

الاستعاذة : استدعاء عصمة الله سبحانه من الشيطان ، وأصل أعوذ. أعوذ بضم الواو على وزن : أدخل وأقفل ، فنقلت حركة عين الكلمة إلى فائها ، فسكنت كما سكنت في الماضي .

وقيل : استثقلت الضمة على الواو وصارت إلى الألف ، فهذا الإعلال لأجل أن يشاكل المضارع الماضي . وقيل : استثقلت الضمة على الواو ، فنقلت إلى العين والإعلال فيه أصلي بنفسه وهذا غير مستقيم؛ لأن الحركة في حرف اللين لا تستثقل إذا سكِّن ما قبلها ، وإنما هذا الإعلال لأجل أن يشاكل المضارع الماضي .

قوله : ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فتح النون لالتقاء الساكنين والأفصح في (من) إذا دخل على لام التعريف نحو مِنَ الرجل ؟ فتح النون ، وقد تكسر وهو غير فصيح ، فإن دخل (من) على اسم في أوله همزة وصل نحو : مِنِ ابنك ؟ كسرت النون ، وقد تفتح وهو غير فصيح ، والفرق أن استعمال (من) مع لام التعريف نحو : من الرجل ؟ كثير جدًا ، والفتح أخف إذ لو كسر

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٨ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩٧-٩٨ .

لاجتمع كسر ثانٍ ، كما قالوا : كيف وأين ففتحوا كراهية اجتماع ياء وكسرة ، وأما نحو : من ابنك ؟ فقليل إذ ما فيه همزة الوصل قليل بالنسبة إلى ما فيه لام التعريف نحو : من إله ؟، وأما من قال : من ابنك ؟ فلفرط حرصه على ما هو أخف ، فإن قيل : عنِ الرجل بالكسر وما الفرق بين من وعن ؟ قلت : الفرق أن العين لم تكن مكسورة كما كانت الميم في (من) فلما لم يكن كذلك ثبت على الكسر الذي هو الأصل .

فصل

في معنى كلمة الشيطان في اللغة

الشيطان : واحد الشياطين على التكثير والنون أصلية لأنه مشتق من شطن إذا بعد عن الخير ، وشطنت داري أي بعدت . قال الشاعر :

نأت بسعاد عنْك نوًى شُطُون فبانَتْ والفؤاد بها رهينُ

وبئر شطون أي : بعيدة القعر سمي بذلك لبعده من الصلاح والخير ، وقيل : إن شيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا بطل ، فالنون زائدة . وشاط إذا احترق ، واشتاط الرجل إذا احتد غيظًا ، واشتاط إذا هلك ، قال الأعشى شعر :

قَد تَطْعَنُ العِيرُ في أكنان قائلة وقدْ يَشيطُ على أرماحِنَا البَطَلُ

أي يهلك .

وهذا القول فيه نظر من وجهين :أحدهما : أن سيبويه حكى أن العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين ، فهذا يبين أنه تفعيل من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط . قال أمية بن الصلت شعر :

أيُّما شاطنٍ عَصاه عُكاه ورماهُ في السِّجن والأغلالِ

فهذا شاطن من شطن لاشك فيه ، فعلى القول الأول النون فيه أصلية ،

ووزنه فيعال .

وعلى القول الثاني النون في وزنه فعلان ، فإن جعلته فيعالا صرفته ، وإن جعلته فعلانًا لم تصرفه للتعريف والألف والنون الزائدتين ، كسعدان ، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان .

فصل

في تعريف كلمة الرجيم

الرجيم : فعيل بمعنى مفعول . أي : مرجوم وصف بذلك لأنه يرجم بالنجوم عن استراقه للسمع . قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[(١)] . يعني الكواكب ، وقيل : لأنه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة ، وقيل : فعيل بمعنى فاعل . أي : يرجم غيره بالإغواء .

والاستعاذة في كلام العرب : الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه . يقال : عذت بفلان واستعذت به ، أي : لجأت إليه وهو عياذي أي ملجأي ، فالعوذ : الالتجاء إلى الغير والتعلق به ، فالعياذ لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير ، كما قال المتنبي :

يا مَنْ ألوذُ به فيما أؤمِّله ومَنْ أعوذ به فيما أُحَاذرُه

لايجبرُ الناس عظْمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظْمًا أنت جابرُه

ونفس الاستعاذة تارة تقع من نفس ما لم يكن بعد ، وتارة من موجود له شر مستقبل ، فالأول :كقوله : **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»**[(٢)] .

(١) سورة الملك ، الآية : ٥ .

(٢) عن أنس بن مالك قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ ، إذا نزل منزلًا ، فكنت أسمعه كثيرًا ما يقول : **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال»**. رواه البخاري : (٢٧٣٦) ، (٥١٠٩) ،=

والثاني : كقوله : «**أعوذُ بالله منَ الشّيطانِ الرجيم**» . وقوله ﷺ : «**أعُوذُ بالله من شُرور أنفُسنا ومن سيّئات أعمالنا**»[1] .فيحتمل هذا وهذا ، لكن الأظهر أنه من المعدوم تعوذ من شر نفسه الذي لم يقع وسيئات عمله . أي عقوبات عمله ، وهذا تعوذ من نوع الشر .

فصل

(من) هنا لابتداء الغاية وإن لم تحسن في (مقابلتها') إلى على ما ذكره ابن الحاجب ، وابن مالك لأن ابتداء الاستعاذة من الشيطان مع قطع النظر عن الانتهاء ، فإن القصد امتداد الاستعاذة ودوامها .

فإن قيل : لِمَ اتصلت (من) هنا بالله واتصلت في موضع آخر برب . قال

= (٦٠٠٢) ، الترمذي : (٣٤٨٤) ، النسائي في «الكبرى» (٤/٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤) برقم (٧٨٨٤) ، (٧٨٨٥) ، (٧٨٩٠) ، وفي «المجتبى» (٨/٢٥٨) ، أحمد (٣/٢٢٠ ، ٢٢٦) ، عبد بن حميد في «مسنده» (١٣٩٧) ، والطبراني في «الأوسط» (١/٤٧) ، (٢٤٢٥) .

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود (١٠٩٧) (٢١١٨) ، الترمذي (١١٠٥) ، النسائي «الكبرى» (١/٥٢٩) (١٧٠٩) (٣/٣٢١) (٥٥٢٧) ، وفي «المجتبى» (٣/١٠٤) (٦/٨٩) وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨) ابن ماجه (١٨٩٢) (١٨٩٣) ، الدارمي (٢/١٩١) (٢٢٠٢) ، أحمد (١/٣١٢ ، ٣٣٢ ، ٣٩٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/١٥٠) (٥٢٣٣) (٩/١٦٨) (٥٢٥٧) (١٣/١٨٦) (٧٢٢١) ، الطيالسي (٣٣٨) ، عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤٤٩) (١٠٤٥٠) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/٣٤) ، «الجامع» لمعمر بن راشد (١١/١٦٢) ، الشافعي في «مسنده» (١/٦٧) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/١١٤) (٢٥٥) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/٤٥٥) (١٩٥٣) ، اللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/٦٥٨) (١١٩٣) ، الطبراني في «الكبير» (٨/٣٠٤) (٨١٤٧) ، وفي «الأوسط» (٣/٧٤) (٢٥٣٠) ، ابن الجارود في «المنتقى» (٦٧٩) ، الحاكم في «المستدرك» (٢/١٩٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٣/٢١٤ ، ٢١٥) ، الحارث ابن أبي أسامة في «مسنده» (١/٣١٠) (٢٠٥) ، وخطبة الحاجة رواها مسلم (٨٦٧) لكن ليس فيها «أعوذ بالله من شرور أنفسنا» .

تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾(١) ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾(٢) .

قلنا : لأن التعوذ هنا لقراءة القرآن ، وفي قوله هناك : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ لحفظ النفس والبدن من السحر والعين ، والأول أهم ؛ لأن الشيطان يبالغ في منع العبادة أشد منه في إيصال الضرر ومن ثم كان : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٣) . أبلغ من : ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٤) .

فصل

في عداوة الشيطان لابن آدم

(الألف واللام) في الشيطان يحتمل أن تكون للعهد . أي الشيطان المعهود الذي هو عدونا وعدو أبينا : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٥) . لأن المعاصي برضا الشيطان والراضي كالفاعل ، وإن استبعدت ذلك فاعرفه بمسألة شرعية ، فإن قراءة الإمام قراءة المقتدي عند الأكثرين من حيث إنه رضي بها ، وسكت خلفه ، وتحتمل أن تكون للعموم ، لأن الشياطين كثيرة مرئية وغير مرئية ، وتشمل الاستعاذة بالله من شياطين الإنس وشياطين الجن ، بل وتشمل الاستعاذة استعاذة الإنسان من شر نفسه ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾(٦) .

وفي هذه الآية ثلاثة أقوال :

---

(١) سورة الفلق ، الآية : ١ .
(٢) سورة الناس ، الآية : ١ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .
(٤) سورة الشعراء ، الآية : ٦٢ .
(٥) سورة فاطر ، الآية : ٣٥ .
(٦) سورة الناس ، الآيات : ٤ - ٦ .

أحدها :

أن المعنى من شر الموسوس في صدور الناس جنهم وإنسهم ، فسمى الجن ههنا ناسًا ، كما سماهم رجالًا قاله الفراء ، فيكون الوسواس موسوسًا للجن ، كما يوسوس للإنس ، فيكون الجار والمجرور في قوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ حالًا أي كائنًا من القبيلتين ، ومن الجنة للتبعيض ، وأجاز الزمخشري أن يكون لابتداء الغاية ، أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس .

وهذا القول ضعيف إذ لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدور الجن ، ويدخل فيه كما يدخل في الناس ، ثم فيه تبيين للناس بالناس ، والجن لا يطلق عليهم ناس لأنه مأخوذ من الاستتار ، وأما الناس فبينه وبين الإنس مناسبة ، والإنسان مشتق من الاستئناس وهو الرؤية والإحساس ، ومنه قوله : ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾[1] .أي : رآها ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي أحسستموه ورأيتموه ، وأما الناس فالصحيح أنه من تونَّس وهو الحركة الشائعة ، فيسمى الناس ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة ، «كما يسمى الرجل حارث وهمام وهما أصدق الأسماء»[2]. لأن

(١) سورة القصص ، الآية : ٢٩ .

(٢) حديث منكر : رواه أبو داود (٤٩٥٠) ، أحمد (٣٤٥/٤) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١٣/١٣) (٧١٦٩) ، البخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤) ، وفي «التاريخ الكبير» (٧٨/٩) ، ابن عدي في «الكامل» (٢٨٢/١) ، البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٣٤) ، الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٨٠) (٧١٦٩) . من طريق هشام بن سعيد الطالقاني أخبرنا محمد بن المهاجر الأنصاري حدثني عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة . . .فذكره مرفوعًا .

قلت : وعقيل بن شبيب هذا لا يدرى من هو . ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن القطان : مجهول ، وقال ابن حاتم : مجهول لا أعرفه ، وقال الذهبي : لا يعرف هو ولا الصحابي إلا بهذا الحديث ، وهذا الحديث معلول .

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٤٢٤) : «وذكر هذا الحديث فسمعت أبي يقول: =

كل واحد له هم وإرادة هي مبتدأ حرث وعمل هو منتهى وكل أحد هو حارث وهمام ، وهما حركة الظاهر والباطن .

والقول الثاني :

أن المعني من الموسوس في صدور الناس من الجن ومن شر الإنس مطلقًا قاله الزجاج ، ولم يذكر ابن الجوزي وجماعة غير هذين .

= أبو وهب الجشمي هذا ليست له صحبة هو أبو وهب الذي يروي عن مكحول اسمه عبيد الله بن عبيد الكلاعي الشامي روى عنه يحيى بن حمزة ، ومحمد بن مهاجر وإسماعيل بن عياش ، وصدقه ابن خالد ، روى هذا الحديث إسماعيل بن عياش عن أبي وهب عن مكحول قال : بلغنا أن النبي ﷺ قال . . . وأدخل أبي هذا الحديث في الوحدان وأخبر بعلته» أهـ ، وقال أيضًا في «العلل» (٢/ ٣١٢) (٢٤٥١) : «قال أبي : سمعت هذا الحديث من فضل الأعرج وفاتني من أحمد وأنكرته في نفسي وكان يقع في قلبي أنه أبو وهب الكلاعي صاحب مكحول وكان أصحابنا يستغربون فلا يمكنني أن أقول شيئًا لما رواه أحمد ثم قدمت حمص فإذا قد حدثنا ابن المصفى عن أبي المغيرة ، قال حدثني محمد بن المهاجر حدثني عقيل بن سعيد عن أبي وهب الكلاعي قال : قال النبي ﷺ . . . قال أبي فعلمت أن ذلك باطل وعلمت أن إنكاري كان صحيحًا وأبو وهب هو الكلاعي صاحب مكحول الذي يروي عن مكحول واسمه عبيد الله وهو دون التابعين يروي عن التابعين وضربه مثل الأوزاعي ونحوه ، وبقيت متعجبًا من أحمد بن حنبل كيف خفي عليه فإني أنكرته حين سمعت به قبل أن أقف عليه قلت لأبي: هو عقيل بن سعيد أو عقيل ابن شبيب؟ قال : مجهول لا أعرفه» اهـ .

وقد روى نحوه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٠٦) عن ابن عمر مرفوعًا وفي إسناده فرج ابن فضالة قال البخاري منكر الحديث .

وابن عدي في الكامل (١/ ٢٣٠) عن أبي هريرة مرفوعًا وفي إسناده إبراهيم بن الفضل المدني : قال يحيى بن معين ضعيف الحديث لا يكتب حديثه ، وقال مرة : ليس بشئ ، وقال البخاري والنسائي : منكر الحديث .

والقول الثاني :

وهو الصحيح ، فهو حال من الضمير في يوسوس ، والمعنى : الاستعاذة من شر الموسوس من الجنة والناس في صدور الناس ، فأمر بالاستعاذة من شر شياطين الجن والإنس . إن قوله بيان الذي يوسوس وأنهم نوعان : إنسي وجني ، والوسوسة : هي الإلقاء الخفي في القلب ، وهذا مشترك بين الجن والإنس ، فعلى هذا : الموسوس في صدورهم قسمان : إنسي وجني ، فالوسواس موسوس للجني كما يوسوس للإنسي كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١) ، وقال تعالى عن المنافقين : ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (٢) . والمراد هنا شياطين الإنس بإجماع المفسرين . وقال النبي ﷺ لأبي ذر : «**يا أبا ذر! «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن»** فقال : يا رسول الله ! أوَ للإنس شياطين ؟ فقال : «**نعم . شر من شياطين الجن**»(٣) .رواه الإمام أحمد ، وابن حبان في صحيحه . فأمر سبحانه بالاستعاذة من شر الوسواس من الجنّة والناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ويدخل في ذلك وسوسة نفس الإنسان له ووسوسة غيره له .

وهذا القول اختاره الحكيم الترمذي ، والشيخ تقي الدين في كتاب «الرد

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤ .
(٣) رواه أحمد (٥/ ١٧٨، ١٧٩، ٢٦٥) ، البزار (٤٠٣٤) ، وقال : «وهذا الكلام لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أبي ذر وعبيد بن الخشخاش لانعلم روى عن أبي ذر إلا هذا الحديث» ، النسائي (٤/ ٢٦١) (٧٩٤٤) في «الكبرى» ، وفي «المجتبى» (٨/ ٢٧٥) ، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥) عن قتادة مرسلًا ، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٥٧٩) عن قتادة عن أبي ذر مرفوعًا ، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٥٨) (٧٨٧١) ، الطيالسي (٤٧٨) ، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٥٩١) : «رواه أحمد والطبراني ومداره على علي ابن يزيد وهو ضعيف» . وقال في (١/ ١٦٠) : «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وعند النسائي طرف منه وفيه المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط » .

على الرافضة»[١].

فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾[٢]. أمر سبحانه وتعالى أن يحترز من شر شياطين الإنس بدفع إساءتهم إليه ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ، وأن يدفع شر شياطين الجن بالاستعاذة منهم كما قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٣]. فأمر بدفع شر الجاهلين بالإعراض عنهم ، ثم أمره بدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه ، فقال : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[٤]. ونظير ذلك في فصلت : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٥]. فهذا الدفع لشيطان الإنس ، ثم قال : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[٦].

قلنا : شياطين الإنس للإنسان في الاحتراز منهم طريقان :

أحدهما : التباعد عنهم وعدم الاجتماع بهم والأنس بهم ، فإن شيطان الإنس إنما يغوي إذا لاذ به الإنسان وصاحبه حتى صار من إخوانه ، كما قال ﷺ : «**لا تصحبْ إلاَّ مؤمنًا ولا يأكل طعامَك إلاَّ تقي**»[٧].

---

(١) هو كتاب «منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية» لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩٦-٩٧ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٠ .
(٥) سورة فصلت ، الآية : ٣٤ .
(٦) سورة فصلت ، الآية : ٣٦ .
(٧) رواه أبو داود (٤٨٤٢) ، الترمذي (٢٣٩٥) (٢٣٩٩) ، الدارمي (١٠٣/٢) (٢٠٥٧) ، أحمد (٣٨/٣) ، الحاكم (١٢٨/٤) ، البغوي (٦٩/١٣) في «شرح السنة» وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» .

والثاني : الاستعاذة بالله فإنه إذا أغواه وزين له معصية ربه فاستعاذ بالله منه ، عصمه الله من تأثير وسوسته في قلبه وسلمه منه بحوله وقوته ، فإنه سميع عليم ، سميع باستعاذتك ، عليم باغواء شيطانك .

قال قتادة : ﴿الخناس﴾ له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان . فإذا ذكر العبد ربه خنس ، فالخناس : فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى ، وأصله الرجوع .

ومن وسوسته أيضًا أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ، ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه ، قال تعالى : ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾(١).

وقوله :﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ يعم كل شره ، ووصفه بأعظم صفاته ، وهي الوسوسة التي هي مبدأ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغًا ، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله ، ويصوره في نفسه ، ويشهيه فيصيره شهوة ، ويحسنها له فتصير إرادة ثم لا يزال يخيل ويشهي وينسي علمه بضررها ، فتصير الإرادة عزيمة جازمة ، فيبعث الجنود في الطلب ، فيبعث الشيطان معهم مددًا وأعوانًا ، فإن قروا حركهم وأزعجهم ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾(٢).

فصل

في شروع الاستعاذة

أجمع الناس على مشروعية الاستعاذة لقراءة القرآن . قال تعالى :﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾(٣). قال أكثر العلماء : إنها

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٣ .
(٢) سورة مريم ، الآية : ٨٣ .
(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٨ .

تشرع لإرادة القراءة . وقاله الأئمة الأربعة ، وغيرهم وقالوا في الآية : إذا أردت قراءة القرآن ، فاطلق اسم السبب على المسبب ، كما يقال : إذا دخلت على الأمير فتأهب ، فعبر عن إرادة الفعل بالفعل ، لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له ، فكما عبَّر عن عدم القدرة على الفعل بعدم الفعل في قولهم : الإنسان لا يطير ، والأعمى لا يبصر . أي : لا يقدر كذا عبر عن إرادة الفعل بالفعل ، لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة ، فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما وللإيجاز وهذا كقوله ﷺ : «**إذا توَضَّأ أحدكُم فلينستنثر**»[(١)]. وصح أنه ﷺ استنثر في أول وضوئه[(٢)]. وقال ﷺ : «**إذا أمَّنَ الإمامُ فأمِّنوا فإنَّه مَنْ وافَقَ تأمينه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبِه**»[(٣)]. أي أراد الإمام أن يؤمِّن .

---

(١) حديث صحيح ، البخاري (١٥٩) (١٦٠) ، مسلم (٢٣٧) (٢٣٨) ، أحمد (٢/ ٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٣٠٨ ، ٣٥٢) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٩) ، البغوي في (١/ ٤١٢) شرح السنة .

(٢) عن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمان بن عفان «دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه ، فغسلهما ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ثلاثًا ثم مسح برأسه ثم غسل كل رجل ثلاث ثم قال : رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا وقال : ...» الحديث . رواه مسلم (٢٢٦) ، أبو داود (١٠٦) ، النسائي في «المجتبى»(١/ ٦٤) ، أحمد (١/ ٥٨ ، ٥٩) ، ابن خزيمة (١٥٢) ، ابن حبان (١٠٥٨/إحسان) ، الدار قطني في «سننه» (١/ ٨٣) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٨٢) .

وعن عمرو بن أبي حسن أنه سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي ﷺ فدعا بتور فيه ماء فتوضأ لهم فكفأ على يديه فغسلهما ثلاثًا ثم أدخل يده في الإناء فمضمض واستنشق ثلاثًا بثلاث غرفات ... الحديث .

رواه البخاري (١٨٩) (١٩٦) ، مسلم (٢٣٦) ، أبو داود (١١٨) (١١٩) ، النسائي في «المجتبى» (١/ ٧١) ، ابن ماجه (٤٠٥) (٤٣٤) ، أحمد (٤/ ٣٩) ، مالك في «الموطأ» (٣٢) ، ابن خزيمة (١٧٣) ، ابن حبان (١٠٦٠ ، ١٠٨٤/إحسان) ، الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٤٩) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٨٥) .

(٣) حديث صحيح ، البخاري (٧٨٠ ، ٧٨٢) ، مسلم (٤١٠) ، أبو داود (٩٣٦) ، الترمذي (٢٥٠) ، ابن ماجه (٨٥٢) ، النسائي في «المجتبى» (٢/ ١٤٤) ، أحمد =

وفي الصحيح : أن النبي ﷺ قال : «**إذا قال الإمام** ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[(١)] . «**فقولوا : آمين**»[(٢)] . فإن الإمام إذا وصل في القراءة إلى قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يريد أن يؤمِّن ، فهو كاللفظ ، فليس في اللفظ حجة على أنَّ الإمام لا يؤمن .

وقالت طائفة : الاستعاذة بعد القراءة . ذكر ذلك عن أبي هريرة ، وابن سيرين ، والنخعي ، وقاله داود ، وخالفه ابن حزم في ذلك وقال : صح ابتداء القراء جيلًا بعد جيل على الابتداء بالتعوذ قبل القراءة ، وأخذ هؤلاء بظاهر الآية ، لأن الفاء للتعقيب وجعلها الأئمة هنا للحال نحو : إذا دخلت على الأمير فتأهب . وعن أبي هريرة أنه تعوذ بعد الفاتحة في الصلاة ، فقيل : لأنه نسيه قبلها ، وقيل لأجل ما يقرأ بعدها .

قال الشافعي في «مسنده» : «أخبرنا إبراهيم بن محمد ، عن ربيعة بن عثمان ، عن صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة ، وهو يؤم الناس رافعًا صوته : ربنا إنَّا نعوذ بك من الشيطان الرجيم . في المكتوبة إذا فرغ من أم القرآن[(٣)] .

والحديث نص في الاستعاذة قبل القراءة كما يأتي وللحكم في التعوذ قبل الشروع في قراءة القرآن وجوه :

= (٢/ ٢٣٨) ، مالك في «الموطأ» (٨٧) ، ابن خزيمة (٧٥٠) (١٥٨٣) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٢٤٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٥٥، ٥٧) .

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٧ .

(٢) حديث صحيح ، البخاري (٧٨٢، ٤٤٧٥) ، أبو داود (٩٣٥) ، النسائي في «المجتبى» (٢/ ١٤٤) ، الدارمي (١/ ٢٨٤) ، أحمد (٢/ ٢٧٠) ، مالك في «الموطأ» (٨٧) ، الدارقطني في «سننه» (١/ ٣٣١) ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٥٩) (٦٨٩١) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٥٥) ، البغوي في (٣/ ٦١) شرح السنة .

(٣) انظر مسند الشافعي (١/ ٣٥) ، «السنن الكبرى» للبيهقي (٢/ ٣٤) .

الوجه الأول :

أن القرآن شفاء لما في الصدور ، ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة ، فهو دواء لما أثره فيها الشيطان ، فأمر القارئ أن يطرد مادة الداء ، ويخلو منه القلب ليصادف الدواء محلًّا خاليًا فيؤثر فيه كما قيل :

أتاني هَواها قبل أنْ أعرفَ الهوى فَصَادفَ قَلْبًا خاليًا فتمكنًا

الوجه الثاني :

أن القرآن مادة الهدى والخير في القلب ، كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولًا فأولًا ، فكلما أحس نبات الخير في القلب سعى في إحراقه وإفساده ، فأمر أن يستعيذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصله بالقرآن .

والفرق بين هذا الوجه والذي قبله : أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن ، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها ، وكأن من قال الاستعاذة قبل القراءة لحفظ هذا المعنى .

الوجه الثالث :

أن الملائكة تدنو للقراءة وتسمعها كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ، ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح ، فقال النبي ﷺ : **«تلك الملائكة»**[1]. والشيطان ضد الملك وعدوه ، فأمر القارئ أن يطلب بعد

(١) عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا ، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت =

عدوه عنه حتى تحضره الملائكة ، فهذه وليمة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين .

الوجه الرابع :

أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه ، فلا يكمل انتفاع القارئ ، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله منه .

الوجه الخامس :

أن القارئ مناج لربه بكلامه والله سبحانه أشد إذنًا للقارئ الحسن الصوت بالقراءة من صاحب القينة إلى قينته[1]. والشيطان إنما قراءته

= إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال : فغدوت على رسول الله ﷺ . فقلت يا رسول الله بينما أن البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال رسول الله ﷺ : **«اقرأ ابن حضير»** فقال : فقرأت ثم جالت أيضًا ، فقال رسول الله ﷺ : **«اقرأ ابن حضير فانصرفت»** وكان يحيى قريبًا منها فخشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ : **«تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبح يراها الناس ما تستتر منهم»** .

رواه البخاري في فضائل القرآن تعليقًا برقم (٤٧٣٠) ، مسلم (٧٩٦) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٧) (٨٠٧٤) ، ابن حبان (٧٧٩/ إحسان) ، أحمد (٣/ ٨١) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ٣٨٧) ، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٤٦٨) (١٩٢٨) ، الطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٧، ١٧٨) (٥٦٦) ، وفي «الأوسط» (٨/ ١٠٨) (٨١١٧) ، الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٤) ، البزار (٣٢٠٩) . قال الحافظ في «المسند المعتلي» (١/ ١٦٢) : «وقع هذا الحديث في مسند أبي سعيد (٨٢٧٣) وهو بمسند أسيد أشبه فحولته إليه» .

وقال الحافظ المزي في تحفة الأشراف (١/ ٧٢) : «. . .ولم يقل عن أسيد إلا أن لفظه يدل على أن أبا سعيد يرويه عن أسيد» .

(١) إسناده ضعيف، رواه أحمد (٦/ ٢٠) ، ابن ماجه (١٣٤٠) ، سعيد بن منصور في =

الشعر ، والغناء ، فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاته واستماع الرب قراءته .

الوجه السادس :

أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . قال السلف : المعنى أنه إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ، قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه :

تمنّى كتابَ اللهِ أولَ ليلة وآخره لاقي حمَام المقَادرِ

فإذا كان فعله هذا للرسل ، فكيف بغيرهم ؟ ولهذا يغلط القارئ ويشوش عليه .

الوجه السابع :

أنه أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «**إنَّ شيطانًا تفلَّتَ عليَّ البارحة فأرادَ أنْ يقطَعَ عليَّ صلاتي**»(١) . وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله ، كان اعتراض

= (سننه) (٢/ ٤٠٥) (١٣٠) ، البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٢٤) ، الحاكم (١/ ٧٦٠) وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ابن حبان (٧٥٤/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٣٠) ، الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠١) (٧٧٢) من طريق الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي ، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد ، مرفوعًا . وميسرة مولى فضالة فيه جهالة قال الذهبي في «الكاشف» نكرة ، وقال الحافظ في «التقريب» مقبول ، وذكره ابن حبان في «الثقات».
وعن أبي هريرة مرفوعًا : «ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» ، رواه البخاري (٥٠٢٤) ، مسلم (٧٩٢) ، النسائي في «المجتبى» (٢/ ١٨٠) ، الدارمي (٢/ ٤١٦) (١٤٨٨) ، الحميدي (٩٤٩) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٤١٦٦) .

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (٣٢٤١) (٤٥٣٠) ، النسائي في «الكبرى» =

الشيطان له أكثر .

قال مجاهد : «ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عددهم» . رواه ابن أبي حاتم ، فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ، ويستعيذ بالله منه أولًا ، ثم يأخذ في السير ، كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ، ثم سار .

هذه فائدة الاستعاذة لأجل قراءة القرآن ، ولاشك أن المراد من الاستعاذة : التعوذ من جميع المنهيات والمحظورات وهي : إما من باب الاعتقاد ، أو من باب أعمال الجوارح ، وأما الاعتقادات ففي الحديث : «**ستفترق هذه الأمة على نيف وسبعين فرقة**»(١) . موصوفة بالعقائد الفاسدة

= (٦/٤٤٣) (١١٤٤٠) ، أبو عوانة (١/٤٦٧) ، ابن حبان (٦٤١٩/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/٢١٩) .

(١) حديث صحيح ، وحديث إفتراق الأمة جاء عن جماعة من الصحابة .

حديث عبد الله بن عمرو :

رواه الترمذي (٢٦٤١) ، عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٦٧٥) ، الحاكم (١/٣١٨) ، اللالكائي في «أصول الاعتقاد» .

حديث أنس :

رواه أحمد (٣/١٢٠، ١٤٥) ، ابن ماجه (٣٩٩٣) ، أبو يعلى في «مسنده» (٧/٣٦) (٣٩٤٤) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٣٢) (٦٤) ، المروزي في «السنة» (٥٣) الطبري في «تفسيره» (٤/٣٢) ، الطبراني في «الصغير» (٢/٢٩) (٧٢٤) ، وفي «الأوسط» (٥/١٣٧) (٤٨٨٦) ، اللالكائي في «أصول الاعتقاد» ، الضياء في «المختارة» (٧/ ٩٠) .

حديث عوف بن مالك :

رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٢) (٦٣٠) ، الحاكم (٣/ ٦٣١) (٤/ ٤٧٧) ، وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٥٠) (٩٠) (١٨/ ٥١) (٩١) (١٨/ ٧٠) (١٢٩) ، وفي «مسند الشاميين» (٢/١٤٣) (١٠٧٢) ، اللالكائي في «أصول الاعتقاد» .

حديث معاوية :

رواه أبو داود (٤٥٩٧) ، أحمد (٤/ ١٠٢) ، المروزي في «السنة»(٥٠) (٥١) ، الدارمي (٢/ ٣١٤) (٢٥١٨) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١، ٢) ، الحاكم (١/ ٢١٨) ، =

والمذاهب الباطلة . ثم إن كل واحدة من أولئك الفرق غير مختص بمسألة بل بمسائل متعلقة بذات الله تعالى وبصفاته وأحكامه وبأفعاله وأسمائه ، وبمسائل الجبر والقدر والتعديل والتخويف ، والنبوات ، والمعاد ، والوعد ، والوعيد ، والأسماء ، والأحكام ، والإمامة ، فإذا وزعنا عدد هذه الفرق المذكورة في الحديث على هذه المسائل بلغ العدد الحاصل مبلغًا عظيمًا ، وأيضًا من الشهوات فرق الضلال من الخارجين عن هذه الأمة نحو سبعمائة فرقة ، فإذا ضممت أنواع ضلالاتهم إلى أنواع الضلالات الموجودات في فرق الأمة في جميع المسائل العقلية المتعلقة بالإلهيات ، والمتعلقة بأحكام الذات والصفات ، بلغ الجميع مبلغًا عظيمًا في العدد .

ولا شك أن قولنا : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يتناول الاستعاذة

= الطبراني في «الكبير» (١٩/٣٧٧) (٨٨٥) ، وفي «مسند الشاميين» (٢/١٠٨) (١٠٠٥) .

حديث أبي هريرة :

رواه أبو داود (٤٥٩٦) ، الترمذي (٢٦٤٠) ، أحمد (٢/٣٣٢) ، ابن ماجه (٣٩٩١) ، أبو يعلى في «سنده» (١٠/٥٠٢) (٦١١٧) ، الحاكم (١/٤٧، ٢١٧) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/٢٠٨) .

حديث أبي أمامة :

رواه الترمذي (٣٠٠٠) ، أحمد (٥/٢٥٣، ٢٥٦) ، الطيالسي (١٣٦) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٤) (٦٨) عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٥٢) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٥٤) ، الروياني في «مسنده» (٢/ ٢٧٠) (١١٨٧) ، الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٦٦) (٨٠٣٣) ، وفي «الأوسط» (٧/ ٣٣٦) (٧٦٦٠) ، وفي «الصغير» (١/ ٤٢) (٣٣) ، البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٨٨) ، اللالكائي في «أصول الإعتقاد» .

حديث ابن مسعود :

ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٥) (٧٠/ ٧١) .

حديث بنت سعد عن أبيها :

«المنتخب» لعبد بن حميد (١٤٨) .

حديث ابن عباس :

الربيع بن حبيب في «مسنده» (١/٣٦) (٤١) .

من جميع تلك الأنواع والاستعاذة من الشيء لا تمكن إلا بعد معرفة قبحه ، فظهر أن قولنا : أعوذ بالله مشتمل على ألوف من المسائل .

أما الأعمال الباطلة فهي عبارة عن كل ما ورد النهي عنه في الكتاب والسنَّة والإجماع والقياس ، ولا شك أن تلك المنهيات تزيد على ألوف ، فيثبت بهذا الطريق أن قولنا : أعوذ بالله مشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أزيد أو أقل من المسائل المهمة ، فصدق من قال : «إن الاستعاذة يستنبط من فوائدها عشرة آلاف مسألة» والله أعلم .

فصل

الاستعاذة في الصلاة

قال مالك : لا يتعوَّذ المصلي في الصلاة المكتوبة ، لقول أنس رضي الله عنه : كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين[1]، وقياسًا على صلاة

(١) حديث صحيح ، جاء عن أنس بن مالك ، وعائشة ، وأبي هريرة رضي الله عنهم .
حديث أنس :
رواه البخاري (٧١٠) ، أبو داود (٧٨٣) ، الترمذي (٢٤٦) ، ابن ماجه (٨١٣) ، الدارمي (١/ ٣١١ ، ١٢٤٠) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٣١٤) (٣٧٥) وفي «المجتبى» (٢/ ١٣٣) ، أحمد (٣/ ١٠١، ١١٤، ١٦٨، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٥٥، ٢٧٣) ، أبو يعلى في «مسنده» (٥/ ٢٦١) (٢٨٨١) (٥/ ٣٤٤، ٣٤٥) (٢٩٨٠) (٢٩٨١) ، الطيالسي (١٩٧٥) ، الحميدي (١١٩٩) ، ابن الجارود في «المنتقى» (١٨٢) ، ابن خزيمة (٤٩١، ٤٩٢) ، ابن حبان (١٨٠٠، ١٨٠٣/ إحسان) ، الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٥٠) (١٠٨٤) ، الدارقطني في «سننه» (١/ ٣١٦) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٠٢، ٢٠٣) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٥٠، ٥١) .
حديث عائشة :
رواه مسلم (٤٩٨) ، أبو داود (٧٨٣) ، ابن ماجه (٨١٢) ، الدارمي (١/ ٣٠٨) (١٢٣٦) ، أحمد (٦/ ٣١، ١١٠، ١٧١، ١٨١ ، ١٩٤) ، أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ١٢٦) (٤٦٦٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٢، ٨٥، ١٧٢) ، ابن حبان =

الجنازة ، فإنه ليس فيها التعوذ ، وعامة العلماء على خلافه ، وأنه يسن التعوذ في المكتوبة للآية الكريمة : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ .

قال ابن عبد السلام المالكي : قراءة النبي ﷺ في الصلاة بغير استعاذة تخصص الآية ، قلنا : هذا لا يصح لأنه ثبت أنه ﷺ تعوذ في الصلاة في قيام الليل .

قال ابن عطية : لم يحفظ أنه ﷺ تعوّذ في صلاة .

قال ابن حزم : قال مالك : لا يتعوذ إلا في قيام رمضان ، فإنه يبدأ بالتعوذ في أول ليلة ، ثم لا يعود . وهذه قولة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولاقياس . انتهى .

وأما صلاة الجنازة ففيها روايتان عن الإمام أحمد ، فإن سلمناها فالفرق بينها وبين المكتوبات أنها مبنية على الإسراع ، ولهذا يسلم فيها مرة . وقال أبو حنيفة والشافعي بالتعوذ في كل صلاة ، لكن قال الشافعي يتعوذ المصلي في كل ركعة . وقال أبو حنيفة : يتعوذ في الركعة الأولى ، وهو تعوذ لقراءة الصلاة كلها .

وعن الإمام أحمد روايتان كالمذهبين ، ظاهر المذهب كقول أبي حنيفة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا قام إلى صلاة الليل كبَّر ، ثم يقول : «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**.» ثم يقول : «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه**»(١) .

= (١٧٦٨/إحسان) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٠٣) .

حديث أبي هريرة :

ابن ماجه (٨١٤) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٩٠) (٦٢٢١) .

(١) حديث صحيح بشواهده ، رواه أبو داود (٧٧٥) وقال : «وهذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلًا الوهم من جعفر» . ، ورواه أبو داود أيضًا (٧٧٦) وقال : «هذا الحديث ليس بالمشهور عن عبد السلام بن حرب لم يروه إلا طلق بن غنام ، وقد روى قصة الصلاة عن بديل جماعة لم يذكروا فيه شيئًا من هذا» ، = =

ورواه الترمذي (٢٤٢) وقال : «وفي الباب عن علي وعائشة وابن مسعود وجابر وجبير ابن مطعم ، وابن عمر ، قال أبو عيسى : وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب وقد أخذ قوم من أهل العلم بهذا الحديث ، وأما أكثر أهل العلم فقالوا بما روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول : «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**» وهكذا روي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من التابعين وغيرهم وقد تكلم في إسناد حديث أبي سعيد ، كان يحيى بن سعيد يتكلم في على بن علي الرفاعي ، وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث» اهـ.

ورواه الترمذي أيضًا (٢٤٣) من حديث عائشة ، وقال : «لا نعرفه من حديث عائشة إلا من هذا الوجه وحارثة قد تكلم فيه من قبل حفظه ، وأبو الرجال اسمه محمد بن عبد الرحمن المديني» اهـ .

ورواه النسائي في «المجتبى» (٢/ ١٣٢) من حديث أبي سعيد مقتصرًا على الجزء الأول منه ، ورواه في «الكبرى» (١/ ٣١٣) (٩٧٢، ٩٧٣) عن أبي سعيد ، ورواه ابن ماجه (٨٠٤) من حديث أبي سعيد مختصرًا ، ورواه (٨٠٦) من حديث عائشة ، والدارمي (١/ ٣١٠) (١٢٣٩) عن أبي سعيد ، ورواه أحمد (٣/ ٥٠) عن أبي سعيد بلفظ «المصنف» ، ورواه (٣/ ٦٩) عن أبي سعيد مختصرًا ، ورواه ابن خزيمة (٤٦٧) وزاد بعد قوله : «. . .**ولا إله غيرك**» ثم يقول :«لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم يقول الله أكبر ثلاثًا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم . . . » ثم قال : «وهذا الخبر على وجهه لم يسمع في الدعاء لا في قديم الدهر ولا في حديثه استعمل هذا الخبر على وجهه ولا حكى لنا عن من لم نشاهده من العلماء أنه كان يكبر لافتتاح الصلاة ثلاث تكبيرات ، ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك إلى قوله : ولا إله غيرك ، ثم يهلل ثلاث مرات ، ثم يكبر ثلاثًا» أهـ .

رواه ابن خزيمة (٤٧٠) عن عائشة مقتصرًا على الجزء الأول ، ورواه الحاكم (١/ ٣٦٠) عن عائشة مقتصرًا على الجزء الأول ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد وكان مالك بن أنس رحمه الله لا يرضى حارثة بن محمد وقد رضيه أقرانه من الأئمة ، ولا أحفظ عن رسول الله ﷺ عند إفتتاح الصلاة سبحانك الله وبحمدك أصح من هذين الحديثين وقد صحت الرواية عن أمير المؤمنين عمر أنه كان يقوله» اهـ .

ورواه الحاكم أيضًا (١/ ٣٦١) عن عمر أنه كان إذا افتتح الصلاة قال : «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» . وقال : «قد أُسند هذا الحديث عن عمر ولا يصح» قلت (ياسر) : أسند : أي مرفوعًا إلى النبي ﷺ =

رواه الخمسة ولفظه للترمذي وهو من رواية علي بن علي الرفاعي . وقد اختلف فيه ، قال أحمد : لا يصح هذا الحديث .

وفي الباب ، عن أنس وعائشة ، والقطع أنه ﷺ : كان يستفتح في الفرائض ، وكذا التعوذ ولكن كان يخفيه .

= والصحيح أنه موقوف على عمر كما رواه مسلم في صحيحه ، ورواه الحاكم أيضًا (١/ ٣١٣) عن أبي سعيد مختصرًا ، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٣٣، ٣٤) عن عائشة ، (٢/ ٣٤) عن أبي سعيد ، (٢/ ٣٤، ٣٦) عن عمر موقوفًا ، ورواه الدارقطني في «سننه» (١/ ١٩٨) عن أبي سعيد بلفظ المصنف ، ورواه الدارقطني أيضًا (١/ ٢٩٩) عن عائشة مختصرًا ، ورواه (١/ ٢٩٩) عن عمر مرفوعًا ، وقال : «والمحفوظ عن عمر من قوله كذلك رواه إبراهيم عن علقمة والأسود عن عمر كذلك رواه يحيى بن أيوب عن عمر ابن شيبة عن نافع عن ابن عمر عن عمر من قوله وهو الصواب» اهـ . ورواه (١/ ٢٩٩) وقال : «هذا صحيح عن عمر قوله» ورواه (١/ ٣٠١) عن عائشة مختصرًا ، ورواه (١/ ٣٠٢) عن عثمان موقوفًا عليه . ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٥٥٤) عن أبي سعيد (٢٥٥٥) عن عمر موقوفًا ، ورواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢١٨) (٣٢٩٠) عن الحكم بن عمير ، ورواه (٩/ ٢٦٢) (٩٣٠١) عن ابن مسعود : «أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا إذا استفتحوا الصلاة قالوا : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك قبل القراءة» ، ورواه في «الكبير» (١٠/ ١٤٩) (١٠٢٨٠) وفي «الأوسط» (٢/ ١٩) (١٠٣٠) عن ابن مسعود قال : «كان رسول الله يأمرنا (يعلمنا) إذا استفتحنا الصلاة أن نقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك ، وكان عمر يعلمنا ويقول : كان رسول الله ﷺ يقوله» ، ورواه الطبراني أيضًا في مسند الشاميين (١/ ٣٢٣) (٥٦٩) عن واثلة مرفوعًا ، ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ١٩٧) عن أبي سعيد ، ورواه (١/ ١٩٨) عن عائشة مختصرًا ، ورواه (١/ ١٩٨) عن عمر موقوفًا ، ورواه إسحاق بن راهوية في «مسنده» (٢/ ٤٣٣) (١٠٠٠) عن عائشة مختصرًا ، وعلي بن علي ، علي هو ابن نجاد بن رفاعة الرفاعي البصري كان يشبه بالنبي ﷺ ، وقال أحمد : هو صالح الحديث ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ليس به بأس لا يحتج بحديثه ، وقال يعقوب بن إسحاق : قدم علينا شعبة فقال : اذهبوا بنا إلى سيدنا وابن سيدنا علي ابن علي الرفاعي .

والحديث : صحيح لطرقه وشواهده ، والله تعالى أعلم .

فصل

أقوال العلماء في الاستعاذة

قال أكثر العلماء : التعوذ في الصلاة من سننها لا تبطل بتركه ، وهذا قول الأئمة الأربعة وغيرهم ، ولم يعلمه النبي ﷺ للمسيئ في صلاته[1] مع الحاجة إلى البيان ، وعن أحمد رواية أنه واجب فيها ، واختاره أبو عبد الله ابن بطة لظاهر الآية . قال الشيخ أبو العباس : من العلماء من يوجب الاستعاذة للقراءة ، وهذا القول قوي لأمر الله تعالى بذلك ، انتهى .

وذكر عن ابن جريج ، عن عطاء أنه قال : الاستعاذة واجبة لكل قراءة في الصلاة وغيرها ، وقال ابن حزم : التعوذ فرض في كل ركعة .

وحكي رواية عن الإمام أحمد بالوجوب في كل ركعة لأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب ، وقال ابن سيرين : إذا تعوذ في عمره مرة واحدة أجزأه في إسقاط الوجوب ، وفي هذا إشارة من ابن سيرين إلى أن

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (٧٢٤) (٧٦٠) (٥٨٩٧) ، مسلم (٣٩٧) ، أبو داود (١٠٦٠) ، الترمذي (٣٠٣) ، ابن ماجه (١٠٦٠) ، أحمد (٢/ ٤٣٧) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٣٠٨) (٩٥٨) ، وفي «المجتبى» (٢/ ١٢٤، ١٩٣) ، ابن خزيمة (٤٥٤) (٤٦١) (٥٩٠) ، ابن حبان (١٨٩٠/ إحسان) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٤٤٩/ ٤٩٧) ، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه النسائي في «الكبرى» (١/ ٢٢٠) (٦٤٠) وفي «المجتبى» (٣/ ٥٩) ، أحمد (٤/ ٣٤٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٤٩٨) (٦٦٢٣) ، ابن الجارود في «المنتقى» (١٩٤) ، الشافعي في «مسنده» ص (٣٤) ، الحاكم (٣٦٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ١٠٢، ١٢٢) ، الطبراني في «الكبير» (٥/ ٣٥) (٤٥٢٠) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٢) كلهم من طريق يحيي بن خلاد الزرقي عن عمه رفاعة بن رافع الزرقي وكان شهد بدرًا .

الأمر إذا علق على شرط لا يقتضي التكرار ، كما اختاره ابن الحاجب وطائفة من الأصوليين ، وقال بعض العلماء : كانت الاستعاذة واجبة على النبي ﷺ لتوجه الخطاب إليه دون أمته ، ولو قيل بالعكس لعصمته ﷺ دون غيره من الناس كان أولى . واختلف الناس في كيفية الاستعاذة على أقوال :

القول الأول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . اختاره القاضي أبو يعلى في الجامع الصغير ، وأبو حنيفة والشافعي ، واختاره من القراء أبو عمرو وعاصم وابن كثير لظاهر الآية : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ . قال المقدمي : ولكثرة استعماله في سائر الأمصار ولزوم أكثر القراء له في جميع الأقطار . وقال ابن المنذر : جاء أن النبي ﷺ كان يستعيذ كذلك .

القول الثاني :أنه يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وهو منصوص الإمام أحمد في رواية عبد الله ، وهو ما ذكره الشيخ مجد الدين في المحرر ، وقاله أويس القرني ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وبعض الشافعية ، وذكره المهدوي عن كثير من القراء لخبر أبي سعيد السابق أن النبي ﷺ كان يقول : «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»[(١)] .

وروى أبو داود في قصة الإفك ، أن النبي ﷺ جلس وكشف عن وجهه وقال : «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»[(٢)]. وقال أبو العالية لما قرأ النبي ﷺ سورة المجادلة وخولة بين يديه قال : «**أعوذ بالله السميع**

(١) سبق تخريجه .

(٢) حديث ضعيف : رواه أبو داود (٧٨٥) وقال : «وهذا حديث منكر قد روى هذا الحديث جماعة عن الزهري لم يذكروا هذا الكلام على هذا الشرح وأخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد» .
ورواه البيهقي في «الكبرى» (٢/٤٣) كلاهما عن حميد الأعرج المكي عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» .

العليم من الشيطان الرجيم»[١] .

وذكر ابن أبي شيبة أن عمر كان يتعوذ كذلك .

القول الثالث : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم . قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي إذا قرأ استعاذ ، فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، واختاره طائفة من الأصحاب كأبي بكر عبد العزيز ، والقاضي في المحرر ، وابن عقيل ، وقاله سفيان الثوري ، ومسلم بن يسار ، ومن القراء نافع ، وابن عامر ، والكسائي ، لأن ظاهر الآية أن يعقب أعوذ بالله بقوله : (من الشيطان الرجيم) . وقوله : السميع العليم في جملة مستقلة مؤكدة بحرف (إن) وفائدته الثناء على الله والإخبار بأنه سبحانه سميع عليم ، فيسمع استعاذتك ، فيجيبك ويعلم ما استعذت منه فيدفعه عنك ، فهو السميع لكلام المستعيذ والعليم لفعل المستعاذ منه وبذلك يحصل مقصود الاستعاذة .

القول الرابع : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، وهو ما رواه ابن أبي موسى في الإرشاد ، وأبو الخطاب في الهداية ، والحلواني في التبصرة وغيرهم ، لأن قوله : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لابد أن يقدر فيه من الشيطان الرجيم ، وهو يحسن قبل ذكر الصفة وبعدها ، فجمعنا بينهما عملًا بهذا .

القول الخامس : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، اختاره إسحاق بن راهويه ، وذكره عن النبي ﷺ وصدق .

قال أحمد في المسند : حدثنا قراد أبو نوح ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل

---

(١) حديث ضعيف ، رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/٢٨) عن أبي العالية مرسلًا وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٢١) لابن أبي حاتم في «التفسير» عن أبي العالية مرسلًا .

يقول : «**اللهم إنِّي أعوذُ بكَ من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»(١) .
وكان ﷺ «يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه»(٢)، وذكر حرب ، عن ابن عمر أنه كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم» .

القول السادس : ذكره في كتاب الحنفية : أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . اختاره حمزة ، وذكره عن ابن سيرين .

القول السابع : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزات

---

(١) حسن بشواهده ، رواه أحمد (٦/ ١٥٦) وفيه أبو قراد نوح ثقة له أفراد ، وعكرمة بن عمار تكلم فيه خاصة في روايته عن يحيى بن كثير . قال علي بن المديني : أحاديث عكرمة بن عمار عن يحيى ابن أبي كثير ليست بذاك مناكير كان يحيى بن سعيد يضعفها ، وقال البخاري : مضطرب الحديث عن يحي ، ولم يكن عنده كتاب ، وقال أحمد بن حنبل : عكرمة بن عمار مضطرب الحديث عن يحيى بن أبي كثير ، وقال النسائي : ليس به بأس إلا في حديثه عن يحيى بن أبي كثير ، وكذا قال أبو داود ، ويحيى بن أبي كثير لم يدرك أحدًا عن الصحابة . قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٩١٠) : «سمعت أبي يقول : يحيى بن أبي كثير لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ إلا أنسًا فإنه رآه رؤيا ولم يسمع منه» . وله شاهد من حديث جبير بن مطعم : رواه أبو داود (٧٦٤، ٧٦٥) ، ابن ماجه (٨٠٧) ، أحمد (٤/ ٨٠/ ٨١/ ٨٥) ، الطيالسي (٩٤٧) ، ابن الجارود في «المنتقى» (١٨٠) ، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٣٤٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٩) ، الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٦٠) ، البزار (٣٤٤٦) ، ابن خزيمة (٤٦٨) ، ابن حبان (٢٦٠١/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٥) ، الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٤/ ١٣٥) (١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠) ، ويشهد له أيضًا حديث ابن مسعود الآتي برقم (٢٤) ، وحديث أبي سعيد السابق برقم (١٨) .

(٢) صحيح بشواهده ، رواه أحمد (١/ ٤٠٣، ٤٠٤) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٠، ٢٥٨) (٥٠٧٧، ٥٣٨٠) ، ابن خزيمة (٤٧٢) . كلهم من طريق محمد بن فضيل وعمار بن زريق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود به . ورواه أيضًا (٢/ ٨٤) عن الحسن مرسلًا ، وعطاء بن السائب اختلط لكن يشهد له حديث أبي سلمة ، وجبير بن مطعم ، وأبي سعيد السابق برقم (١٨) ، وحديث أبي سلمة السابق برقم (٢٣) .

الشياطين ، وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم .

القول الثامن : قاله طائفة من أهل مصر والمغرب . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم .

القول التاسع : قاله طائفة من أهل خراسان وغيرهم : أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي .

القول العاشر : أعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين. قال ابن عطية: أكثر المفسرين في هذا من تبديل الصفة في اسم الله ، وفي جهة الأخرى في قول بعضهم : أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ، ونحو هذا أسماء لا أقول فيه نعمت البدعة ، ولا أقول إنه لا يجوز . قال المهدوي : والاختيار الاقتصار على ما يؤيده القرآن والخبر ، وهو في القولين الأولين ، والأول أولى ، لأنه مؤيد بالنص المأمور عند قراءة القرآن ، والقول الثاني وإن أيده النص ، فإنه مأمور به عند نزغ الشيطان . قال الشيخ موفق الدين : كيفما استعاذ فهو حسن لأنه منقول والمرجح غير ظاهر وقال الشيخ مجد الدين : مهما استعاذ به أجزأه بلا كراهة ، وقد جاء التعوذ من الشيطان عن موسى عليه السلام . قال عمر بن حسان : إن موسى أعطي آية من كنوز العرش رب لا تريح الشيطان في قلبي وأعذني منه ، ومن كل شرٍّ فإن لك الأيد والسلطان والملك والملكوت دهر الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين . وأعطى رسول الله ﷺ آيتين من كنوز العرش آخر سورة البقرة : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [١][٢] . ذكر هذا

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) إسناده صحيح ، رواه أحمد (٥/ ١٥١، ١٨٠) عن أبي ذر مرفوعًا ، ورواه أيضًا (٥/ ٣٨٣) عن حذيفة مرفوعًا ، ورواه (٤/ ١٥٨) عن عقبة بن عامر الجهني ، وقال ابن كثير في تفسيره «إسناده حسن» ، ورواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٤) في «المصنف» ، والبزار (٢٨٤٥) ، أبو عوانة (١/ ٣٠٣) ، ابن خزيمة (٢٦٣، ٢٦٤) ، ابن حبان (١٦٩٧، ٦٤٠٠/ إحسان) ، وأبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ١٢٥) (١١٥٢) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ١٥) (٨٠٢٢) ، الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٦٩) (٣٠٢٥) ، وفي الأوسط (٤/ ٢٦٢) (٤١٤٥) ، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٢١٣، ٢٢٣) وفي «شعب=

هشام بن عمار في كتاب البعث .

تنبيه :

سبق في تعوذ النبي ﷺ : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وقد جاء في الحديث تفسير ذلك قال : وهمزه : لمته يعني إلى شبه الجنون . ونفخه : الكبر . ونفثه : الشعر . وقد قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝﴾(١). الهمزات : جمع همزة كتمرات وتمرة ، وأصل الهمز الدفع .

قال الكسائي : همزته ولمزته ولهزته ونهزته إذا دفعته ، والتحقيق أنه دفع بغمز يشبه الطعن ، فهو دفع خاص ، فهمزات الشياطين : دفعهم الوسواس في الوساوس ، والاغواء إلى القلب .

قال ابن عباس : همزات الشياطين : نزغاتهم ووساوسهم ، وفسر مجاهد همزاتهم بنفخهم ونفثهم ، وظاهر الحديث أن الهمز نوع من النفخ ، والنفث ، والأظهر أن يقال : همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصابتهم لابن آدم ، وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعًا خاصًا أن يقال القرآن استعاذة من همزات الشياطين ، وهي مقتضيات الإغواء والإضلال ، والسنة : الاستعاذة من ذلك ، ومن الآثار الناشئة عن ذلك من الكبر

= الإيمان» (٢/ ٤٦٠) (٢٣٩٩) ، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/ ٧٨٤) (١٤٤٤) ، كلهم من حديث حذيفة وإسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه الحاكم (١/ ٧٥٠) عن أبي ذر قال : «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» ، والدارمي (٢/ ٥٤١) (٣٣٨٤) عن علي ، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١٥) (٨٠٢٣) عن ابن مسعود قوله ، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٥) (٧٩٢٠) عن أبي أمامة ورواه (٩/ ٢١١) (٩٠٢٩) عن ابن مسعود قوله ، ورواه في «الكبير» (١٧/ ٢٠٣) (٥٤٢) عن أبي مسعود البدري ورواه في «الكبير» (٢٠/ ٢٢٥) (٥٢٥) عن معقل بن يسار .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٧ ، ٩٨ .

والشعر ، كما في قوله ﷺ : «**ونعوذُ باللهِ منْ شُرور أنْفُسنا وسيئاتِ أعمالنا**» . ثم قال : ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ . قال ابن زيد : في أموري ، وقال الكلبي : في تلاوة القرآن ، وقال عكرمة : عند النزع والسياق ، فأمره أن يستعيذ من نوعي شرهم ، إصابتهم له بالهمز وقربهم ودنوّهم منه ، فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه .

وفي صحيح مسلم : « **إنَّ الشَّيْطان يحضرُ أحدَكُم عندَ كلِّ شئ من شأنه حتى يحضره عندَ طعامهِ ، فإذا سَقَطتْ من أحدكم اللقمة ، فليمط ما كان بها من الأذى ، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فإذا فرغ فليعلق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة**»[١] .

وقال الإمام أحمد في المسند : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : «كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع : «**بسم الله أعُوذُ بكلمات الله التَّامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن هَمَزاتِ الشياطين وأن يحضرون**» . وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له ، فعلقها في عنقه»[٢] .

---

(١) حديث صحيح ، رواه مسلم (٢٠٣٣، ٢٠٣٤) ، ابن ماجه (٣٢٧٠) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٧٧/ ١٧٩) (٦٧٦٧، ٦٧٧٧) ، أحمد (٣/ ٣٠١، ٣٣١، ٣٣٧) ، أبو يعلى (٣/ ٤١٦) (١٩٠٣) (٤/ ١٧٠) (٢٢٤٦) البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٧٨) ، عبد ابن حميد في «المنتخب» (١٠٦٧) ، ابن حبان (٥٢٥٣/ إحسان) ، الحاكم (٤/ ١٣٢) كلهم من حديث جابر رضي الله عنه. ورواه أبو داود (٣٨٤٥) ، الترمذي (١٨٠٣) ، أحمد (٣/ ٢٩٠) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٧٦) (٦٧٦٥) أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٢٧٩) (٢٥٨) ، الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٧٩) (٢٥٨) عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٥٢) ، البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٧٨) كلهم من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه أحمد (٢/ ٤١٥) عن أبي هريرة ، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٣٥) (٥٤٣٤) عن أبي سعيد نحوه ، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٢٩) عن ابن عباس .

(٢) حديث حسن ، رواه أبو داود (٣٨٩٣) ، الترمذي (٣٥٢٨) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٩٠) (١٠٦٠١) ، أحمد (٢/ ١٨١) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٨٠) ، = =

ورواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن ، وعن سفيان ، عن أيوب عن محمد بن يحيى بن حبان : أن خالد بن الوليد أصابه أرق ، فشكا ذلك للنبي ﷺ فأمره أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[1] . رواه ابن السني .

فإن قيل : استعاذ النبي ﷺ أن يحضره الشياطين ، وقد جاء الشيطان ليقطع عليه صلاته وحضره ليلة الوادي .

قلنا : لعل هذا هو الحامل لمن فسر قوله تعالى : ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ بحالة قراءة القرآن ، وأما حالة النزع والسياق ، وقول ابن زيد في أموري كلها لا يرد أيضًا ، بل يقال معناه وأن يحضرون للإغواء ونحو ذلك ، فهو نفي للحضور على وجه خاص لا نفي للحضور مطلقًا ، وسيأتي تمام الكلام في ذلك في الفصل الثامن عشر إن شاء الله تعالى .

تنبيه آخر :

قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ

النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦٥) ، البخاري في «خلق أفعال العباد» ص (٩٦)، الحاكم (١/ ٧٣٣) كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» دون قوله: «وكان عبد الله . .» .

(١) حسن لغيره ، رواه أحمد (٤/ ٥٧) (٦/ ٦) من طريق يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى ابن حبان عن الوليد بن الوليد وفيه انقطاع ، فإن محمد بن يحيى لم يسمع من الوليد بن الوليد وهو أخو خالد بن الوليد ، وكان من فضلاء الصحابة ، أسلم قبل أخيه وقتل شهيدًا في حياة رسول الله ﷺ ، رواه النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٩١) (١٠٦٠٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٦٦) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد وفيه ابن إسحاق صدوق إلا أنه يدلس . ورواه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٨٥) (٩٣١) عن أبي أمامة عن خالد بن الوليد ، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي متروك ، ورواه مالك في «الموطأ» (١٧٠٤) عن يحيى بن سعيد ، قال : بلغني أن خالد ابن الوليد . . . فذكره ، ويشهد له الحديث السابق .

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾[(١)]. وقال في سورة فصلت: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٤﴾[(٢)]. ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾[(٣)]. فأكد سبحانه هنا بـ (أن) وبضمير الفصل، وأتى باللام في السميع العليم وفيه وجوه:

الوجه الأول: أنه حيث اقتصر على مجرد الاسم ولم يؤكده أريد إثبات الوصف الكافي في الاستعاذة، والإخبار أنه سبحانه وتعالى يسمع ويعلم، فيسمع استعاذتك، فيجيبك ويعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك، فالسميع: لكلام المستعيذ، والعليم: لفعل المستعاذ منه، وهذا المعنى شامل للموضعين، وامتاز المذكور في فصلت بالتأكيد والتخصيص والتعريف، لأنه ساق ذلك بعد إنكاره على الذين شكوا في سمعه، كما في الصحيح عن ابن مسعود. قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي. كثير شحم بطونهم. قليل فقه قلوبهم. قالوا: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال أحدهم: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا. فقال الآخر: إن سمع بعضه سمعه كله، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(٤)(٥)]. فجاء التأكيد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٨٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢-٢٣.
(٥) حديث صحيح، رواه البخاري (٤٥٣٨، ٧٠٨٣)، مسلم (٢٧٧٥)، الترمذي (٣٢٤٨)، أحمد (١/٤٠٨، ٤٢٦، ٤٤٣)، الحميدي (٨٧)، أبو يعلى في «مسنده» (٩/١٣٠) (٥٢٠٤)، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٧٨) (٦٢٦)، البخاري في «خلق أفعال العباد» ص (٦٤)، الطبراني في «الكبير» (١٠/١١٢، ١١٣) (١٠١٣٠، ١٠١٣٤).

أنه هو السميع العليم في سياق هذا الإنكار إنه هو الذي وحده له كمال قوة السمع ، وإحاطه العلم لا كما يظن الجهال أنه لا يسمع أن أخفوا ، وأنه لا يعلم كثيرًا مما يعملون .

الوجه الثاني :أن المأمور به في فصلت دفع إساءتهم إليه بإحسانه إليهم ، وذلك أشق على النفوس من مجرد الإعراض عنهم ولهذا عقبه بقوله : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(١). فحسن التأكيد لحاجة المستعيذ .

الوجه الثالث : أن السياق ههنا لإثبات كمال صفاته ، وأدلة ثبوتها ، وآيات ربوبيته ، وشواهد توحيده . ولهذ أعقب ذلك بقوله :﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾(٢). فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من اسمائه السميع العليم ، كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرفة ، والذي في الأعراف سياق وعيد المشركين وإخوانهم من الشياطين ، ووعد المستعيذ بأن له ربًّا يسمع ويعلم ، وآلهة المشركين التي عبدوها من دونه ليس لهم أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، فالله سميع عليم وآلهتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ، فكيف تسوونها به في العبادة ، فعلمت أنه لا يليق بهذا السياق غير التنكير كما لا يليق بذلك غير التعريف ، والله أعلم بأسرار كلامه .

فإن قيل : قال سبحانه في سورة حم المؤمن : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣).

قلنا : لما كان المستعاذ منه شر مجادلة الكفار في آياته ، وما يترتب عليها من أفعالهم المرئية بالبصر قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٣٧-٣٩ .
(٣) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .

سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾(١). فإنه لما كان المستعاذ منه كلامهم وأفعالهم المشاهدة عيانًا قال : إنه هو السميع البصير ، وهناك فالمستعاذ منه غير مشاهد لنا ، فإنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم ، بل هو معلوم بالإيمان ، وأخبار الله ورسوله ، وفي الجملة : جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي يعلم وجوده ولا يراه بلفظ السميع العليم في الأعراف ، وحم السجدة ، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يفتنون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة (حم) المؤمن ، لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر ، وأما نزغ الشيطان فوسواس وخطرت يلقيها في القلب ، والله أعلم .

***

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .

الفصل الثاني

في وسوسة الشيطان للأبوين

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) . الخليفة الذي يخلف الذاهب ، ويجيء بعده وأصله : خليف بغير هاء . فعيل بمعنى فاعل ، كالعليم والسميع دخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف ، كما قالوا : راوية وعلامة ، وجمعه خلفاء كما يجمع فعيل ، ومن أنَّث أراد تأنيث اللفظ وقال في الجمع : خلائف . وقد ورد التنزيل بهما . قال الله تعالى :﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾(٢) . وقال : ﴿خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٣) . وأراد بالخليفة : آدم في قول جميع المفسرين جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن ، فأسكن الملائكة السماء ، وأسكن الجن الأرض ، فعبدوا دهرًا طويلًا في الأرض ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي ، فاقتتلوا وأفسدوا ، فبعث إليهم جندًا من الملائكة يقال لهم : الجن رأسهم أبليس ، وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة ، فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر البحور ، وسكنوا الأرض وكانوا أخف الملائكة عبادة لأن أهل سماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم ، وكذا أهل كل سماء وهؤلاء الملائكة لما كانوا سكان الأرض خفف الله عنهم العبادة ، فأحبوا البقاء في الأرض . وكان الله قد أعطى إبليس ملك الأرض ، وملك السماء ، وخزانة الجنان ، وكان يعبد الله تعالى تارة في الأرض ، وتارة في السماء ، وتارة في الجنة ، فأعجب بنفسه وداخله

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٦٩ .
(٣) سورة فاطر ، الآية : ٣٩ ، وسورة الأنعام ، الآية : ١٦٥ .

الكبر ، فاطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر ، فقال الله سبحانه له ولجنده : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [(١)] . [(٢)] . هذا المشهور في التفسير .

فإن قيل : ما وجه استخلاف الله تعالى ، والخلافة إنما تكون للنيابة عن الغير إما لغيبته أو لعجزه ، وذلك لا يجوز على الله تعالى .

قلنا : إنما كان خليفة لأنه كان بعد غيره ، ولأن الاستخلاف لغير ما ذكر ، وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحانًا للمستخلف ، أو تهذيبًا له ، أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول التأثير من المستخلف لا لعجزه ، وذلك ظاهر ، فإن السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته ، وكذا الواعظ جعل العامة والحكماء ، فإن العامة يقبلون من الواعظ ما لا يقبلون من الحكيم ، وليس ذلك لعجز الحكيم بل لعجز العامة عن القبول منه ، وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعد ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم ، فجعل الله بحكمته بينهما الغضاريف التي بينهما ولها مناسبة إليهما لتأخذ من ذلك اللحم وتعطيه العظم ، وكذلك جعل الله تعالى الرسل بين الملك الذي هو من قبله تعالى ، وبين العباد لفضل قوة إعطائهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس ، وبهذا الوجه قال تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [(٣)] . وقد قيل : إن الخليفة يقال للواحد وللجمع ، وهنا هو جمع فإن الخليفة أريد به آدم وأولاده . قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [(٤)] .

قال ابن جرير : خليفة ، من يخلفني في الحكم بين خلقي ، وأن ذلك الخليفة آدم ، ومن قام مقامه في طاعة الله ، والحكم بالعدل بين خلقه ، وأما الإفساد فمن غير خلفائه .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .
(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١/ ٢٦١) و «تفسير ابن كثير» (١/ ٧١) .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٥ .

قال بعض الملاحدة وابن العربي[١] : الخليفة : هو خليفة عن الله مثل : نائب الله ، وفسروا تعليم آدم الأسماء بالصفات التي جمع معانيها الإنسان ، وخلق آدم على صورته وأريد به هذا المعنى ، وأخذوا عن الفلاسفة أن الإنسان عالم صغير ، وهذا قريب وضموا إليه أن الله تعالى هو العالم الكبير بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود ، وأن الله تعالى هو عين المخلوقات فالإنسان من بين الظاهر هو الخلافة الجامعة بين الأسماء والصفات . ويتفرع على هذا دعوى الربوبية والإلهية المخرجة إلى الفرعونية ، وزعموا على ذلك أن الرسول والولي يعطي (كن) أي يقول للشئ كن فيكون ، وأن سائر الناس أعطوا «بسم الله الرحمن الرحيم» عوضًا عن قول (كن) ، وهذا باطل ، ولا يجوز أن يكون لله خليفة بهذا المعنى ، ولهذا لما قالوا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة الله ! قال : لست بخليفة الله ، ولكن خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يكون خليفة لغيره كما قال رسول الله ﷺ : «**اللهم أنتَ الصَّاحب في السَّفر والخليفة في الأهل**»[٢] . لأن الله سبحانه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب ، فلا يجوز أن يكون أحد منه خلفًا ، فإنه لا

---

(١) هو أبو بكر الأشبيلي شارح سنن الترمذي .

(٢) إسناده صحيح ، رواه أبو داود (٢٥٩٨) ، الترمذي (٣٤٣٨) وقال : «كنت لا أعرف هذا الحديث إلا من حديث ابن أبي عدي حتى حدثني به سويد حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا شعبة بهذا الإسناد نحوه بمعناه وهو حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة ولا نعرفه إلا من حديث ابن أبي عدي عن شعبة» ، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٧٣) ، أحمد (٢/ ٤٠١) ، وأبو حمزة الكناني في «جزء البطاقة» (٣) وقال : «ولا أعلم أحدًا روى هذا الحديث عن شعبة غير ابن أبي عدي ؛ والله أعلم» .

قلت : قد رواه الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن شعبة . . .به ، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ٤٦٠) (٥/ ٢٤٩) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٩) كلهم من حديث أبي هريرة ، وقد جاء نحوه من حديث ابن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهما ، ورواه أحمد (١/ ٢٥٥، ٢٩٩) ، ابن حبان (٢٧١٦ / إحسان) ، أبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٢٤١) (٢٣٥٣) ، الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٠) (١١٧٣٥) ، البيهقي في =

يقوم مقامه ، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به ، وقوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ (١) .
قال الله تعالى لهم : «إني خالق بشرًا وإنهم يتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا» فلذلك قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وصححه الراغب وغيره وكذا قال أكثر المفسرين إنهم قاسوا على الفائت فقالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما فعل بنو الجان ، فهو أول قياس فاسد قيس به الشاهد على الغائب ، ورجَّح أكثر المفسرين والواقدي وجماعة هذا القول ، وأنهم قالوا قياسًا على من سكن الأرض قبل من الجان فأفسدوا فيها ، فإذا قال القائل : من أين حكمت الملائكة على الإنسان بالإفساد وسفك الدماء ؟ وذلك أما ادعاء علم الغيب أو الحكم بالظن والتخمين ، وهم منزهون عن ذلك كان جوابه ما قلناه .

قالت طائفة : قوله : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ليس بإنكار إنما هو استخبار ليعرفهم ما تسكن نفوسهم إليه ، ويرشدهم إلى ما يزيل شبههم ولم يسألوا عن ذلك إلا وهم قد أذن لهم في السؤال . قال يحيى بن أبي كثير في قوله ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ : كانوا عشرة آلاف من الملائكة ، فأرسل الله عليهم نارًا فأحرقتهم . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا خبر اسرائيلي منكر . وله أيضًا عن أبي جعفر محمد بن الحسين أنه كان يقول : السجل ملك ، وكان هاروت وماروت من أعوانه ، وكان كل يوم له ثلاث لمحات ينظرهن في أم الكتاب نظرة لم تكن له ، فأبصر فيها خلق آدم وما فيه من الأمور ، فأسر ذلك لهاروت وماروت ، وكانا من أعوانه ، فلما قال الله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ . قالا ذلك استطالة على الملائكة ، وهذا أثر غريب مقتضاه : أن الذين قالوا

= «الكبرى» (٥/ ٥٠) كلهم من حديث ابن عباس ، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٢٦٦) (١٦٦٣) ، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ١٢٩) كلاهما من حديث البراء .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

ذلك إنما كانوا اثنين فقط ، وهو خلاف السياق .

وقد ورد عن أبيه خلافه ، والظاهر أن جميع ذلك من الإسرائيليات وقال علي بن الحسين ، وقد سئل عن بدء الطواف أن الله لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ظنوا أن هذا رد على ربهم ، وقد أسخطه ذلك ، فطافوا بالعرش ولاذوا به يتضرعون ويبكون ، فنزلت الرحمة ووضع الله تحت العرش بيتًا من زبرجد على أربع أساطين ، وغشاؤه ياقوتة حمراء ، وأمر الملائكة أن يطوفوا به ، وسمى ذلك البيت الضراح .

قوله تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) .

قال ابن عباس : علم الله أن في نفس إبليس بغيًا ، وعن مجاهد قال : علم من إبليس كتمان الكبر ، وأنه لا يسجد لآدم ، وقال قتادة : علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وصالحون .

وقال الحكماء : لما خلق الله الإنسان جسمًا روحانيًا ، وجعله مركبًا من قوى ثلاث : قوة شهوية ، وقوة غضبية ، وقوة ملكية ، فبقوته الشهوية يفسد في الأرض ، وبقوته الغضبية يسفك الدماء التي لم تكن تحلّ له ، ويتولى خلافة الله تعالى بقوته الملكية التي هي العقل ، فلما سمع الملائكة أن هذا الإنسان مركب هذه التراكيب ، ورأوا القوة التي بها تصلح خلافته القوة التي خصوا بها ، ونظروا إلى زيادة القوتين ، ولم يعرفوا فضيلتهما ، فاستكبروا ورجعوا أمر الله وقالوا : أما العبادة التي هي التسبيح والتقديس المختصة بالقوة الملكية ، فنحن نقيمها . فما معنى الإنسان المركب تركيبًا لا ينفك من فساد وقتل ؟ وقال تعالى في جوابهم : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فعرض ولم يصرح ليريهم تفضيل الإنسان وما خص به من العلم والعمل اللذين يقصر الملك عنهما وللإجمال في قوله تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

بيِّن في قوله ، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾

قال مسلم في صحيحه : أخبرنا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عن يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ النبي ﷺ قَالَ : **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ جَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَجْوَفَ قَالَ : ظَفِرْتُ بِهِ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ»**(١).

وروي :عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما أراد الله أن يخلق بعث ملكًا من الملائكة من حملة العرش أن يأتي بتراب من الأرض ، فلما أهوى ليأخذه منها قالت : إني أسألك بالذي أرسلك إليَّ أن تأخذ مني اليوم شيئًا يكون للنار فيه نصيب غدًا . قال : فتركها ، فلما رجع إلى ربه قال : ما منعك أن تأتيني بما أمرتك به ؟ قال : يا رب ؟ سألتني بك أن لا آخذ شيئًا يكون للنار فيه نصيب غدًا ، فأعظمت أن أرد شيئًا سألني بك . قال : ثم أرسل أخر من حملة العرش ، فلما أهوى ليأخذ منها قالت له مثل ذلك ، فتركها ورجع إلى ربه ، فقال له مثل ما قال الأول ، حتى أرسل حملة العرش كلهم كل ذلك يقول لهم مثل ذلك ، فيرجعون إلى ربهم ، فيقول لهم مثل ذلك ، حتى أرسل ملك الموت ، فلما أهوى ليأخذ منها قالت له الأرض : أسالك بالذي أرسلك إليَّ ألاَّ تأخذ مني اليوم شيئًا يكون للنار منه نصيب غدًا ، فقال : ملك الموت : الذي أرسلني إليك أحق بالطاعة منك ، فأخذ من وجه الأرض كلها طيبها وخبيثها ، حتى كانت قبضته عند موضع الكعبة ، فجاء بهم إلى ربه ، فصب عليها من ماء الجنة حتى كانت حمأ مسنونًا ، فخلق منها آدم بيده . فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، وهذا في صحته نظر(٢).

(١) حديث صحيح ، رواه مسلم (٢٦١١) ، أحمد (٣/ ١٥٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ١٥٤) ، أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٦٨) (٣٣٢١) ، الطيالسي (٢٠٢٤) ، عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٨٦) ، الروياني في «مسنده» (٢/ ٣٨٩) (١٣٧٩) ، الحاكم (١/ ٩٣) (٢/ ٥٩١) ، ابن حبان (٦١٦٣/ إحسان) .

(٢) لم أجده ولعله من الإسرائيليات ، ومثله لا يقال إلا بوحي أو توقيف من النبي ﷺ .

قال أبو داود في «السنن» : حدثنا مسدد ، ثنا زيد بن زريع ويحيى بن سعيد ، قالا : حدثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، حدثنا أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : **«إنَّ الله خَلَقَ آدمَ من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنُو آدمَ على قدر الأرض . منهم الأبيض والأحمر والأسود ، والحسن والطيب ، والسهل والخبيث»**[١]. فهذا الحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى قبض قبضة من جميع الأرض خلق منها آدم ، وفيما سبق أنه أرسل ملكًا يقبض منها ، وهذا ينافي ما سبق .

وفي هذا الحديث ما يشعر بأنه فضل من تلك القبضة بقية ، ولعله سبحانه وتعالى خلق منها تلك النخلة ، فإنه قد جاء في حديث علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : **«اكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من فضل طين آدم ، ليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران»**[٢]. لكن ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات وقال : لا يصح لأن فيه مسرور بن سعيد التميمي يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بها .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول ﷺ : **«خَلَقَ اللهُ آدمَ من تُراب الجابية وعجنه بماء الجنة»**[٣]. قال ابن الجوزي : لا يصح هذا الحديث فيه الوليد بن

---

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود (٤٦٩٣) ، الترمذي (٢٩٥٥) ، أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦) ، الروياني في «مسنده» (١/ ٣٥٦) (٥٤٧) ، عبد بن حميد في «المنتخب» (٥٤٩) ، ابن حبان (٦١٦٠، ٦١٨١/ إحسان) ، الحاكم (٢/ ٢٨٨) قال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣) كلهم من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا ، ورواه عبد بن حميد من طريق هوذة بن خليفة عن قسامة . . . به وإسناده صحيح وقد صححه الألباني في «صحيح أبي داود» .

(٢) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١٩) إلى ابن أبي حاتم في «التفسير» ، وقال : «حديث منكر جدًا» .

(٣) انظر «الفردوس» (٢٩٣٠) للديلمي .

مسلم ، وهو مدلس عن إسماعيل بن رافع ضعفه الإمام أحمد ، فسماها عمتنا لأنها خلقت من فضل طينة آدم ، وقيل : معنى قوله عمتكم شبيهتكم ، ووجه تشبيهها بالإنسان أنها أقرب النبات مرتبة من الحيوان .

قال الحكماء : كل نبات إذا قطع رأسه انجبر إذا سلم أصله إلا النخلة ، فإنه إذا قطع رأسها بطلت ، وقيل : إن النخلة ربما يقابلها الجمار فتصبو كما تصبو المرأة إلى الرجل ، فلا ينفعها تلقيح إلا منه .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إنَّ آدمَ عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ قال : ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾** قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم . قال الله تعالى : هلموا ملكين حتى نهبطهما إلى الأرض ، فننظر كيف يعملان . قالوا : ربنا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ، فمثلت لهما الزهرة من أحسن البشر ، فجاآها فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك ، فقالا : لا والله لا نشرك بالله شيئًا ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي ، فقالا : والله لا نقتله أبدًا . فذهبت عنهما ، ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا فسكرا فوقعا عليها ، وقتلا الصبي ، فلما أفاقا قالت المرأة : والله ما تركتما شيئًا مما أبيتماه عليَّ إلاَّ قد فعلتماه حين سكرتما ، فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا»[1]. وهذا الحديث لا يصح ، لأنه ذكر فيه أن الملائكة قالت

(١) الموقوف أصح ؛ رواه أحمد (٢/ ٣٤) ، ابن حبان (٦١٨٦/ إحسان) ، عبد بن حميد في «المنتخب» (٧٨٧) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٤) ، وفي «شعب الإيمان» (١/ ١٨٠) (١٦٢ ، ١٦٣) كلهم من حديث ابن عمر مرفوعًا ، ورواه الحاكم (٤/ ٦٥٠) عن ابن عمر موقوفًا ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١٨١) (١٦٤) (٥/ ٢٩٢) (٦٦٩٥) عن ابن عمر عن كعب موقوفًا ، وقال البيهقي : « قال الشيخ أحمد هذا هو الصحيح من =

لله : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لما أهبط آدم إلى الأرض وهو مخالف للقرآن .

قوله : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[١]. قال أهل التفسير : خلق في قلبه علمًا بالأسماء وألهمه العلم بها ، وعلمه أسماء كل شئ حتى القدر والمعرفة . قال الواقدي : قال أهل التأويل : إن الله سبحانه وتعالى علم آدم جميع اللغات ، ثم إن أولاده تكلم كل واحد بلغة أخرى ، ولما تفرقوا اختص كل فرقة بلغة ، فاللغات كلها إنما سمعت من آدم وأخذت عنه ، انتهى .

وقد اختلف في واضع اللغات هل هو الباري سبحانه كما هو المشهور ، أو البشر واحد أو جماعة ، وهي مسألة مشهورة[٢]. وقوله : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

= قول كعب» ، ورواه الحاكم (٢/ ٢٨٧، ٢٩٢، ٤٨٠) موقوفًا على ابن عباس وقال : «صحيح الإسناد» ، وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي : «الصحيح أنه موقوف على كعب» ، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٧٠٠٢١) موقوفًا على مجاهد .

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٣٩) : «وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ ، كما قال عبد الرزاق في «تفسيره» عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم ، عن ابن عمر عن كعب الأحبار» ثم ذكر إسناد ابن أبي حاتم وابن جرير وقال : «فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين ، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل ، والله أعلم» ا هـ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣١٣) : «. . . وهذه الحجة مبنية على مقدمتين :

إحداهما : أن مبدأ اللغات «توقيفية» ، وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها ، لا تعريفه بعلم ضروري ، وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء ، وأهل الحديث والأصول ، فقال قوم : إنها توقيفية ، وهو قول أبي بكر عبد العزيز والشيخ أبي محمد المقدسي ، وطوائف من أصحاب الإمام أحمد ، وهو قول الأشعري ، وابن فورك ، وغيرهما ، وقال قوم : بعضها توقيفي ، وبعضها اصطلاحي ، وهذا قول طوائف : منهم ابن عقيل ، وغيره ، وقال قوم : يجوز فيها هذا وهذا ، ولا نجزم بشئ ، وهذا قول القاضي أبي يعلى والقاضي أبي بكر الباقلاني،=

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[١]. العرض : الإظهار . قال أهل التفسير : إن الله خلق كل شئ : الحيوان والجماد ، ثم علَّمَ آدم أسماءها ، ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ، ولذلك قال : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ لأنه إنباء عن المسمى والمسميات ، وكان فيهم من يعقل من الملائكة والجن . ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[٢]. أخبروني . والنبأ : الخبر ، وهذا أمر تعجيز أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون ، فلا يظنون أنهم أعلم من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض .

قوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .قال الحسن : إن كنتم صادقين إني لا أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه وأفضل . قال أبو العالية : لما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا : لن يخلق الله خلقًا إلا كنا نحن أعلم منه وأفضل .

فأحب الله أن يعلمهم أنه قد فضل آدم عليهم ، فعلمه الأسماء كلها ، ثم ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[٣]. قالت الملائكة سبحانك : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا

= وغيرهما . ولم يقل إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ورأس هذه المقالة أبو هاشم الجبائي والذين قالوا إنها «توقيفية» تنازعوا : هل التوقيف بالخطاب ، أو بتعريف ضروري أو كليهما ؟ فمن قال : إنها توقيفية ، وإن التوقيف بالخطاب أو بتعريف ضروري أو كليهما ؟ فمن قال : إنها توقيفية ، وإن التوقيف بالخطاب ، فإنه ينبني على ذلك أن يقال : إنها غير مخلوقة لأنها كلها من كلام الله تعالى ؛ لكن نحن نعلم قطعًا أن في أسماء الأعلام ما هو مرتجل وضعه الناس ابتداء ، فيكون التردد في أسماء الأجناس .
وأيضًا : فإن تعليم الله لآدم بالخطاب لا يوجب بقاء تلك الأسماء بألفاظها في ذريته ، بل المأثور أن أهل سفينة نوح لما خرجوا من السفينة أعطى كل قوم لغة ، وتبلبلت ألسنتهم ، وهذه المسألة فيها تجاذب ، والنزاع فيها بين أصحابنا وسائر أهل السنة يعود إلى نزاع لفظي فيما يتحقق فيه النزاع ، وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوي» اهـ كلامه .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣١ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .

عَلَّمْتَنَآ﴾(١). فأقروا بالعجز . واعتذروا . قال ابن عباس «سبحانك» تنزيهًا لك وتعظيمًا عن أن يعلم الغيب أحد سواك ، وقيل : تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك في حكمك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وهذا ليس مما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . وفيه تنبيه على استعمال الأدب عند سؤال العلم .

قال بعض الحكماء :الافتخار مدرجة للسقوط انظر كيف قالت الملائكة : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك إلى أن اعترفوا بعدم العلم ، فمن استكثر على الله طاعته فالجهل موطنه . ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ فسمى كل شئ باسمه وألحق كل شئ بجنسه . ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٢).أي أعلم ما غاب فيهما عنكم لقوله :﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٣). له ما غاب فيهما ملكًا وخلقًا . ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾(٤).من قولكم : أتجعل فيها من يفسد فيها ، وما كنتم تكتمون من إضمار إبليس الكفر ، وقال الحسن : معنى قولهم : (لن يخلق الله خلقًا أفضل ولا أعلم منا) . وفي الآية حجة على أن العلم أفضل من العبادة ، فإن الملائكة أذعنوا لآدم بالعلم .

قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾(٥). أخبر سبحانه عن نفسه المقدسة بالجمع لأنه ملك الملوك ، واختلفوا في الملائكة الذين أمروا بالسجود ، فقيل : هم الذين كانو مع إبليس في الأرض .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : هذا القول ليس من أقوال

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٧٧ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٣٤ ، وسورة الأعراف ، الآية : ١١ ، وسورة الإسراء ، الآية : ٦١ .

المسلمين ، بل من أقوال اليهود والنصاري ، وقيل : هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل . وهذا قول العامة من أهل العلم بالكتاب والسنة .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : ومن قال خلافه ، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان لأنه سبحانه قال : ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠﴾[1]. وهذا تأكيد للعموم .

وقد روى ابن جرير من حديث شعيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال :﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[2]. فإذا خلقته فاسجدوا له . قالوا : لا نفعل ، فأرسل سبحانه عليهم نارًا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة ، فقال لهم مثل ذلك فقالوا : سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين[3]. وفي صحة هذا نظر ، والظاهر أنه إسرائيلي .

وأصل السجود في اللغة : الخضوع والتذلل .

واختلف الناس في هذا السجود على قولين ، أحدهما : أنه تكريم لآدم وطاعة لله ولم يكن عبادة لآدم . وقيل : السجود لله وآدم قبلة ، أو السجود لآدم تحية ، أو السجود لآدم عبادة بأمر الله وفرضه عليهم .

ذكر ابن الأنباري عن الفراء وجماعة من الأئمة : أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة وكان ذلك تحية الناس ، ولم يكن وضع الوجه على الأرض ، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام ، ولو كان آدم قبلة في سجدة واحدة لكانت الكعبة وبيت المقدس أفضل منه بألوف كثيرة ، إذا جعلت قبلة أئمة في جميع أنواع الصلوات .

فهذه القضية الكبيرة التي جعلت من أعظم النعم عليه ، ومنَّ الله عليه بها ليس فيها إلا أنه جعله كالكعبة في وقت في ركن من أركان الصلاة مع أن ما

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٣٠ .
(٢) سورة ص ، الآية ٧١ .
(٣) انظر «التفسير» لابن جرير (١٨٦/١) .

أوتيه من العلم والإيمان والقرب من الرحمن أفضل من الكعبة بكثير .

قال أهل العلم : السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : على هذا إجماع كل من يسمع قوله ، فإن الله قال : ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ ولم يقل إلى «آدم» ، وكل حرف له معنى وفرق بين سجدت له ، وبين سجدت إليه ، قال تعالى : ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾(١) . ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) .

أجمع المسلمون على أن السجود للأحجار والأشجار والدواب محرم ، وأما الكعبة فيقال : كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس ، ثم صلى إلى الكعبة ، ولا يقال صلى لبيت المقدس ولا للكعبة .

والصواب أن الخضوع بالقلوب ، والاعتراف بالعبودية لا يصلح على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى ، وأما السجود فشريعة من الشرائع يتبع الأمر ، فلو أمرنا سبحانه أن نسجد لأحد من خلقه لسجدنا طاعة واتباعًا لأمره ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه ، وهو لآدم تشريف وتعظيم وتكريم . وسجود أخوة يوسف له تحية وسلام ، ولم يأت أن آدم سجد للملائكة بل لم يؤمر بالسجود إلا لله رب العالمين .

وبالجملة : أهل السنة قالوا : إنه سجود تعظيم وتكريم وتحية له .

وقالت المعتزلة : كان آدم كالقبلة يسجد إليه ولم يسجدوا له . قالوا ذلك هربًا من أن تكون الآية الكريمة حجة عليهم ، فإن أهل السنة قالوا إبليس من الملائكة ، وصالح البشر أفضل من الملائكة ، واحتجوا بسجود الملائكة لآدم ، وخالفت المعتزلة في ذلك وقالت : الملائكة أفضل من البشر وسجود الملائكة لآدم كان كالقبلة ويبطله ما حكى الله سبحانه عن إبليس : ﴿قَالَ

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧ .
(٢) سورة الرعد ، الآية : ١٥ .

أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

فصل

في معصية إبليس وعدم سجوده لآدم

قوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢). وفيه قولان : أحدهما : أنه وقت العبادة كان منافقًا ، والقول الثاني : أنه كان مؤمنًا ثم كفر . وهذا قول الأكثرين فقيل في معنى الآية : وكان من الكافرين في علم الله . أي كان عالمًا في الأزل أنه سيكفر . والذي عليه الأكثر ون : أن إبليس أول كافر بالله إلى ماهية تقتضي وجودها . أو يقال معنى الآية أنه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك .

واختلف الناس بأي سبب كفر إبليس لعنه الله ، فقالت الخوارج : إنما كفر بمعصية الله وكل معصية كفر ، وهذا قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

واختلف آخرون : كفر بترك السجود لآدم ومخالفته أمر الله . وقال : السجود في الصلاة ركن واحتج به طائفة على كفر تارك الصلاة ، كما هو مذهب أحمد . وحكى إجماع الصحابة ، وقال أبو هريرة : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئًا من تركه ، فقد كفر إلا الصلاة رواه الحاكم ، وقد جاء تكفير تارك الصلاة عن أحد عشر نفسًا من الصحابة ، وسبعة من التابعين وعامة فقهاء الحديث(٣).

(١) سورة الإسراء ، الآية ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .

(٣) عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة . رواه الترمذي (٢٦٢٢) وصححه الألباني ، وعن جابر عن النبي ﷺ قال : **«ليس بين العبد وبين الشرك إلا ترك الصلاة»** رواه مسلم (١٣٤) ، =

....

= ابن ماجه (١٠٨٠) ، الترمذي (٢٦١٩) ، وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» . رواه الترمذي (٢٦٢١) ، ابن ماجه (١٠٧٩) وصححه الألباني .
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥٠٦/٧) : «وأما الفرائض الأربع : فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر . . . وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئًا من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء هي روايات عن أحمد :
. . . والثالث لا يكفر إلا بترك الصلاة وهذه الرواية الثالثة عن أحمد ، وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك ، والشافعي ، وطائفة من أصحاب أحمد .
. . . وهذه المسألة لها طرفان : أحدهما : في إثبات الكفر الظاهر ، والثاني : في إثبات الكفر الباطن .
فأما الطرف الثاني : فهو مبني على مسألة كون الإيمان قولًا وعملًا كما تقدم ، ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه ، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ، ولا يصوم من رمضان ، ولا يؤدي زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة ، لا مع إيمان صحيح ، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار ، كقوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد في الحديث الطويل حديث التجلي «**أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة ، سجد له المؤمنون وبقي ظهر من كان يسجد رياء وسمعة ، مثل الطبق لا يستطيع السجود**». رواه البخاري (٧٤٣٩) ، مسلم (٣٠٢) فإذا كان هذا حال من سجد رياء فكيف حال من لم يسجد قط ؟ وثبت أيضًا في الصحيح : «**إن النار تأكل من ابن آدم كل شئ إلا موضع السجود ، فإن الله حرم على النار أن تأكله**» رواه البخاري (٧٤٣٧) ، مسلم (٢٩٩) فعلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله النار كله وكذلك ثبت في الصحيح : «أن النبي ﷺ يعرف أمته يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء» رواه البخاري (١٣٦) ، ومسلم (٣٤).
فدل ذلك على أن من لم يكن غرًّا محجلًا لم يعرفه النبي ﷺ فلا يكون من أمته . . .
وكذلك وصف أهل سقر بأنهم لم يكونوا من المصلين ، وكذلك قرن التكذيب بالتولي في قوله :﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾ . .الآيات . وأيضًا في القرآن علق الأخوة في الدين على نفس أقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، كما علق على ذلك التوبة من الكفر ، فإذا انتفى ذلك =

وقال آخرون : كفر إبليس لأنه خالف الأمر الشفاهي من الله ، فإن الله خاطب الملائكة وأمرهم بالسجود ومخالفة الأمر الشفاهي أشد قبحًا .

وقال جمهور الناس : كفر إبليس لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده واستدل بأنه خير منه كما يأتي ، فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته . وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله : **«لا يدخلُ الجنَّة مَنْ كان في قلبه ذرَّة من كبر»**[١] .

وقال الميموني : ذكر أبو عبد الله بن حنبل إبليس ، فقال : إنما أمر بالسجود فاستكبر وكان من الكافرين والاستكبار هو كفر ، وقد حكى الشهرستاني في أول كتابه «الملل والنحل» عن شارح الأناجيل الأربعة ، قال : اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس ومصدرها استمراره بالرأي في مقابلة النص ، واختياره الهوى ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على الطين ، وتشعبت عن هذه الشبهة سبع شبهات ، وسارت في الخليقة ، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة ، ومذكورة في

= انتفت الأخوة ، وأيضًا فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة»** وفي المسند **«من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه الذمة»** رواه أحمد (٥/٢٣٨) وصححه الألباني . وأيضًا فإن شعار المسلمين الصلاة ، ولهذا يعبر عنهم بها فيقال : اختلف أهل الصلاة ، واختلف أهل القبلة ، والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون : «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» وفي الصحيح **«من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم له ما لنا وعليه ما علينا»** رواه البخاري (٣٩٣) ، وأمثال هذه النصوص كثيرة في الكتاب والسنة» اهـ كلامه .

(١) حديث صحيح ، رواه مسلم (٩١) ، أبو داود (٤٠٩) ، الترمذي (١٩٩٨) ، ابن ماجه (٥٩) (٤١٧٣) ، أحمد (١/٤٥١) ، أبو يعلى في «مسنده» (٨/٤٧٧) (٥٠٦٦) ، ابن حبان (٥٤٦٦/إحسان) ، الحاكم (١/٧٨) ، الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٥) (١٠٠٠٠) ، وفي «مسند الشاميين» (١/٤٢٣) (٧٤٥) ، ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢١٨) كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الحاكم (٣/٤٧٠) عن عبد الله بن سلام ، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/٢٩٣) (٢٨٢١) عن مالك بن حرارة الرهاوي ، والطبراني في «الكبير» (٧/١٥٣) (٦٦٦٨) عن السائب بن يزيد .

التوراة متفرقة على شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه .

وقال إبليس لعنه الله للملائكة يتوجه على مساق حكمته سبحانه أسئلة سبعة . قال شارح الأناجيل الأربعة : فأوحى الله من سرادقات الجلال والكبرياء : يا إبليس ! ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شئ من أفعالي ، فإنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل انتهى .

وهذه القصة والمناظرة هي من نقل أهل الكتاب . ونحن لا نصدقها ولا نكذبها ، وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت على لسان إبليس ولا ريب أنها من كيده ، وقد أخبر الله سبحانه أن كيد الشيطان كان ضعيفًا ، وأسئلته وشهادته من أضعف الأسئلة عند أهل الإيمان . وأن ضعف موقعها عند من أصل أصولًا فاسدة كانت سدًّا بينه وبين ردها وفي ذلك كلام طويل لا يسعه هذا الموضع .

فصل

في ندم آدم لأكله من الشجرة

قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]. أكثر الناس على أن المراد بالجنة التي أسكنها آدم جنة الخلد دار الثواب . قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : وهذا قول أهل السنة والجماعة . قال الشيخ تقي الدين : من قال أنها جنة في الهند أوجدت أو غير ذلك ، فهو من الملحدة المبتدعين ، والكتاب والسنة يرد هذا القول .

وقالت طائفة : في الأرض ليست جنة الخلد ، وقد استوفى الكلام فيها في «مفتاح دار السعادة» وكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»[2].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .

(٢) كلاهما للإمام المحقق المحدث المفسر شيخ الإسلام ابن القيم عليه رحمة الله تعالى .

وهذا مشهور في كتب التفسير في قوله : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ هل هو أمر إيجاب أو إباحة ، فعن قتادة: إن الله تعالى ابتلى آدم بإسكان الجنة، كما ابتلى الملائكة بالسجود لآدم، لأنه أسكن فيها آدم يأكل حيث شاء، ونهاه عن أكل شجرة واحدة فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهى عنه ، فإسكانه موضعًا فيه مشتهاه ، ثم منعه منه من أشد التكاليف فقيل : هو إباحة لأن الاستقرار في المواضع المنزهة لا يدخل تحت الانتفاع بنعيم الجنة ، وأما التكليف فنهي مع حضور ما نهى عنه قوله تعالى : ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾(١) . قال في الأعراف : «فكلا» وهنا الواو لأن كل فعل عطف عليه شيء ، وكان ذلك الفعل كالشرط ، وذكر الشيء كالجزاء عطف بالفاء دون الواو كقوله تعالى :﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾(٢). لما كان وجود الأكل منها متعلقًا بدخولها ذكر بالفاء ، كأنه إن دخلتموها أكلتم منها ، فالأكل يتعلق وجوده بوجود الدخول وقوله في الأعراف :﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾(٣). بالواو دون الفاء لأنه من السكنى ، وهو المقام مع اللبث الطويل ، والأكل لا يختص وجوده بوجوده ، لأن من دخل بستانًا قد يأكل منها وإن مجازًا ، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط عطف بالواو إذا ثبت هذا ، فنقول قد يراد بـ «اسكن» الزم مكانًا دخلته ، ولا تنتقل عنه ، وقد يراد ادخله واسكن فيه . ففي البقرة ورد الأمر بعد أن كان آدم في الجنة ، فكان المراد المكث والأكل لا يتعلق به فجيء بالواو ، وفي الأعراف ورد قبل أن دخل الجنة والمراد الدخول والأكل متعلق به فورد بالفاء . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤).

قد اختلفوا في تعيين الشجرة فقال ابن مسعود : هي شجرة العنب .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٥٨ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٦١ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .

وقال ابن عباس : هي السنبلة ، وجاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ : «مثل على البقر أحلى من العسل وألين من الزبد»[١]. قال وهب بن منبه . قال ابن جريج : شجرة التين . ولذلك تعبر في الرؤيا بالندامة لآكلها لأجل ندم آدم على أكلها . وقال على : شجرة الكافور .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ لقصد عن قرب الشجرة المبالغة في النهي عنها ، لأن القرب من الشيء مقتضى الألفة والألفة داعية للمحبة ومحبة الشيء تعمي وتصم ، فلا يرى قبيحًا ولا يسمع نهيًا فيقع ، والسبب الداعي إلى الشيء منهي عنه ، كما أن السبب الموصل إلى الخير مأمور به ، وعلى ذلك قوله ﷺ : «**العينان تزنيان**»[٢]. لما كان النظر داعيًا إلى الألفة ، والألفة إلى المحبة ، وذلك مقتضى لارتكابه ، فصار النظر مبدأ الزنا وعلى هذا قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]. وهذا أولى مما حكاه البغوي ، عن بعض الحكماء أنه قال : ولا تقربا هذه الشجرة للأكل منها ، وقال بعضهم : حرمة الأكل على آدم وحواء عرفت من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾[٤]. ومن تصدير الكلام

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٢٣١) عن وهب بن منبه بسند ضعيف .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخاري (٢٤٣ ، ٥٨٨٩ ، ٦٢٣٨) ، مسلم (٢٦٥٧) ، أبو داود (١٥٢، ٢١٥٣) ، الترمذي (٥٨٨٩، ٦٢٣٨) ، أحمد (٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٤١١ ، ٤٣١) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٣٨٧) (٦٥٠١) ، ابن خزيمة (٣٠) ، ابن حبان (٤٤١٩ ، ٤٤٢٣/إحسان) ، الحاكم (٢/ ٥١١) في «المستدرك» ، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٦/ ٤٧٣) (٧/ ٨٩) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٥٥) (١٠٣٠٣) عن ابن مسعود ، ورواه أيضًا في «الكبير» (١٨/ ٨) (٨) عن علقمة بن الحويرث ، ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٧٠) (١٠٢٥) عن علقمة ابن الحويرث ، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٠) عن ابن مسعود ، ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٦٨٠) عن أبي هريرة موقوفًا ، ورواه أحمد (٢/ ٢٧٦) عن ابن عباس عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٢- ٣٤ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٢ .

بإباحة الأكل من قوله : ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(١). فدل ذلك على أنه نهاهما عن أكل تلك الشجرة ، لكن النهي بـ(لا تقربا) يعم الأكل ، وسائر الانتفاعات ، قال ابن العربي : سمعت الشاشس في مجلس النظر يقول : إذا قيل : لا تقرب بفتح الراء كان معناه : لا تلبس بالفعل ، وإذا كان بضم الراء معناه لا تدن .

فصل

في غواية إبليس لآدم

قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾(٢). قرأ الجماعة ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بغير ألف من الزلة ، وهي الخطيئة ، أي استزلهما وأوقعهما فيها . وقرأ حمزة (فزالهما) بالألف من التنحية يقال أزلته فزال ، واتفق الناس أن الشيطان كان متول إغواء آدم ، واختلف في الكيفية ، فقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وجمهور العلماء : أغواهما مشافهة ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾(٣). والمقاسمة : ظاهرها المشافهة .

قال بعضهم ، وذكر عبد الرزاق ، عن وهب بن منبه : دخل الجنة في فم الحية وهي ذات قوائم أربع كالبختية ، وهي من أحسن دابة خلقها الله بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوانات ، فلم يدخله إلا الحية ، فلما دخلت به خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها ، فجاء إلى حواء ، فقال لها : انظري إلي هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها وأحسن لونها ، فلم يزل يغويها حتى أخذتها حواء فأكلتها ، ثم أغوى آدم

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٩ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢١ .

وقالت له حواء : كُلْ فإني قد أكلت منها ، فلم يضرني ، فبدت لهما سوآتهما وحصلا في حكم الذنب ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : أين أنت ؟ قال : أنا هنا يا رب ! قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يا رب . قال : اهبط إلى الأرض التي خلقت منها ، ولعنت الحية وردت قوائمها في بطنها ، وجعلت العداوة بينها وبين آدم ، ولذلك أمر بقتلها . وقيل لحواء : كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرهًا تشرفين به على الموت مرارًا ، وتكوني سفيهة ، وقد كنت حليمة . وقيل : كانت الحية خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكَّنت عدو الله من نفسها ، وأظهرت له العداوة هناك ، فلما أهبطوا تأكدت العداوة وفي الحديث : «ما سالمناهم منذ عاديناهم» .

قال صفوان : حدثنا ابن عجلان ، عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : في الحيات : **«ما سالمناهم منذ عاديناهم ومن ترك شيئًا منهم خيفة فليس منَّا»**(١) .

سئُل أحمد بن صالح عن قوله : «**وما سالمناهم منذ عاديناهم**» متى كانت هذه العداوة ؟ قال : حين أخرج آدم من الجنة : ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (٢) .

وقالت طائفة : إن إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعدما خرج منها ، وإنما أغوى بشيطانه ووسواسه وسلطانه الذي أعطاه الله ، كما قال ﷺ : «**إنَّ**

---

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود (٥٢٤٨) ، أحمد (٢/٢٤٧ ، ٤٣٢ ، ٥٢٠) ، الحميدي (١١٥٦) ، الطبري في «التفسير» (١/ ٢٤٠) ، ابن حبان (٥٦٤٤/ إحسان) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه أبو داود (٥٢٥٠، ٥٢٥١) ، أحمد (١/ ٢٣٠) ، الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٠١) (١١٨٠١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٦) عن عمر موقوفًا ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٦ .

الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرى الدَّمِ»(١). والله أعلم.

وبكل حال : فإزلال إبليس آدم هو قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾(٢). وقوله : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(٣). ومقاسمته إياهما بقوله : ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(٤). قال : فالأكثرون على أن ذلك كان بالمشاهد ، ومنهم من قال : كان كما قال : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾(٥). وأيدوا ذلك بأنه كيف يقبل آدم مع كمال عقله من إبليس ومعرفته بعداوته .

وقال سبحانه حكاية عنه في وسوسته لهما في سورة الأعراف : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ قيل : دخل الجنة بإدخال الحية إياه ، وقيل : من خارج بالسلطنة التي جعلت له ليبدي لهما ما ووري ، أي : ستر عنهما من سوآتهما ، والمراد الفرج . فقيل : إنما بدت سوآتهما لهما لا لغيرهما كان عليها نور لا ترى عوراتهما ، فزال النور ، وقبل الثوب ، فتهافت وقوله تعالى : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ذكر إبليس للنهي أمرين :

أحدهما : أن الله إنما نهاهما عن أكل الشجرة إلا كراهية أن يكونا ملكين يعلمان الخير والشر ، أو ملكين لا يكون لهما شهوة الطعام والشراب أو ملكين في الصورة والأجنحة والكرامة .

---

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (١٩٣٤ ، ٦٧٥٠) ، مسلم (٢١٧٤، ٢١٧٥) ، أبو داود (٤٧١٩) ، الترمذي (١١٧٢) ، الدارمي (٢/ ٤١١) (٢٧٨٢) ، أحمد (٣/ ٢٨٥، ٣٠٩) ، النسائي في «الكبرى» (٢/ ٢٦٣) (٣٣٥٨) ، القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩٥) ، البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨٨) .

(٢) سورة طه ، الآية : ١٢٠ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢١ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠ .

وقرأ ابن عباس وجماعة : «ملكين» بكسر اللام . وأنكر أبو عمرو بن العلاء هذه القراءة ، وقال : لم يكن قبل آدم ملك فيصيرا ملكين . قال ابن عباس : أتاهما الملعون من جهة الملك ولهذا قال : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ . وزعم أبو عبيدة أن الاحتجاج بقوله ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ حجة بينة ولكن الناس على تركها فلهذا تركناها .

قلت : ويمكن الجمع بأن آدم رأى أن الملائكة لها ملك التدبير ، فإن الله سبحانه جعل للملائكة تصرفًا في العالم ، وكذا رأي لها تصرفًا في أمور الجنة فأراد ذلك ، فدخل عليه إبليس من هذه الجهة .

الأمر الثاني :أنه غرهما بالخلد وأن الله إنما نهاهما عن الأكل من الشجرة مخافة الخلد ، فإنها شجرة الخلد ولعل آدم عليه السلام فهم من قوله تعالى : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أن الإسكان لا يقتضي الدوام ، فلما أسكنها ورأى ما فيها تمنى الخلد ، فقال له إبليس : هذه شجرة الخلد إن أكلت منها خلدت في الجنة ، فدخل عليه من الشهوة والحرص .

وقد قال بعض الحكماء ، فيما نقل عن ابن عباس أو غيره من السلف : إن إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أن تحمله فتدخله الجنة ليكلم آدم ، فأبت عليه الدواب حتى كلَّم الحية ، فجعلته بين نابين من أنيابها ، فأدخلته الجنة ليكلم آدم ، من فيها ، فلذلك أمر الإنسان بقتلها فقوله : عرض نفسه على دواب الأرض ؟ أي استعان بقوى الإنسان ، فلم يجد قوة يستعين بها حتى أتى الحية . أي الشهوة ، وكنى بالحية عن الشهوة ، كأنها حية لا يبرأ سليمها . وذلك أن الشيطان لا يأتي ابن آدم إلا من قبل هواه ، فجعلته بين نابيها : كناية عن الأكل إذ هو أعظم شهوة يتمكن بها الشيطان من الإنسان . وقوله : فلذلك أمر الإنسان بقتلها . أي أُمر أن يقهر الشهوة ويذللها ، وهذا الذي ذكره هذا الحكيم ، وإن كان صحيحًا إلا أنه ترك لظاهر الخبر ، وفتح باب التأويلات . واعلم أن الحية مناسبة لما غر به إبليس لآدم ، فإن الحية لا تموت .

قال الأصمعي : الحية لا تموت لأنها حية . أبدًا لا تموت حتى يشدخ رأسها . ذكره أبو الشيخ الحافظ في كتاب «النوادر» ، فلما جاءه بالحية يذكره بالحياة ، ومعنى الحية مخلدة لا تموت .

فصل

في كيفية خروج آدم من الجنة

آدم عليه السلام لم يخرج من الجنة إلا بالتأويل ، فالتأويل لنص الله أخرجه ، وإلا فهو لم يقصد المعصية والمخالفة ، وأن يكون ظالمًا مستحقًّا للشقاء . واختلف الناس في وجه تأويله ، وكيف أكل من الشجرة مع اقتران النهي بالوعيد . ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] .

فقالت طائفة : أكلا من غير المشار إليه ولم يربا النهي واقعًا على الجنس ، وعبر إبليس بالظاهر ، فإن لفظة هذا يشار بها إلى الشخص ، ويشار بها إلى الجنس كقوله ﷺ : **«هذان حرامان على ذكور أمتي»**[2]. مشيرًا إلى الذهب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ ، سورة الأعراف ، الآية : ١٩ .

(٢) حديث صحيح ، رواه أبو داود (٤٠٥٧) ، ابن ماجه (٣٥٩٥) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ٤٣٦) (٩٤٤٥) ، وفي «المجتبى» (٨/ ١٦٠) ، أحمد (١/ ٩٦) ، البزار (٨٨٦) ، عبد بن حميد (٨٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٢٣٥، ٢٧٣) (٢٧٢، ٣٢٥) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٥٢) ، ابن حبان (٤٣٤/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢٥) ، الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٩٧) (٢٣٤) ، وفي «الأوسط» (٥/ ٢٢٧) (٥١٦١) ، الضياء في «المختارة» (٢/ ٢٠٦، ٢٣٤) (٥٨٨، ٦١٣) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٥٠) كلهم من حديث على بن أبي طالب ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» ، ورواه الترمذي (١٧٢٠) وقال : وفي الباب عن عمر وعلى وعقبة بن عامر وأنس وحذيفة وأم هاني وعبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وعبد الله بن الزبير وجابر وأبي ريحان وابن عمر وواثلة بن الأسقع ، وحديث أبي موسى حديث حسن صحيح ، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ١٦١، ١٩٠) ، وفي «الكبرى» (٥/ ٣٢٧) (٩٤٤٩) ، أحمد (٤/ ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٧) عبد بن حميد (٥٤٦) ، الطيالسي (٥٠٦) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢٥) ، الطبراني في «المعجم الصغير» =

وإلى الحرير أراد الجنس ، فتأول آدم عليه السلام ، وحمل النهي المطلق على الشجرة المعينة ، وغره إبليس بأن تلك الشجرة شجرة الخلد ، كما لو قال الطبيب للمريض : لا تأكل هذا اللحم يشير إلى لحم بين يديه ، فأكل المريض من جنسه .

قال ابن العربي : اتباع الظاهر أول معصية عصى الله بها على هذا القول قال القرطبي : وهذا قول حسن ، وظنا أن المراد العين . أي الشجرة المعينة وكان المراد الجنس ، وهذا القول مشهور عن المعتزلة وفيه نظر ظاهر ، فإن الله تعالى أخبر عن إبليس قال : ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ (١). فذكر لهما عدو الله الشجرة التي نهيا عنها ، إما بعينها وإما بجنسها ، وصرح لهما بأنها المنهي عنها ، ولو كان عند آدم أن المنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصيًا بأكله من غيرها ، ولا أُخرج من الجنة .

وقال ابن العربي : في القول دليل على أن من حلف لا يأكل من هذا الخبز ، فأكل من جنسه حنث ، وأكثر العلماء قالوا : لا يحنث . وقال مالك وأصحابه : إذا اقتضى بساط اليمين تعين المشار إليه لم يحنث بأكل جنسه ، وإن اقتضى بساط اليمين أو سببها أو نيتها إليه حمل عليه وحنث بأكل غيره ، وعليه حملت قصة آدم عليه السلام لأنه نهى عن أكل شجرة

= (١/ ٢٨٢) (٤٦٤) كلهم من طريق سعيد بن أبي هند عن أبي موسى ، وفيه انقطاع فإن سعيد بن أبي هند لم يسمع من أبي موسى ، لكن يشهد له حديث على السابق وأحاديث أخرى في الباب قد أشار الترمذي إليها . ورواه أحمد (٤/ ٩٦، ١٠١) ، الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٤٩) (٨١٢) كلاهما من حديث معاوية رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجه (٣٥٧٩) ، الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٥٨٥) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو . ورواه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٢١١) (٥١٢٥) عن زيد بن أرقم ، ورواه في «الكبير» أيضًا (٢٢/ ٩٧) (٢٣٤) عن واثلة بن الأسقع ، ورواه في «الكبير» أيضًا (١١/ ١٥) (١٠٨٨٩) عن ابن عباس ، ورواه الطيالسي (٥٠٦) عن ابن عمر .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠ .

معينة لو أريد به جنسها ، فحمل القول على اللفظ دون المعنى .

وقالت طائفة : تأويل النهي على الندب كما في الحديث نهى النبي ﷺ عن الشرب قائمًا(١). قال ابن العربي : وهذا وإن كان مسألة أصولية من أصول الفقه ، فقد سقط ذلك هنا لقوله : ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقرن النهي بالوعيد ، وكذلك قوله : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾(٢). وقال الراغب : نسي الوعيد المقترن به ، فذلك حمله على الندب وهو معنى قوله : فنسي ، وحيث نهى الله عن الشيء ، وقرَّ بأنه لم يكن إلا للتحريم كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾(٣). ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾(٤). وقال ابن حزم : حمل الأمر على الندب والنهي على الكراهة يقع فيه الفقهاء والأفاضل كثيرًا ، وهو الذي يقع على الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به وعلى هذا السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله : ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي ظالمين لأنفسكما ، والظلم في اللغة : وضع الشئ في غير موضعه فمن وضع الأمر والنهي في موضع الندب والكراهة فقد وضع الشيء في غير موضعه .

وقالت طائفة : كان سكرانًا . قاله سعيد بن المسيب ويزيد بن قسط وكانا يحلفان بالله أنه ما أكل من هذه الشجرة وهو يعقل . قال ابن العربي : وهذا فاسد عقلًا ، لأن الأنبياء عليهم السلام بعد النبوة معصومون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم .

---

(١) حديث صحيح ، رواه مسلم (٢٠٢٥) ، ابن ماجه (٣٢١) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٧٥) (٩٨٨) ، ابن الجارود في «المنتقى» (٨٦٦) ، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٠٢٦) ، أحمد (٢/ ٣٢٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٨٢) ثلاثتهم من حديث أبي هريرة ، ورواه أبو يعلى (٥/ ٢٤٠) (٢٨٦٧) ، الدارمي (٢/ ١٦٢) (٢١٢٧) ، الترمذي (١٨٧٩) ، أحمد (٣/ ١١٨) ، كلهم من حديث أنس رضي الله عنه ، ورواه الترمذي (١٨٨١) من حديث الجارود بن المعلي رضي الله عنه .

(٢) سورة طه ، الآية : ١١٧ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٣٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ .

وقالت طائفة : أكلها ناسيًا ، ومن الممكن أنهما نسيا الوعيد على الأكل. قال القرطبي وهذا هو الصحيح . قال لاخبار الله تعالى حيث قال : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾(1) . ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام يلزمهم التيقظ والتحفظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ، كان تشاغله عن الذكر النهي تضييعًا صار به مخالفًا .

قال أبو أُمامة : لو أن أحلام بني آدم منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة وضعت في كفة ميزان ، ووضع حلم آدم في كفة أخرى لرجحهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ، ويحتمل أن يخص من عموم كلام أبي أُمامه نبينا ﷺ فأنه كان أوفر الناس حلمًا وعقلًا ، قال القرطبي : ويحتمل أن يخص منه الأنبياء عليهم السلام .

وقالت طائفة : تأول النهي على قربانهما معًا ، وعن أكلهما معًا لا عن أكل كل واحد منهما على انفراده ، وهذا ضعيف ، فإنه لا يفهم من قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾(2) . ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾(3) . ونظيره النهي عن الاجتماع على ذلك دون الانفراد ، ويقال : أول من أكل من الشجرة حواء بإغواء إبليس لها وأن أول كلامه كان معها ، لأنها وسواس المخدة وهي أول فتنة دخلت على الرجال من النساء فقال : مع منعتما عن هذه الشجرة إلا أنها شجرة الخلد ، فلما قالت حواء لآدم أنكر عليها ، وذكر العهد فألح على حواء وألحت حواء على آدم إلى أن قالت : أنا آكل قبلك حتى إن أصابني شيء سلمت أنت ، فأكلت فلم يضرها ، فأتت آدم وقالت : أنا آكل قبلك حتى إن أصابني شيء سلمت أنت ، فأكلت فلم يضرها ، فأتت آدم وقالت : كُلْ ، فإنِّي أكلت فلم يضر ، فأكل فبدت لهما سوآتهما ، وحصل في حكم الذنب لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فجمعهما في النهي

(1) سورة طه ، الآية : ١١٥ .
(2) سورة الإسراء ، الآية : ٣٤ .
(3) سورة الإسراء ، الآية : ٣٢ .

فلذلك لم تنزل بهما العقوبة ، حتى وجد المنهي عنه منهما جميعًا ، وخفيت على آدم هذه المسألة ، ولهذا قال بعض العلماء : من قال لزوجتيه ، أو أمتيه : إن دخلتما الدار فأنتما طالقتان أو حرتان ، فإن الطلاق والعتق لا يقع بدخول إحداهما في أحد قولي العلماء ، واختاره بعض أصحابنا وابن القاسم المالكي .

قال بعض أصحابنا : لو قال : إن حضتما فأنتما طالقتان ، فحاضت إحداهما لم تطلق واحدة منهما ، وإن حاضتا طلقتا .

والقول الثاني في المسألة تعتق وتطلق التي دخلت وحدها ، لأن دخول كل واحدة منهما شرط في طلاقها أو عتقها ، واختاره أشهب المالكي ، وهو نظير ما قاله أصحابنا في التدبير .

قال أحمد في عبد بين رجلين قالا له : إذا متنا فأنت حر ، ثم مات أحدهما عتقت حصته فقط ، فجعل أحمد موت كل واحد منهما شرطًا في عتق حصته .

قال القرطبي : الصحيح القول الأول ، فإن النهي إذا كان معلقًا على فعلين لا تتحقق المخالفة إلا بهما ، فإنك إذا قلت : لا تدخلا الدار ، فدخل أحدهما ما وجدت الصفة فيهما لأن قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ نهي لهما . ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جوابه ، لا تكونا من الظالمين حتى تفعلا ، فلما أكلَت لم يصبها شيء ، لأن المنهي عنه ما وجد كاملًا وخفي هذا المعنى على آدم ، فطمع ونسي هذا الحكم وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾(١) . وقيل : نسي . قوله : ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾(٢) .

قال بعض السلف : قال آدم عليه السلام : مما يفضل به ابنه صاحب

(١) سورة طه ، الآية : ١١٥ .
(٢) سورة طه ، الآية : ١١٧ .

البعير ﷺ أن زوجته كانت له عونًا على تبليغ أمر الله ، وأن زوجتي كانت عونًا لي على المعصية .

وقال أبو محمد بن حزم في «الملل والنحل» : لا براءة من المعصية أعظم من حال من ظن أن أحدًا لا يحلف حانثًا ، وهكذا فعل آدم عليه السلام ، فإنه أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيًا لنص القرآن ومتأولًا وقاصدًا إلى الخير ، لأنه قدر أنه يزداد حظوة عند الله فيكون ملكًا مقربًا أو خالدًا فيما هو فيه أبدًا ، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمر الله به ، وكان الواجب أن يحمل أمر ربه على ظاهره ، ولكن تأول وأراد الخير فلم يصبه ، ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورًا ، ولكن آدم لما فعل وأخرج عن الجنة إلى الدنيا كان بذلك ظالمًا لنفسه ، وقد سمى الله قاتل الخطأ قاتلًا كما سمى العامد والمخطئ يتعمد معصية ، وجعل في قتل الخطأ عتق رقبة ، وهو لم يعمد ذنبًا انتهى . فلعله يشير إلى ما قاله بعض المتقدمين : إن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالنص وإن شهد عليه لم يدخل بماضيه بل قد تلافاه واجتباه وهداه ومدحه وزكاه واختاره واصطفاه .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، وجماعة من المتأخرين : الصواب أن آدم عليه السلام لما قاسمه عدو الله أنه ناصح ، وأكد كلامه بأنواع من التأكيدات . أحدها : القَسَم ، الثاني : الإتيان بجملة اسمية فعلية ، والثالث : تصديرها بأداة التأكيد ، والرابع : الإتيان بلام التأكيد في الخبر ، والخامس : الإتيان به اسم فاعل لا فعلًا دالًا على الحدث . والسادس : تقديم المعمول على القليل فيه ، ولم يظن آدم أن أحدًا يحلف بالله كاذبًا يمين غموس ، فظن صدقه ، وأنه أكل منها لم يخرج من الجنة ، ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح ، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة اليمين في أثناء ذلك باعتذار أو توبة كما تجد هذا التأويل في نفس كل مؤمن أقدم على معصية .

فصل

ولاَمَ موسى عليه السلام آدم على أكله من الشجرة وتحاجا في ذلك كما في الصحيحين وغيرهما قال النبي ﷺ : **«فحج آدم موسى»**(١). وفيه كلام طويل .

قال رقبة بن مصقلة : مررت بقصَّار يلوي ثوبًا في يوم شديد البرد ، فقلت ما صنعت بكم الشجرة ؟ فقال لي : ليتها لم تخلق . فما رأيت أحدًا أسرع جوابًا منه .

فصل

ونظير هذه القصة وتأويل الناس لها قصته مع داود عليهما السلام ولم نجد من تأويلها ووجهها . قال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾(٢). **«أن أول ما جحد آدم عليه السلام أن الله تعالى أراه ذريته فرأى رجلاً أزهر ساطعًا نوره ، فقال يا رب ! من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال يا رب ! فما عمره ؟ قال : ستون سنة . قال يا رب ! زد في عمره : لا إلا أن تزيده من عمرك . قال : وما عمري ؟ قال: ألف سنة . قال آدم : قد وهبت له أربعين سنة . قال : وكتب الله**

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (٤٤٦١، ٦٢٤٠ ، ٧٠٧٧ ، ٨٢٢٨) ، مسلم (٢٦٥٢) أبو داود (٤٧٠١) ، الترمذي (٢١٣٤) ، ابن ماجه (٨٠) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٦، ٤٠٦) (١١١٨٧، ١١٣٢١٩) ، الحميدي (١١١٥) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٤١٤) (١٢٠٤) ، أحمد (٢/ ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٩٨) ، عبد بن حميد (٩٤٩) ، ابن حبان (٦١٨٠/ إحسان) كلهم من حديث أبي هريرة .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣ .

سبحانه وتعالى كتابًا وأشهد عليه ملائكته ، فلما حضره الموت وجاءته الملائكة قال : إنه قد بقي من عمري أربعون سنة . قالوا : إنك قد وهبته لابنك داود ، قال: ما وهبت بقي من عمري أربعون سنة . قالوا : إنك قد وهبته لابنك داود ما وهبت لأحد شيئًا . قال : فأخرج الله تعالى الكتاب وشهد عليه ملائكته»[١] .

ورواه الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أسود بن عامر ، عن حماد بن سلمة ، فذكره ، وزاد فيه ، فأتمها الله لدواد مائة سنة ، وأتمها لآدم ألف سنة ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة وخطر لي فيه تأويلان :

أحدهما : أن يقال قد ينزل هذا على الرجوع في الهبة ، فإن قوله ﷺ : **«لا يحل لواهبٍ أن يرجعَ في هبتِه إلا الوالد»**[٢] . قد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الجد له الرجوع في هبته من ولد ولده وآدم جد دواد ، فله أن يرجع فيما وهب من ولد ولده . وبه قال الشافعي ، وابن عبد الحكم ، وأصحابنا في وجه أو رواية مخرجة عن الإمام أحمد وغيرهم .

التأويل الثاني : أكثر العلماء على أن القبض معتبر في باب الهبة ، ولكن هل هو ركن في صحة الهبة أو شرط في لزومها ؟ فيه خلاف وقد قال زفر ، والقاضي أبو يعلى ، والغزالي وغيرهم : أن القبض ركن في صحة الهبة ،

(١) حسن لغيره ، رواه الترمذي (٣٠٧٦، ٣٣٦٨) وقال حسن صحيح ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٢٦٣) (٦٣٧٧) (١٢/ ٨) (٦٦٥٤) ، الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٥، ٦٤٠) ، ابن حبان (٦١٦٧/ إحسان) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه إنقطاع فقد قال يحيى بن معين : زيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة . ورواه أحمد (١/ ٢٩٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٧) ، سعيد بن منصور في «سننه» (٥/ ١٦١) ثلاثتهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه علي بن زيد وهو ابن جدعان فيه ضعف ، فالحديث بمجموع هذين الطريقين حسن والله أعلم .

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد (٢/ ٧٨) ، النسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٦٥) ، وفي «الكبرى» (٤/ ١٢١) ، البيهقي في «الكبرى» (٦/ ١٧٩، ١٨٠) ، الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٩٦) (١٣٤٦٢) ، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» .

فعلى قولهم لم يصدر هبة أصلا وعلى قول الآخرين صدرت هبة غير لازمة ، فساغ لآدم عليه السلام ما فعل بداود اتباعًا لما شرعه ولد ولده محمد ﷺ .

وقد اتفق الخلفاء الراشدون ، أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم: على أن الهبة لابد فيها من القبض ، فهذان وجهان حسنان في تأويل فعل آدم مع داود عليهما السلام ، ولهذا أعطى أكرم الأكرمين سبحانه آدم عليه السلام أجله كاملًا ولم ينقص منه بهبته شيئًا ، لأنه لم يصدر منه أمر يقتضي نقصانه ، وأعطى داود مائة كاملة تفضلًا وكرمًا كما دل على ذلك رواية أحمد الزائدة على ما في مسند الطيالسي .

فصل

في بكاء آدم لخروجه من الجنة

قال الله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1]. وقد اختلف الناس في هذه الكلمات بعد اتفاقهم على أنها اعتذار من آدم ، فقال سعيد بن جبير ، ومجاهد والحسن هي قوله : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2]. وقال محمد بن كعب القرظي قوله : لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم . قال عبيد بن عمير : هي أن آدم قال : يا رب ! أرأيت ما أتيت شيء ابتدعته من تلقاء نفسي ، أم شيء قدرته على قبل أن تخلقني؟ قال : لا ، بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك.

قال يا رب ! فكما قدرته عليَّ فاغفر لي ، وقيل : هي ثلاثة أشياء : الحياء والبكاء والدعاء .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٧ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ .

قال ابن عباس : بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يومًا ، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة ، وقال علقمة بن مرثد وغيره : لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر منهم . ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة .

قال شهر بن حوشب : بلغني أن آدم لما هبط إلى الأرض بقي ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله سبحانه وتعالى ، وقيل : هذه الكلمات هي المذكورة في قصة إبراهيم : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[١] . وهي خصال مذكورة في ثلاث مواضع في القرآن .

أحدها : في سورة التوبة : ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[٢] .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله : ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[٣] .

والثالث : في سورة سأل سائل ، وفي قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى قوله : ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٤] .

فهذه خصال لثلاث فرق من العلماء والحكماء والكبراء المرادين بقوله ﷺ : **«سَائِلِ العُلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء»**[٥] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٢ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآيات : ١-١١ .
(٤) سورة المعارج ، الآيتان : ٢٢-٣٥ .
(٥) الموقوف أصح ، رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢، ١٢٥) (٣٢٣) عن أبي جحيفة مرفوعًا ، وفي إسناده أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين . =

قال : ولكل فرقة مقامات معدودة يترتب بعضها على بعض .

فصل

في توبة آدم عليه السلام ودعائه إلى الله سبحانه وتعالى

واختلف الناس . هل تلقى آدم هذه الكلمات في الأرض أو تلقاها في الجنة على قولين :

أحدهما : أنه تلقاها من الله سبحانه وهو في الجنة ، وقَبِلَ الله سبحانه توبته وهو في الجنة . قال القرطبي : لم يكن إخراج آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقَبِلَ توبته ، وإنما أهبطه تائبًا إظهارًا للخلافة التي خلقه لها ، وليكلف أولاده ، ويترتب علي ذلك ثوابهم وعقابهم ، والجنة والنار ليستا بدار تكليف .

والقول الثاني : أن تلقيه الكلمات وتوبته واعتذاره كان في الدنيا ، وهذا هو المشهور .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعًا ، والبيت يومئذ ربوة حمراء ، فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال : «اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي ، وتعلم ما في نفسي ، فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ، ويقينًا صادقًا ، حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي

= قال ابن عدي في «الكامل» له أحاديث حسان وعامتها لا يتابع عليها . . . قال يحيى ابن معين : ليس بشيء ، وقال البخاري : ليس بالقوي . ورواه في «الكبير» أيضًا (٨/ ١٩٩) (٧٨١٠) عن أبي أمامة مرفوعًا ولا يصح فإن فيه عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد وكلاهما ضعيف . ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٣٤) (٧، ١٤٤) عن أبي جحيفة قوله : وهذا أصح ، والله تعالى أعلم .

والرضا بما قضيت عليَّ»(١). فأوحى الله إليه : يا آدم ! قد دعوتني بدعوات ، فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكففت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه ، وأتجرت له من وراء تجارة كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها .

وذكر الأزرقي في تاريخ مكة شرفها الله نحوه ، ولم يذكر عن عائشة .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى البلدان يأمرهم أن يقولوا كما قال أبوهم آدم عليه السلام : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾(٢). وكما قال نوح عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٣). وكما قال يونس عليه السلام : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤). وكما قال موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾(٥).

وذكر أبو القاسم ابن عساكر ، عن ابن مسعود أن إدريس عليه السلام كان يدعو بدعوة يأمر أن لا يعلموها السفهاء : «يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا الطول لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين وأنيس الخائفين إني أسألك إن كنت في أم الكتاب شقيًّا أن تمحو من الكتاب شقائي وتكتبني عندك سعيدًا»(٦).

---

(١) انظر «الفردوس» بمأثور الخطاب (١/ ٤٤١) (١٧٩٩) .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣ .
(٣) سورة هود ، الآية : ٤٧ .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٧ .
(٥) سورة القصص ، الآية : ١٦ .
(٦) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٦٨) في «المصنف» ، والضبي في «كتاب الدعاء» (١/ ٢١٧) (٥٢) عن ابن مسعود موقوفًا وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة . قال يحيى بن معين : ضعيف وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث منكر الحديث يكتب =

قالت زينب بنت عقيل :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأنْصاري وذريتي منهم أسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحْت لكم أنْ تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فقال أبو الأسود الديلي : نقول : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

فصل

في وسوسة إبليس لآدم وحواء في تسمية ولدهما

وأما قصة الأبوين مع إبليس في تسمية الولد ، فأعجب من الأكل من الشجرة . قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾(١).

وقد قال المفسرون : أن حواء لما حملت من آدم أتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما بهيمة ؟ إن لم يسمياه بي لم يخرج سويًّا فسميا ولدهما عبد الحارث ، وكان سميًّا ولديهما عبد الله وعبيد الله ، فقبضهما الموت ، فقال لهما إبليس : لو سميتماه بغير هذا الاسم لعاش فسمياه عبد الحارث ، وهذا الأثر : قاله ابن عباس وتلقاه عنه أصحابه مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وتبعهم المفسرون(٢).

= حديثه ولا يحتج به .

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٨٩- ١٩٠ .

(٢) حديث ضعيف ، رواه الترمذي (٣٠٧٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد،=

. . . .

= ولم يرفعه ، وعمر بن إبراهيم شيخ بصري» ، وأحمد (٥/ ١١) عن سمرة مرفوعًا ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٥) (٦٨٩٥) عن سمرة مرفوعًا ، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٦) عن سمرة بن جندب مرفوعًا وموقوفًا ، وعن ابن عباس موقوفًا وبنحوه عن سعيد بن جبير وأبي صالح والحسن .

وقال أبو جعفر الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٨) : «وأولى القولين بالصواب قول من قال عني بقوله : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ في الإسم لا في العبادة وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . فإذا قال قائل : فما أنت قائل إذا كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية ، وأن المعنيَّ بها آدم وحواء في قوله : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك أو في العبادة فإذا قلت في الأسماء دل على فساده قوله : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ وإذا قلت في العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره ، قيل له إن القول في تأويل قوله : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ليس بالذي ظننت وإنما القول فيه فتعالى الله عما يُشرك به مشركوا العرب من عبدة الأوثان فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله : ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ثم استؤنف قوله : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ » اهـ كلامه .

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٦) : «كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا هذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع . والله أعلم» ا هـ .

وقال أيضًا (٢/ ٢٧٦) : «وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب . . .وهذا الآثار والله أعلم يظهر عليها أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**» ثم إن أخبارهم على ثلاث أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسول الله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضًا ، ومنها ما هو=

والجواب عن ذلك : أن هذا المعنى مأخوذ عن أهل الكتاب ، وابن عباس أخذه عن أبي بن كعب ، وأخبار أهل الكتاب ثلاثة أقسام : ما علم صحته ، وما علم كذبه ، ومسكوت عنه في الكتاب والسنة . وقوله ﷺ : **«حدِّثوا عنْ بني إسْرائيل ولا حَرج»**[1]. هو المسكوت عنه. وهذا الأثر المنقول عن ابن عباس هو من القسم الثاني الذي قد علم كذبه ، والمفسرون يرون أنه من القسم الثالث ، وفيه نظر ، والمختار عندنا : أن المراد من سياق الآية المشركون من ذرية آدم وحواء ولهذا قال تعالى : ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وقد صح هذا التفسير صريحًا عن الحسن . قال الحسن : جعلا له شركاء فيما آتاهما . قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن لآدم . وفي

= مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام : **«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»** وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : **«فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»** ، وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر .

وأما ما حدث به صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته . . .» .

والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» .

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (٣٢٧٤) ، الترمذي (٢٦٦٩) ، الدارمي (١/ ١٤٥) (٥٤٢) ، أحمد (٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٩) ، ابن حبان (٦٢٥٦/ إحسان) ، القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٢) ، الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٨١) (٤٦٢) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٣٩) (٨) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٢٨) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، ورواه أحمد (٢/ ٤٧٤، ٥٠٢) وأبو داود (٣٦٦٢) ، الشافعي في «مسنده» ص (٢٤٠) ، ابن حبان (٦٢٥٤/ إحسان) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه النسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٣١) (٥٨٤٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٩) ، أحمد (٣/ ٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠١٥٨) عن زيد بن أسلم مرسلًا .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٠ .

رواية عنه ، كأنهم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا ، وعلى هذا تكون الآية الكريمة على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والتقدير شركاء فيما أتى أولادهما واعترض على هذا بأن قوله : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾(١). يقتضي أنه جعل الشركاء حين آتاهما صالحًا ، ولا شك أن جعل الأولاد ليس في ذلك الحين ، ولصحة هذا التفسير عن الحسن علمنا أن الحديث المرفوع في هذا الباب ليس بصحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة أن النبي ﷺ قال : «**لما ولدت حوّاء طاف بها الشيطان وكانَ لا يعيشُ لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث ، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان**»(٢). رواه الترمذي والحاكم ، وقال صحيح الإسناد . قلنا : معلول لأن عمر بن إبراهيم فيه نظر ، ولأنه جاء موقوفًا على سمرة وهو أصح ، ولأن الحسن قرأ الآية لغير ذلك ، ولو كان عنده مرفوعًا لما عدل عنه وهذا مخالف للقرآن في قوله تعالى : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾(٣) ، فلو صح هذا الحديث لكان قد علم كيف يواري سوأة أخيه ، ولم يحتج إلى الغراب .

ولما تكلم في الآية طائفة من المتكلمين أجابوا عنها بجواب فيه نظر . قالوا : هذه الآية مشكلة لأن الفتن أقدمت على الشرك كما قال : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾(٤).

والشرك لا يليق بآدم ، فقال المحققون منهم الواحدي : المراد من هذه

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٠ .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سورة المائدة الآية : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٠ .

الفتن قصي بن كلاب ، والشرك الصادر منه هو أنه سمى أولاده عبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد قصي ، وعبد الدار ، والله أعلم ، فيكون الخطاب في الآية الكريمة لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصي إلى قوله في قصة أم معبد .

فيَا لِقصي ما زوى اللهُ عنْكُمُ به منْ فخارٍ لا يُبارى وسؤددُ

وكيف يصح التفسير الأول ، وهو سبحانه وتعالى حكى عنهما التوبة من أكل الشجرة ، ولم يحكِ عنهما في هذا توبة ، فلو كان صدر ذلك من آدم وحواء ، لكانا قد تابا ، وكيف يجري لهما مع إبليس ما جرى ، ثم يعود لهما ويطلب منهما هذا المعنى الذي هو أعظم ويطيعانه في ذلك . وفي ألفاظ المفسرين هنا عجائب ، كقولهم : أن إبليس قال لحواء : إن لم تطيعيني لأجعلن له قرني إيل ، فإذا خرج شقك ، وقال الثعلبي ، قال المفسرون : المراد بالشرك المضاف إليهما الشرك في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية ، وقيل : قصد أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه ، كقولهم : عبد الضيف على جهة الخضوع . قال حاتم :

وإنِّي لَعَبْد الضيف ما كان ثاويًا وما فيَّ إلَّا تيك من شيمة العبدِ

***

الفصل الثالث

هل للشيطان سلطان على بني آدم أم لا ؟

قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1]. وقد فسروا العباد هنا بالمطيعين وبالمعصومين ، والسلطان هنا : الحجة . أي ليس لك حجة في إغوائهم ، وقال أبو سليمان الدمشقي : هو القهر والغلبة إنما له أن يغوي ويزين . قال تعالى في سورة النحل : ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2]. فتضمن ذلك أمرين : أحدها : نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص ، والثاني : إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه .

فإن قيل : هذا يشكل بقوله تعالى في سورة سبأ : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾[3]. فقد نفى هنا أن يكون له سلطان عليهم ، وهو ينافي قوله إنما سلطانه على الذين يتولونه ، فما الجامع ؟ .

قلنا : إن كان الضمير في قوله : وما كان له عليهم من سلطان عائدًا على المؤمنين ، فالسؤال ساقط ، ويكون الاستثناء منقطعًا . أي لكن امتحانهم بإبليس لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ، وإن كان عائدًا على ما عاد عليه في قوله ، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ ويكون المعنى

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .
(٢) سورة النحل ، الآيتان : ٩٩- ١٠٠ .
(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٠- ٢١ .

وما سلطانه عليهم إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة .

قال ابن قتيبة : إن إبليس لما سأل الله النظرة فأنظره قال لأغوينهم ولأضلنهم ولآمرنهم . ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(١). وليس هو في وقت هذه المقالة يتيقن أن ذلك يتم له ، وإنما قاله ظانًّا ، فلما اتبعوه وصدق عليهم ما ظنه فيهم ، فقال : ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين ، يعني نعلمهم موجودين ظاهرين ، فيحق القول ويقع الجزاء ، وحينئذ يكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها وهم الذين تولوه وأشركوا به ، فيكون السلطان ثابتًا لا منفيًّا ، فاتفقت الآيات .

قال ابن عقيل في «الفنون» : كانت قرائح السلف موزعة بين توصل إلى علم أو جلب مال أو نفع أو دفع ضرر ، وأرى قرائح علماء زماننا ذوي أنساب وشباب ومشايخ لا تنصرف قرائحهم إلا في الأذى ، وفتح أبواب الشر ، فنعوذ بالله من هذا الزمان وأهله ، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين وظنه قوله :﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(٢). فهذا قاله ظنًّا ولا طريق إلى القطع ، وإنما ظن ذلك لأنه رأى أنه قد تم له على الأب الأول مع التزام الحق له فيه بإسجاد المسبحين ووصية الله له . إن هذا عدو لك ولزوجك ، ثم أخرجهما فظن أنه يتملك نواصي الأولاد فاستدل بالأول .

فإن قيل : فما تصنع بقوله في سورة إبراهيم عن الشيطان حيث يقول لأهل النار :﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾(٣). وإن كان هذا قول الشيطان ، فقد أخبر الله عنه مقررًا لا منكرًا ، فدل على أنه كذلك .

قلنا : السلطان المنفي في هذا الموضع هو الحجة والبرهان ، أي ما كان

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٨ .
(٢) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٦- ١٧ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢ .

من حجة وبرهان احتج به عليكم ، كذا قال ابن عباس : إني ما أظهرت لكم حجة إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وصدقتم مقالتي واتبعتموني بلا برهان ولا حجة ، أما السلطان الذي أثبته في قوله : ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ ، فهو تسليطه عليهم بالإغواء والإضلال وتمكنه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزعجهم إليه ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [(١)].

قال ابن عباس : تغريهم إغراء وتشليهم إشلاء ، وذلك أن الأز هو التحريك والتهييج ، ومنه يقال لغليان القدر أز ، لأن الماء يتحرك عند الغليان ، وقد جعل أبو عبيدة الأز على معنين : أحدهما : التحرك ، والثاني : الإيقاد والالتهاب ، فهذا من السلطان الذي له على أوليائه ، وليس له ذلك سلطان وحجة وبرهان ، بل استجابوا له لما دعاهم لما وافق هواهم ، فهم الذين مكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بمتابعتهم إياه ، فسلطه عليهم عقوبة لهم ، وبهذا يظهر معنى قوله : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [(٢)]. فالآية على عمومها وظاهرها ، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير للكافرين سبيلا عليهم بحسب تلك المخالفة ، وهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم كما تسببوا يوم احد بمعصية الرسول ﷺ ومخالفته ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل للشيطان على العبد سلطانًا حتى جعل له العبد سبيلا بطاعته ، فجعل الله حينئذ له عليه سلطانًا وقهرًا ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

واسم العبد يتناول معنيين .

أحدهما : بمعنى العابد كرهًا ، كما قال : ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٨٣ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٤١ .

وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾(١). وقال : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾(٢).

والثاني : بمعنى العابد وهو الذي يعبده ويستعينه ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾(٣). وقوله : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾(٤). وهذه العبودية قد يخلو الإنسان منها تارة فيتسلط عليه الشيطان ، وأما الأولى فوصف لازم ، فإن جريان القدر عليه وتصريف الخالق له وفقر المخلوق وحاجته أمر ذاتي لا وجود له بدون ذلك ، فالتوكل والتوحيد والإخلاص يمنع سلطانه ، لكن قد يخلو الإنسان من هذه العبودية والشرك وفروعه ، وما يوجب سلطانه والجميع بقضاء مَنْ أزمة الأمور بيديه ومردها إليه ، وله الحجة البالغة ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن أبت حكمته وحمده وملكه إلا ذلك . ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾(٥).

قال عمر بن عبد العزيز : لو أراد الله أن لا يعصي لما خلق إبليس .

فإن قيل : إذا لم يكن للشيطان سلطان على المطيعين ولا المؤمنين ولا أهل العصمة ، فكيف تنزيل قصة آدم وحواء وتنزيل قصة موسى ؟ قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية ، قال الزنادقة : هذا تناقض لقوله عن موسى حين قتل النفس ، هذا من عمل الشيطان ، وحديث الوادي الذي نام فيه النبي ﷺ عن زيد بن أسلم قال : عرَّس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة ووكَّل بلالًا يوقظهم للصلاة ، فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا ، وقد طلعت

(١) سورة مريم ، الآية : ٩٣ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٣ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣ .
(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ ، الإسراء ، الآية : ٦٥ .
(٥) سورة الجاثية ، الآيتان : ٣٦ - ٣٧ .

عليهم الشمس ، فاستيقظ القوم وقد فزعوا ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي ، وقال : **«هذا واد فيه الشيطان»** فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي ، ثم أمرهم النبي ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضؤوا ، وأمر بلالًا أن ينادي بالصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، ثم انصرف وقد رأى من فزعهم فقال : **«أيها الناس : إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا ، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها في وقتها»** ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق فقال : **«إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلي فأجعه ثم لم يزل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام»** ثم دعا رسول الله ﷺ بلالا فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذي أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله[1].

رواه مالك في الموطأ مرسلا ، وقد جاء في «المسند» و«الصحيحين» و«السنن» حديث الوادي هذا على وجوه ، وهذا لفظ يناسب لمعنى الآية الكريمة ، وقال تعالى عن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [2].

قلنا : معنى الآية عند أهل العلم : ليس له سلطان على قلوبهم ولا مواضع إيمانهم . قال الثعلبي : قال أهل المعاني معنى قوله : ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ تلقيهم في ريب يضيق عنه عفوي . قال القرطبي : ويحتمل أن قوله ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ خاص بمن حفظ الله ، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال ، وقد يكون في تسليطه تفريج كربة وإزالة غمة كما فعل

---

(١) ضعيف بهذا السياق ، رواه مالك في «الموطأ» (٢٦) عن زيد بن أسلم مرسلًا ، والحديث أصله في «الصحيحين» من حديث أبي قتادة بلفظ مختصر ، رواه البخاري (٧٠٣٣) ، مسلم (٦٨٠، ٦٨٣) ، أبو داود (٤٣٨، ٤٣٩) ثلاثتهم من حديث أبي قتادة ، ورواه البيهقي في «الكبرى»(١/ ٤٩٥) من حديث أبي هريرة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٥ .

بلال رضي الله عنه، فأتاه يهديه كما يهدي الصبي حتى نام ونام النبي ﷺ وأصحابه ، فلم يستيقظوا وفزعوا وقالوا : ما كفارة ما صنعنا ؟ فقال : ليس في النوم تفريط ففرج عنهم .

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية : معنى الآية ليس لإبليس عليهم سلطان أن يضلهم في دينهم ، أو في عبادة ربهم ، ولكن يصيب منهم من قبل الذنوب لا في الشرك ، انتهى .

وقد سبق تفسير السلطان في الآية بالحجة وبالقدرة والصواب أن يقال : ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة ولا من جهة القدرة ، والقدرة داخلة في مسمى السلطان ، وإنما سميت الحجة سلطانًا ، لأن صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة بيده وقوله : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(١). إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ، ولهذا قال : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾(٢). أي حافظًا ومؤيدًا وناصرًا ونصيرًا .

قال الإمام أحمد : حدثنا قيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إنَّ المؤمنَ لينضي شيطانَهُ كما ينضي أحدكم بعيره في السفر**»(٣). قوله ينضي : أي يأخذ بناصيته ويقره. قوله : ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ والغي : اتباع الهوى ، وقال تعالى في حق يوسف : ﴿ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٤). فامرأة العزيز كانت مشركة ، فوقعت مع أنها متزوجة فيما وقعت فيه من السوء ، ويوسف عليه السلام مع غربته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على المعصية عصمه الله

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٨٣ .
(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ ، الإسراء ، الآية : ٦٥ .
(٣) إسناده ضعيف ، رواه أحمد (٢/ ٣٨٠) ، وفي إسناده ابن لهيعة .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ .

بإخلاصه لله تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (١). ولم يقل في قلوبهم والصدر : هو ساحة القلب فهو بمنزلة الدهليز ، ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود ، ومن فهم هذا فهم قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ﴿الْأَرْضِ﴾ (٢). فهو يوسوس في الصدور ويوصله إلى القلب ، ولهذا قال : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل فيه ، لأن المعنى أن ألقى ذلك وأوصله إليه ، فدخل في قلبه ، والله أعلم .

***

(١) سورة الناس ، الآية : ٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .

الفصل الرابع

في التحصن من الشيطان بذكر الله تعالى

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[1]. وفي هذه الآية فوائد :

منها : أن أصل أمر المتقين السلامة منه ، وإن عرض طيف بعض الأحيان .

ومنها : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ والمس : ملامسة من غير تمكن كالكفار ، فإن الشيطان يتجرأ عليهم ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة للقلوب ، فإذا استيقظوا انبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله تعالى والافتقار ، فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه .

ومنها : أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكنه أن يأتي القلوب الدائمة المتيقظة ، إنما يأتي القلوب في حين منامها يرجو غفلتها ، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه .

ومنها : أن الطيف لا ثبوت له بخلاف الوارد ، وذلك لا يضر لأنه شبه الطيف الذي في منامك فإذا استيقظت فلا وجود له .

ومنها : أنه قال ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ ولم يقل ذكروا إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر من غفلة القلب ، إنما يطردها التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان ، والتذكر ميدانه القلب .

ومنها : أنه قال تذكروا حذف متعلقة ، ولم يقل تذكروا الجنة والنار

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠١ .

والعقوبة لأن التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب المتقين ، ومرتبة التقوى يدخل فيها الأنبياء والرسل والصديقون والأولياء والصالحون والمسلمون ، فتقوى كل واحد على حسب مقامه ، فلو ذكر قسمًا من أقسام التذكر لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم .

ومنها : قوله سبحانه : ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ كأنه لم يذكر أعلى من ذلك منًّا سبحانه عليهم ، كأنهم لما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة ، فأشرقت شمس البصيرة .

ومنها : التوسيع على المتقين لأنه لو قال : إن الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان خرج كل أحد إلا أهل العصمة ، فأراد سبحانه أن يوسع دوائر رحمته .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ قال لا إله إلاّ الله وحْدَه لا شريكَ لَهُ المُلك وله الحمد وهُوَ على كل شئ قدير في يوم وليلة مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكُتِبَ له مائة حسنة ومحيَت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»[1] . متفق عليه .

عن أبي عياش رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مائة مرة كَانَ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إسماعيل عليه السلام ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خطيئاتٍ ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنْ الشَّيْطَانِ حَتَّى**

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (٣١١٩، ٦٠٤٠) ، مسلم (٢٦٩١) ، ابن ماجه (٣٧٩٨) ، الترمذي (٣٤٦٨) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١١) (٩٨٥٣) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٥)، أحمد (٢/ ٣٠٢) ، مالك في «الموطأ» (٤٨٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٦٠) ، ابن حبان (٨٤٩ / إحسان) ، الربيع بن حبيب في «مسنده» (٥٠٦) .

يُمْسِيَ وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»(١). رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد .

وعن عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : بِسْمِ الله يقول الملك : هُدِيتَ ، فَإِذَا قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله يقول الملك : وُقِيتَ ، فإذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الله يقول الملك : كُفِيتَ ، قَالَ : فيقول الشيطان عند ذلك كيف لنا بمن هُدِيَ وَوُقِيَ وَكُفِيَ»**(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ منزله ، فقَالَ : بِسْمِ الله ، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال الله تبارك وتعالى : هديت ووقيت وكفيت** . قال ، فيلقي الشيطان الشيطان له : كيف لك برجل قد هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟»(٣). رواه الدينوري في كتاب المجالسة ، ومعناه رواه أبو داود ، والحديث رواه الخمسة إلا ابن ماجه ، ولفظهم يقال فعل ما لم يسم فاعله ، وفي حديث أبي سعيد قال الملك ، وفي هذا اللفظ قال الله عز وجل .

وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن صالح بن كيسان ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من خارج يخرجُ من بيتهِ يريدُ السَّفر أو غيره ، فقال حين يخرج : بسم الله ، آمنتُ بالله اعتصمتُ بالله ،**

---

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود (٥٠٧٧) ، ابن ماجه (٣٨٦٧) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١١) (٩٨٥٤) ، أحمد (٢/ ٣٦٠) كلهم من حديث أبي عياش الزرقي ، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٨٦) من حديث أبي هريرة ، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» ، ورواه الترمذي (٣٤٢٦) ، أبو داود (٥٠٩٥) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٦) (٩٩١٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٥١) كلهم من حديث أنس وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» .

(٣) انظر الحديث السابق .

توكلتُ على الله ، **لا حول ولا قوة إلا بالله ، إلاَّ رُزق خير ذلك المخرج وصُرفَ عنه شر ذلك المخرج»**(١). وقد روى أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ الله أَمَرَ يَحْيى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا**» فذكر التوحيد والصلاة والصيام والصدقة ، ثم قال : « **وَآمُرُكُمْ أَنْ تذكروا الله ، فإن مَثَلَ ذلك كمثل رجلٍ خرجَ العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين ، فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه الشيطان إلا بذكر الله**»(٢).

قال البخاري في الصحيح : قَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَم ، يعني المؤذن ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : أمرني رَسُولُ الله ﷺ أن أحفظ زَكَاة رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ في جوف الليل ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ : لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فقَالَ دعني ، فإِنِّي مُحْتَاجٌ فَخَلَّيْتُ سبيله ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بعدما صلى الغداة : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ أو الليلة ؟**» فقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! شَكَا حَاجَةً ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، وزعم أنه لا يعود فقَالَ : « **أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، وعلمتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ قال : ثم أتى فجعل يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، فشكا حاجة ، فَخَلَّيْتُ عنه ، وزعم أنه لا يعود فقَالَ : « **أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» وعلمت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ

---

(١) إسناده ضعيف ، رواه أحمد (١/ ٦٥) وفيه رجل لم يسم .

(٢) حديث صحيح ، رواه الترمذي (٢٨٦٣) ، أحمد (١٣٠، ٢٠٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٤٠-١٤١) (١٥٧١) ، ابن خزيمة (٤٨٣) ، ابن حبان (٦٢٣٣/ إحسان) ، الطيالسي (١١٦١) الحاكم (١/ ٢٠٤، ٣٦٢) ، الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٦ ، ٢٨٧) (٣٤٢٧، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٣٤٣٠) كلهم من حديث الحارث الأشعري . وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» .

فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ : دَعْنِي ، حتى أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِن ، وكانوا أحرص شئ على الخير ، فقال : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[1] . فإنه لَنْ يَزَالَ معكَ مِنَ الله حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ **«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يا أبا هريرة ؟ »** فأخبرته فَقَالَ : **« صَدَقَكَ ، وإنه لكاذب . تدري مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ ؟ ذَاكَ شَيطَانٌ»**[2] . ذكره البخاري في كتاب الوكالة ، وفي صفة إبليس ، وفي فضائل القرآن تعليقًا عن عثمان ، ولم يذكر أنه سمعه ، ورواه النسائي ، وابن خزيمة .

وقد روي نحو هذا الحديث ، عن أبي بن كعب ، وأبي أيوب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبي أسيد ، ومالك بن ربيعة الأنصاري رضي الله عنهم . وقد جمع الحافظ ضياء الدين في ذلك جزءًا .

وقال أبو عبيدة في كتاب الغريب : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الثَّقَفِيُّ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ قالَ خرجَ رَجُلٌ مِنَ الإنس ، فلقيه رجل مِنَ الْجِنِّ فقال : هل لك أن تصارعني ، فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان ، فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ فَقَالَ : إِنِّي أَرَاكَ ضَئِيلًا كَأَنَّ ذراعيك ذراعا كَلْبٍ ، أهكذا أَنْتُمْ أيها الْجِنِّ ، أَمْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : إني فيهم لَضَلِيعٌ فعَاوِدْنِي ، فصرعه الإنسي قال : أتقرأ

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخاري (٢١٨٧) تعليقًا ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٣٨) (١٠٧٩٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢٨٨٠) وقال : حديث حسن غريب وفي الباب عن أبي بن كعب ، أحمد (٥/ ٤٢٣) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٩٤) ، الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٦٢ ، ١٦٣) (٤٠١١ ، ٤٠١٤) ، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٤٩) كلهم من حديث أبي أيوب ، ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥١، ١٠١) (٨٩ ، ١٩٧) ، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٤١٦) (١٦١٢) ، من حديث معاذ بن جبل .

آية الكرسي ؟ فإنه لَا يقْرَؤُهَا أحد إذا دخل بَيْته إِلَّا خَرَجَ الشَّيْطَانُ ولَهُ خَبَجٌ كَخَبَجِ الْحِمَارِ ، فقيل لابن مسعود أهو عمر ؟ فقال : من عسى أن يكون إلا عمر رضي الله عنه(١). الخبج : بالخاء المعجمة والباء الموحدة ، وهو الضراط .

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لقي رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشيطان في زقاق من أزقة المدينة ، فدعاه الجني إلى الصراع فصرعه الإنسي ، فقال : دعني . قال : فهل لك في المعاودة ؟ ففعل وجلس على صدره وقال : أراك نحيفًا ضئيلًا كأن ذراعيك ذراعا كلب ، أهكذا أنتم أيها الجن . أو أنت من بينهم كذلك ؟ قال والله إني فيهم لضليع . فقال : ما أنا بالذي أدعك حتى تخبرني ما يعيذنا منكم . قال : آية الكرسي ، فقال رجل لعبد الله بن مسعود : وما ذاك الرجل ، أهو عمر ؟ فعبس وبسر ، فقال : ومن عسى أن يكون الرجل إلا عمر .. النحيف الرقيق ، والضئيل المهزول.

وقال عباس الدوري : سمعت يحيي بن معين يقول : كنت إذا دخلت منزلي قرأت آية الكرسي مرة ، فبينا أنا ذات ليلة أقرؤها ، فإذا هاتف يقول : كم تقرأ هذه ليس أحد يحسن يقرؤها غيرك ؟ فقلت مجيبًا له : وأرى هذا يسوؤك والله لأزيدنك ، فصرت أقرأها في الليلة خمسين أو ستين مرة . قال عباس ، فحدثت بهذا محمد بن سهل ، فقال كان جريئًا على الإنس والجن ، أو كما قال . وعن عبد الله بن خبيب الجهني قال : خرجنا في ليلة مطيرة مظلمة شديدة ، فطلبت رسول الله ﷺ ليصلي لنا ، فأدركته فقال : قل ، فلم أقل شيئًا . قال :قل ، فلم أقل شيئًا ، قال : قل ، قلت يا

(١) رواه الدارمي (٢/ ٥٤٠) (٣٣٨١) ، الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٦٦) (٨٨٢٦) ، قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٧١) : «رواه الطبراني بإسنادين ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، ولكنه أدركه ورواة الطريق الأولى فيهم المسعودي ، وهو ثقة ولكنه اختلط فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي» .

رسول الله ! وما أقول؟ قال : **«قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ»**(١). رواه عبد الله ابن الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح ، غريب من هذا الوجه ، والضياء في المختارة .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما ، فإن إبليس قال : أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون»**(٢). رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ، وقال مجاهد ما من شئ أكسر لظهر إبليس من لا إله إلا الله .

عن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**(٣). متفق عليه . قيل : كفتاه من

---

(١) حديث حسن ، رواه أبو داود (٥٠٨٢) ، الترمذي (٣٥٧٥) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٤٢) (١٠٨٦٠) ، وفي «المجتبى» (٨/ ٢٥٠) ، أحمد (٥/ ٣١٢) ، عبد بن حميد (٤٩٤) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٣) (٢٥٧٢) ، الطبراني في «الكبير» (٣٤٦/١٧) (٩٥٢) ، الضياء في «المختارة» (٩/ ٢٨٧) (٢٤٨) . كلهم من حديث عبد الله ابن خبيب ، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» .

(٢) حديث موضوع ، رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ١٢٣) (١٣٦) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩) (٧) ، وأبو يعلى في «معجم شيوخه» (١٩١) ، وقال الألباني : «إسناده موضوع آفته عبد الغفور وهو أبو الصباح الواسطي ، قال البخاري : تركوه ، وقال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث ، وعثمان بن مطر ضعيف ، وأبو بصير إن كان العبدي الكوفي فهو مقبول عند العسقلاني ، وإن كان غيره فلم أعرفه» .

(٣) حديث صحيح ، رواه البخاري (٣٧٨٦ ، ٤٧٢٢، ٤٧٥٣، ٤٧٦٤) ، مسلم (٨٠٧، ٨٠٨) ، أبو داود (١٣٩٧) ، ابن ماجه (١٣٦٨ ، ١٣٦٩) ، الترمذي (٢٨٨١) ، الدارمي (١/ ٤٥١) (١٤٨٧) ، النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٨، ٧٢١) ، أحمد (٤/ ١١٨، ١٢١) الحميدي (٤٥٢) ، الطيالسي (٦١٤) ، عبد بن حميد (٢٢٣) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ٤٠٣، ٤٠٤) (٤٧٥٣، ٤٧٦٤) ، ابن خزيمة (١١٤١) ، ابن حبان (٧٨١، ٢٥٧٥/إحسان) ، أبو عوانة (٢/ ٢٩٤) ، سعيد بن منصور في «سننه» (٣/ ١٠١١) ، الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٣، ٢٠٤) (٥٤٣، =

قيام الليل .

وفي حديث مرفوع : **«من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل»** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[(١)] . إلى آخر البقرة . وقيل : كفتاه من شر الشيطان ، فلا يكون له عليه سلطان[(٢)] .

وفي حديث مرفوع : **«إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، فأنزل منه هذه الثلاث آيات التي ختم بهن البقرة . من قرأها في بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال»**[(٣)] .

= ٥٤٦، ٥٤٧) ، وفي «الأوسط» (٦/ ٣٥) (٥٧١٥) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ٤٠٣، ٤٠٤) (١٨٢٨)(١٨٣١) ، البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٠) ، وفي «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٢) (٢٤٠٥) ، الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٢ ، ٢٠٣، ٢٠٤) (٥٤١) (٥٤٣) (٥٤٦) كلهم من حديث أبي مسعود الأنصاري .

تنبيه : وقع عند الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٥) (٥٧١٥) بتحقيق أخونا طارق عوض الله أن الصحابي «ابن مسعود» بدل «أبي مسعود» ، وهناك احتمالين :

الأول : أن يكون هذا وهم من أحد الرواة فإن في إسناده شريك وهو متكلم فيه من جهة حفظه ولكن هذا بعيد لأنه رواه في «الكبير» من نفس الطريق على الصواب وقال «أبي مسعود» .

الثاني : أن يكون هذا تصحيف من النساخ ولعل هذا هو الأقرب .

قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٦) : «قوله «كفتاه» أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن ، وقيل أجزأتا عنه من قراءة القرآن مطلقًا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها وقيل كفتاه شر الشيطان وقيل دفعتا عنه شر الإنس والجن ، وقيل : معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم» اهـ .

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) روى الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٣) (٥٤٢) عن علقمة بن قيس أن أبا مسعود البدري قال : «من قرأ سورة البقرة أجزأت عنه قراءة ليلة . . .» الحديث ، وفي إسناده موسى بن هارون ، فإن كان الخراساني فهو مجهول ، وإن كان بن عبد الله بن مروان فهو ثقة حافظ . وانظر كلام الحافظ في تفسير قوله «كفتاه» في التعليق السابق .

(٣) حديث صحيح ، رواه الترمذي (٢٨٨٢) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٤٠) =

قال الشيخ محيى الدين : ويجوز أن يراد القولان معًا كفتاه من الآفات ومن قيام الليل . وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس[١] .

وجاء مرفوعًا من حديث أنس[٢] . قال سري السقطي : بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت : اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يراني من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك . اللهم إنك تقدر على أمره كله وهو لا يقدر من أمرك شيء . اللهم إن أرادني بشرٍّ فاردده ، وإن كادني فكده أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره ، ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها ، فقيل لها : اتقي الله لئلا تذهب الأخرى . فقالت : إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلني الله ما هو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدها الله .

وقال عبد الرحمن الحبلي : إذا اجتمع قوم على ذكر الله خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد يقول لهم : انظروا هل قاموا ؟ فيقولون : لا . فيضرب كبده ، فيقولون له : ما بالك تضرب كبدك ؟ فيقول : إنما أخشى عليهم الرحمة فلا يعذبون أبدًا .

= (١٠٨٠٢) في «عمل اليوم والليلة» (٩٦٦) ، الدارمي (٢/ ٥٤٢) (٣٣٨٧) ، أحمد (٤/ ٢٧٤) ، البزار (٣٢٩٦) ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٨٥)(٧١٤٦) ، وفي «الأوسط» (٢/ ٢٨٢) (١٩٨٨) الحاكم (١/ ٧٥٠) ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٠) (٢٤٠٠) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» .

(١) صحيح موقوف ، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن ابن عباس قوله ، وإسناده صحيح ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٠) وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١٧٥) (١٧٢) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٥٠) (٦٧٦) .

(٢) إسناده ضعيف ، رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٢٧٨) (٤٣٠١) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٠٣) (٥٤٠) ، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف .

وقال ابن مسعود : قعد قوم يذكرون الله عز وجل ، فأتاهم الشيطان ليقمهم من مجلسهم ، فيفرق بينهم فلم يستطع ، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا ، فأفسد بينهم وقاموا يقتتلون وليس يريدهم ، فقام الذين يذكرون الله يفصلون بينهم ، فتفرقوا عن مجلسهم . رواه ابن أبي الدنيا .

وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد : خرج رجلٌ إلى الجبانة بعد ساعة من الليل ، فسمع حسًّا وأصواتًا شديدة وجيء بسرير ، وجاء شيءٌ جلس عليه ، واجتمع إليه جنوده ، ثم صرخ : مَن لي بعروة بن الزبير ، فلم يجبه أحد حتى تابع ما شاء الله من الأصوات ، فقال واحد منهم : أنا أكفيكه . قال : فتوجه نحو المدينة وأنا أنظر ، ثم أوشك الرجعة ، فقال : لا سبيل إلى عروة . قال : ويلك لِمَ ؟ قال : وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا يخلص إليه . قال الرَجل : فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني فأتيت المدينة ، فسألت عنه حتى دللت عليه ، فإذا شيخ كبير ، فقلت : شيء تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فأبى أن يخبرني ، فأخبرته بما رأيت وبما سمعت ، فقال : ما أدري غير أني أقول إذا أصبحت : آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، إذا أصبحت قلت ثلاث مرات ، وإذا أمسيت ثلاث مرات .

وقيل لبعض العارفين : كيف مجاهدتك الشيطان ؟ قال : وما الشيطان ؟ نحن قوم صرفنا همنا إلى الله تعالى فكفانا شره .

وقال بعضهم : لما قال الله تعالى :﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(١) . فقوم فهموا من هذا الخطاب أن الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا همهم إلى عداوته ، فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب ، وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدو وإني لكم حبيب ، فاشتغلوا بمحبة الله فكفلهم

(١) سورة فاطر ، الآية : ٦ .

من دونه . قيل : الحكمة في إيجاد الشيطان أن يكون مظهرًا ينسب إلى أسباب العصيان والغفلة والنسيان . قال تعالى : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾(١). هذا من عمل الشيطان ، فكان سر إيجاده ليمسح بسببه أوساخ النسب .

قال بعض العارفين : هو منديل هذا الدار ، والشيطان كالذكر والنفس كالأنثى ، وحدوث الذنب بينهم كحدوث الولد من الأم والأب لأنهما أوجداه ، ولكن مهما كان ظهوره ، فكما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأبوين ولا من إيجادهما ، فنسب إليهما بظهوره عنهما ، كذلك المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس ، فكانت عنهما لا منهما فلظهورها عنهما نسبت إليهما ، فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافة وإسناد ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد ، كما أنه خلق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(٢). قال عمر بن عبد العزيز : لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق إبليس .

وقال الإمام أحمد في المسند : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن أبي التياح يزيد بن حميد قال : سأل رجل عبد الرحمن بن خنبش ، وكان شيخًا أدرك النبي ﷺ كيف صنع النبي ﷺ كيف صنع النبي ﷺ حين كادته الشياطين ؟ قال : تحادرت عليه الشياطين من الأودية والجبال يريدون رسول الله ﷺ ، وفيهم شيطان معه شعلة نار .

وفي رواية ذكرها ابن أبي الدنيا شمعة من نار ، وفي آخره طفئت شمعته وخر على وجهه يريد أن يحرقه بها ، فلما رأهم وجل ، وجاء جبريل عليه السلام ، فقال يا محمد !قل . قال : وما أقول ؟ قال : قل أعوذ بكلمات

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٣ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٧٨ .

الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقًا بخير ، يارحمن . فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله تعالى[(١)] .

ورواه البزار : حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، حدثنا جعفر . قال البزار ، لم يروه غير عبد الرحمن بن خنبش فيما علمت .

قلت : قد جاء من حديث خالد بن الوليد ، وسيأتي ، فلله سبحانه وبحمده الكلمات الكونية المذكورة في قوله تعالى :﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)] . وهي التي كان النبي ﷺ يستعيذ بها في هذا ورغب فيها كما روت خولة بنت حكيم رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«**مَنْ نزلَ منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التَّامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله**»[(٣)] . رواه مسلم .

وقالت طائفة : المراد بالكلمات التامات هذه : هي القرآن وهو ما ذكره الخطابي ، وقال : وصفه بالتمام تنزيهًا له أن يلحقه نقص ، وكان في زمن الوالد والجد رحمة الله عليهما يوردان ذلك في الجامع مؤكدًا ، ويقولون : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق ، فبعد ذلك بيسير زعم ابن المحب رحمه الله وتبعه من صنَّف في أذكار المساء والصباح أن لفظ «كلها» لم ترد في حديث . وأنكروا ذلك ، فراجعت أبا بكر بن المحب الحافظ ، فرجع ، وقال : بل صحت هذه اللفظة ، وراجعت من تبعه ونهيته على

---

(١) حديث حسن ، رواه أحمد (٣/ ٤١٩) ، وإسناده حسن .

(٢) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

(٣) حديث صحيح ، رواه مسلم (٢٧٠٨) ، الترمذي (٣٤٣٧) ، الدارمي (٢/ ٣٧٥) (٢٦٨٠) ، أحمد (٦/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) (٦/ ٤٠٩) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٤٤) (١٠٣٩٤) ، في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٦) ، ابن خزيمة (٢٥٦٦) ، ابن حبان (٢٧٠٠/ إحسان) ، الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨) (٦٠٣ ، ٦٠٦) ، البهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٥٣) كلهم من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها .

ذلك ، فلم يرجع ، واعتمدوا على أن كلمات الله تعالى لا نهاية لها وما لا نهاية له لا ينحصر وما لا ينحصر لا يقبل التأكيد وبأنه لم يرد .

قلت : المستعاذ به هي الكلمات الكونية عند طائفة ، أو القرآن عند آخرين ، وكلاهما يقبل التأكيد ، فتقول : قرأت القرآن كله ، ولا سيما وقد صحت الرواية بذلك .

قال الإمام أحمد في المسند : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج ، عن الربيع بن مالك ، عن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ نَزل منزلاً فقال : أعُوذ بكلماتِ الله التَّامات كلها من شرِّ ما خلق لم يضره في منزله ذلك شيء حتى يظعن عنه»**(١) . صحيح .

وجاء من وجوه أُخر قيل : في حديث أبي هريرة : أن رجلًا قال : يا رسول الله ! لدغت البارحة ، فلم أنم حتى أصبحت ، فقال رسول الله ﷺ : **«أما أنَّك لو قلت حين أمسيت أعوذُ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يصبك لدغة عقرب حتى تصبح»**(٢) . فاختلفت العبارتان في حديث خولة ، وحديث أبي هريرة .

قلنا : لا اختلاف ولا تعارض ، فحديث أبي هريرة في المقيم ، وحديث خولة في المسافر تخفيفًا ورحمة وتوسعة عليه بشأن المسافر التخفيف عنه في الصيام والصلاة .

وعن أبي العالية ، عن خالد بن الوليد أنه شكا إلى النبي ﷺ ، فقال : إني

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٧٧) والحديث أصله في «صحيح مسلم» وقد سبق تخريجه .

(٢) حديث صحيح ، رواه أبو داود (٣٨٩٨) (٣٨٩٩) ، ابن ماجه (٣٥١٨) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٥١) (١٠٤٢١) ، (٦/ ١٥٢) ، (١٠٤٢٣) ، (١٠٤٢٤) (١٠٤٢٥) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٨٦) ، أحمد (٢/ ٢٩٠ ، ٣٧٥) (٣/ ٤٤٨) (٥/ ٣٤٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٢/ ٤٤) (٦٦٨٨) ، (٦/ ١٤٤) (٦٠٣٨) ، الحاكم (٤/ ٤٦١) ، وقال : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه بهذه السياق» ، ابن حبان (١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢/إحسان) ، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» .

أجد فزعًا بالليل فقال : « **أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام ، وزعم أن عفريتًا من الجن يكيدني** . «**قال أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها . ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**»[(١)]. رواه الطبراني ، والحافظ الضياء في «المختارة» ، وهذا يشهد لحديث عبد الرحمن بن خنبش السابق .

وذكر مالك في الموطأ ، عن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولها لجعلتني اليهود حمارًا . قيل له : وما هن ؟ قال : أعوذ بوجه الله العظيم أي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ .

عن بريدة رضي الله عنه قال : شكى خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال : ما أنام من الأرق ، فقال رسول الله ﷺ :«**إذا أويت إلى فراشك فقُلْ اللهم ربَّ السموات السبع وما أظلَّت وربَّ الأرضين السبع وما أقلَّت ، ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط علي أحد منهم أو أن يبغي عليَّ . عزَّ جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك**»[(٢)]. رواه الترمذي بإسناد ضعيف .

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنن» (١/ ١٦٤) (٣٧٢) ، «الجامع» المعمر بن راشد (١٩٨٣١) ، الطبراني في «الكبير» (٤/ ١١٤) (٣٨٣٨) ، قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٩٩) (٢٠٨٦) : «وذكر حديث خالد بن الوليد ، وقال : قال أبي إنما هو بكر بن عبد الله أن خالد بن الوليد ، وهو مرسل» وله شاهد من حديث ابن مسعود وعبد الرحمن بن خنبش وقد سبق تخريجه .

(٢) حديث ضعيف ، رواه الترمذي (٣٥٢٣) ، وقال : ليس إسناده بالقوي والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل العلم ، الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٥) (٩٧٩٥) ، وفي «الصغير» (٢/ ١٧٧) (٩٨٤) ، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ثمامة بن عقبة ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله بن مسعود قال : إذا كان إمامًا تخاف غترسته[١]. فقل : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جارًا من فلان[٢].

***

(١) الغترسة : شدة الغضبة أو المعاملة بالغلظة والشدة .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٢٢) ، البخاري في «الأدب المفرد» (٧٠٧ ، ٧٠٨) عن ابن مسعود وابن عباس موقوفًا ، والضبي في «الدعاء» (٤٢، ٤٣) ، الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٥) (٩٧٩٥) (١٠/ ٢٥٨) (١٠٥٩٩) عن ابن مسعود وابن عباس موقوفًا .

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٧) : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ، وذكره المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٣٣) عن ابن مسعود مرفوعًا ، وقال : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا جنادة بن مسلم وقد وثق رواه الأصبهاني وغيره موقوفًا على عبد الله ولم يرفعوه» .

تنبيه : في كل الروايات : «تغطرسه» ، ورواه الضبي في «كتاب الدعاء» [٤٢] [٤٣] موقوفًا على ابن مسعود ، ولا يصح رفعه ، والأشبه والله أعلم أنه موقوف ، قال الدارقطني في «العلل» : «يرويه الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن الحارث بن سويد رفعه أبو حمزة السكري ووقفه غيره والموقوف هو المحفوظ» أهـ .

الفصل الخامس

في عقد الشيطان على قافية ابن آدم كل ليلة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مكانها عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»[(١)]. متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما مِنْ مُسْلم ذكر ولا أنثى ينام إلا وعليه جرير معقود ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإن هو توضأ ثم قام إلى الصلاة أصبح نشيطًا قد أصاب خيرًا ، وقد انحلت عقده**

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (١٠٩١) (٣٠٩٦) ، مسلم (٧٧٦) ، أبو داود (١٣٠٦) ابن ماجه (١٣٢٩) ، أحمد (٢/ ٢٤٣، ٢٥٣) ، الحميدي (٩٦٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ١٦٧) (٦٢٧٨) ، الموطأ (٤٢٤) ، أبو عوانة (٢/ ٢٩٥) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ٣٧١) (١٧٦٨) ، ابن حبان (٢٥٥٣/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٥٠١) كلهم من حديث أبي هريرة .
قال ابن عبد البر (١٩/ ٤٥) : «إنها كعقد السحر من قول الله ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهذا لا يقف على حقيقته أحد والقافية مؤخرة الرأس وهو القزال وقافية كل شئ آخره ، ومنه قيل لنبينا ﷺ المقفى لأنه آخر الأنبياء ومن هذا أخذت قوافي الشعر لأنها أواخر الأبيات ، والمعنى عندي والله أعلم في هذا الحديث : أن الشيطان ينوم المرء ويزيده ثقلًا وكسلًا بسعيه وما أعطى من الوسوسة والقدرة على الإغواء والتضليل وتزيين الباطل والعون عليه إلا عباد الله المخلصين وفي هذا الحديث دليل على أن ذكر الله يطرد به الشيطان ، وكذلك الوضوء والصلاة ، ويحتمل أن يكون الذكر للوضوء والصلاة لما فيهما من معنى الذكر فخص بهذا الفضل في طرد الشيطان ويحتمل أن يكون كذلك سائر أعمال البر والله أعلم» أهـ .

كلها ، وإذا أصبح لم يذكر الله أصبح وعقده عليه وأصبح ثقيلاً كسلان لم يصب خيرًا»(١) .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «**رجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة ، ووجهه انحلت عقدة ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة ، فإذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب : انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ما سألني عبدي فهو له**»(٢). رواهما ابن حبان في «صحيحه» .

وقال في حديث عقبة : إن الشيطان قد يعقد على مواضع الوضوء من المسلم العقد على قافية رأسه عند النوم . وقد اختلف الناس في هذا العقد هل هي حقيقة أو مجاز على قولين :

أحدهما :أنه مجاز واستعارة لأن عقد بني آدم يمنع المعقود عليه من التصرف ، فكذلك ما يفعله الشيطان بالنائم مما يمنع ما ينبغي له من ذكر الله والصلاة ، وهذا قول الطحاوي .

الثاني : أن ذلك عقد من الشيطان حقيقة جريًا على ظواهر الأحاديث ويؤيده قوله ﷺ(٣) .ثلاث عقد ، ولو كان على وجه المجاز لما كان في العقد فائدة ، ولقوله جرير معقود ، فذرك العقد في الجرير ، والجرير بالجيم

---

(١) حديث صحيح : رواه أبو يعلى (٤/ ١٩٥) (٢٢٩٨) ، ابن خزيمة (١١٣٣) ، وابن حبان (٢٥٥٤/ إحسان) ، وإسناده صحيح .

(٢) حديث صحيح : رواه أحمد (٤/١٥٩ ، ٢٠١) ، الروياني في «مسنده» (١/ ١٨١) (٢٣٧) ، الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٥٠) (٨٤٣) ، إسناده صحيح .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» : «وقد اختلف في هذه العقد ، فقيل : هو الحقيقة وإنه كما يعقد الساحر على من يسحره وأكثر من يفعله النساء تأخذ إحداهن الخيط فتعقد عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور عند ذلك ومنه قوله تعالى :﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾ وهل العقد في شعر الرأس أو في غيره الأقرب الثاني ، إذ ليس لكل أحد شعر ويؤيده ما ورد في بعض طرقه أن على رأس كل آدمي جبلًا ، ففي رواية ابن ماجه ، ومحمد بن نصر من طريق أبي=

المعجمة الحبل قاله أهل اللغة ، ولأنه قال : إذا ذكر الله انحلت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عقدة ، وإن صلى انحلت عقدة ، فانحلت العقد كلها ، وهذا مما يمنع المجاز وأحاديث هذا الباب يحتمل أن يقال أنه على عمومها ، وأن من لم يذكر الله بعد منامه ولم يتوضأ ولم يصلِّ يصبح خبيث النفس كسلان ، وأن من فعل ذلك نشط وأصبح قوي الهمة عملًا بظواهر الأخبار ، ويحتمل أن يقال هذا يخص منه من ذكر الله تعالى عند المنام وأتى بالأذكار والأوراد المشروعة والتعوذات المأثورة ، وأن من فعل ذلك لا يدخل في هذا الحديث ويدل على ذلك أن أبا هريرة نفسه راوي الحديث ، قد صح عنه أنه قال : **«أوصاني خليلي بصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى كل يوم ، وأن أوتر قبل أن أنام»**(١) ، فكان يفعل ذلك ، ولو كان حديث عقد الشيطان على رأس كل أحد عامًا لما ترك أبو هريرة الوضوء والذكر والصلاة ، فدل على أنه مخصوص بمن لم يأت بالأذكار المشروعة ، وأبو هريرة راوي حديث آية الكرسي لا يقربك شيطان كما سبق .

= صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا : **«على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد»** ولابن خزيمة وابن حبان من حديث جابر مرفوعًا : **«ما من ذكر ولا أنثى إلا وعلى رأسه حرير معقود»** . الحديث . وفهم بعضهم من هذا أن العقد لازمة ، ويرده التصريح أنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها فأبهم فاعله في حديث جابر ، وفسر في حديث غيره ، وقيل هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور ، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصف من يحاول عقده كأن هذا مثله من الشيطان للنائم» . عن الفتح بتصرف ، راجع «مفاتيح القارئ» للأستاذ طه عبد الرءوف سعد .

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٨٨٠) ، أبو داود (١٤٣٢) (١٤٣٣) ، النسائي في «الكبرى» (٢/١٣٣) (٢٧١٢) ، وفي «المجتبى» (٤/٢١٨) ، الترمذي (٤٥٥) ، الدارمي (١/٤٠٢) (١٤٥٤) ، أحمد (٢/٣١١، ٣٩٢) (٦/٤٤٠، ٤٥١) ، الطيالسي (٢٣٩٢) (٢٤٤٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (٥/٣٠) (٢٦١٩) ، أبو عوانة (١/٤١٣) ، ابن خزيمة (١٢٢١) ، ابن حبان (٤٤٩، ٢٥٣٦/إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/٣١٦)(١٦٢٨) ، البيهقي في «الكبرى» (٣/٣٦، ٤٧) كلهم من حديث أبي هريرة .

وفي الصحيحين : «**من قرأ أواخر البقرة في ليلة كفتاه**»(١). وغير ذلك مما ورد به التحصين من الشيطان .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الْحَمْدُ لِلَّهِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، ثُمَّ قَالَ اللهمَّ اغْفِرْ لِي غفر له ، أَوْ قال فدَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ**»(٢). رواه أبو نعيم وهو في صحيح البخاري بقريب من هذا اللفظ ، وقد قيل إن النبي ﷺ إنما أوصى أبا هريرة بذلك ، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة ، فأمر بالضحى بدلًا من قيام الليل ، ولهذا أمره أن لا ينام حتى يوتر ، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة ، لكن جاء في صحيح البخاري «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ اعتَقبُوا اللَّيْلَ أَثْلاَثًا فيقوم هذا ، ثم هذا ، ثم هذا»(٣). فيحتمل أن أبا هريرة فعل ذلك في أواخر الأمر جمعًا بين الكل ، وقال بعض الناس إنما أمر أبا هريرة بالوتر قبل النوم لأنه لم يكن له دنيا ولا كسب ، فقنع منه باليسير من العمل بأخذه اليسير من الدنيا ، وهذا معروف عند الصوفية من انقطع منهم قنعوا منه بانقطاعه مع شئ ما من العمل ، ومن تسبب أمروه بكثرة الأعمال والمبادرة إلى الخيرات لأنه

(١) سبق تخريجه .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١١٠٣) ، أبو داود (٥٠٦٠) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٥) (١٠٦٩٧) ، الترمذي (٣٤١٤) ، ابن ماجه (٣٨٦٨) ، الدارمي (٢/ ٣٧٧) (٢٦٨٧) أحمد (٥/ ٣١٣) ، الطيالسي (٢٤٦٦) بنحوه ، الطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ١٤٠) (٢٢٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٥) كلهم من حديث عبادة بن الصامت .

(٣) حديث صحيح : رواه البخاري (٥١٢٥) ، أحمد (٢/ ٣٥٣) عن أبي عثمان النهدي قال : «تضيفت أبا هريرة سبعًا فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا يصلي هذا ثم يوقظ هذا ويصلي هذا قال : قلت : يا أبا هريرة كيف تصوم؟ قال : أما أنا فأصوم . . .» الحديث .

بالانقطاع يبقى قلبه على ربه ، والمطلوب من ابن آدم الحضور في كل أوقاته ، وقد هتف ببعضهم فقيل له ادخل الدار يسكنها صاحبها .

وقد ذكر ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ، عن بكر بن محمد العابد ، قال سفيان الثوري : القراءة لا تلمح إلا بالزهد فازهد ونم وصل الخمس .

وقال الإمام أحمد في المسند : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال :«**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه فعلق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي** ﷺ مثل ذلك ، فطلع الرجل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى ، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله أي تبع الرجل ابن عمرو بن العاص فقال : إني لاحيت أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيت أن تأويني ثلاثًا حتى تمضي فعلت . قال : نعم . قال أنس ، فكان عبد الله يحدث أنه بات معه الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وانقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر غير إني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضيت الثلاث ليال ، وكدت أحتقر عمله ، فقلت : يا عبد الله ! لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة . ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات : «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» ، فطلعت أنت لثلاث مرات ، فأردت أن آوي لأنظر عملك لأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا حسدًا على خير أعطاه الله إياه ، فقال عبد الله : هذا الذي بلغ بك وهي التي لا نطيق»[1]. حديث حسن .

(١) حديث إسناده صحيح : رواه أحمد (٣/١٦٦) ، وعبد بن حميد (١١٥٩) ، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٥) (١٠٦٩٩) وإسناده صحيح .

الفصل السادس

في أكل الشيطان وقيئه وبوله

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ذكر رجل عند النبي ﷺ نام حتى أصبح فقال : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال أذنه**»(١) . متفق عليه .

قال الطحاوي : بال ، ليس على حقيقة البول بل على المثل والاستعارة . أي فعل به أقبح ما يفعل بالنائم ، ثم قال : وهذا لتضييع عشاء الآخرة ، وفعل المكروه من النوم قبلها . انتهى .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مررتُ ليلةَ أُسري بي فإذا بقوم تضرب رؤوسهم بالصخر ، فقلت يا جبريل ! ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك . قلت : وما حالهم ؟**

قال :كانوا ينامون عن العشاء الآخرة»(٢) .

قال ابن عبد البر : هذا الحديث مع ضعفه معناه أنهم ينامون عنها ولا يصلونها . قال : وعلى ذلك حمل الطحاوي حديث ابن مسعود : من نام

---

(١) حديث صحيح : روى البخاري (١٠٩٣) (٣٠٩٧) ، مسلم (٧٧٤) ، النسائي في «المجتبى» (٣/ ٢٠٤) ، وفي «الكبرى» (١/ ٤١١) (١٣٠٢) ، ابن ماجه (١٣٣٠) ، أحمد (١/ ٣٧٥ ، ٤٢٧) (٢/ ٢٦٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٥) (٥٠٩١) ، الطبراني في «مسند الشاميين) (٢/ ٢٧٠) (١٣٣٩) .

(٢) قال الهيثمي في المجمع (١/ ٧٠) : «رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول» ، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٢١٦) : «وهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفًا فإن في حديث أبي برزة ما يقويه ولكن معناه عندي يوضح أنهم كانوا ينامون عنها ولا يصلونها ، والله أعلم» .
قلت : حديث أبي برزة رواه البخاري (٥٤٣) : «أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها» .

حتى أصبح بال الشيطان في أذنه .

وقال ابن الجوزي في «كشف المشكل» فيه وجهان :

أحدهما :أنه على ظاهره ، وفي القرآن الكريم أن الشيطان ينكح . قال تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[1]. وقال : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[2]. قال الأصمعي : خرج رجل بحضر موت ، وإذا بنت الغول وهي ساحرة الجن ، فهرب فدخل بئرًا ، فبالت عليه ، فخرج من البئر وقد تمعط شعره ، ولم يبق عليه شيء . وفي الحديث أنه يأكل ويشرب فلا يمتنع أن يكون له بول وإن لم يظهر في الحس .

الثاني : أنه مثل شبه الغافل عن الصلاة بالنوم بمن وقع البول في أذنيه فثقل سمعه وفسد حسه ، والعرب تضرب المثل بمثل هذا .

قال الراجز :

بالَ سهيلٌ في الفضيخ فَفَسدْ وطابَ البانُ اللِّقاح وبردْ

وأراد : طلع سهيل ، فجعل طلوعه في إفساد الفضيخ بمنزلة البول فيه ، وقال الوالد : يتوجه أن البول على ظاهره ، وقال بعض أصحابنا فيكون بوله وقيئه ظاهرًا . وهذا غريب قد يعابا به .

قلت : وقد صح أنه يهرب من الأذان وله ضراط[3]. وقد يتأول ذلك من

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا أذن بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا سكت المؤذن أقبل فإذا ثوب أدبر فإذا سكت أقبل فلا يزال بالمرء يقول له اذكر ما لم يكن يذكر حتى لا يدري كم صلى** ...»الخ الحديث .
رواه البخاري (٥٨٣) (١١٦٤) (١١٧٤) (٣١١١) ، مسلم (٣٨٩) ، أبو داود (٥١٦) ، النسائي في «المجتبى» (٢/ ٢١، ٣١) ، ابن ماجه (١٢١٧) ، مالك في «الموطأ» (١٥٢) ، الدارمي (١/ ٢٩٥) (١٢٠٤) ، أحمد (٢/ ٣١٣، ٣٩٨، ٤١١، ٤٦٠، ٤٨٣، ٥٠٣، ٥٢٢، ٥٣١) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠/ ٣٧٣، ٣٩٢) (٥٩٦٤) =

تأول البول ، والأظهر جري ذلك على ظاهره .

وفي كتاب «الألقاب» للشيرازي عن الحافظ قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : خلق الجوز من ضراط إبليس ، وقال الأعمش : تعبد رجل من بني إسرائيل في غار ، فبعث إبليس شيطانًا ، فدخل الغار فجعل يصلي معه ، فقال له العابد : من أنت ؟ قال : أتعبد معك ، ثم قال : هل أدلك على أفضل مما نحن فيه ؟ قال : وما هو ؟ قال : أخرج بنا إلى قرية تأمر بالمعروف ، فأطاعه فأقبل رجل إليهما عند باب القرية ، فجعل الشيطان حين رآه يضرط ، فأخذه الرجل ، فذبحه ، فقال له العابد : ما صنعت قتلت خير الناس ؟ قال : إنما هو شيطان وأنا رحمة رحمك بها ربك . ذكره أبو نعيم .

وفي «سنن» أبي داود والنسائي والحاكم كان النبي جالسًا ورجل يأكل فلم يسم الله ، حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : **«ما زال الشيطانُ يأكلُ معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه»**[1] . وفي مسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود ، وصحيح مسلم ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع

= (٥٩٩٣) ، الطيالسي (٢٣٤٥) ، عبد بن حميد (١٠٣٢) ، ابن خزيمة (٣٩٢) (١٠٢٠) ، ابن حبان (١٦٦٣) (١٧٥٤) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٣٢) .

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو داود (٣٧٦٨) ، أحمد (٤/ ٣٣٦) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٧٤) (٦٧٥٨) (٦/ ٧٨) (١٠١١٣) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢٨١) (٢٣٠١) ، الحاكم (٤/ ١٢١) ، الضياء في «المختارة» (٤/ ٣٤٢) (١٥٠٩) ، الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٩١) (٨٥٤) من طريق جابر بن صبح عن المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي عن عمه أمية بن فحشر به . وقد وقع في إسناده إختلافًا شديدًا فقيل جابر بن صبح ، وقيل جابر بن صبيح وقيل رجاء بن صبح . والمثنى بن عبد الرحمن الخزاعي قال علي بن المديني : مجهول لم يرو عنه غير جابر بن صبح وقيل مرة عن عمه وقيل عن جده ، وقال الذهبي : مجهول ، وقال الحافظ ابن حجر : مستور .

رسول الله ﷺ على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده . وإنا حضرنا معه طعامًا فجاءت جارية كأنها تدفع ، فذهبت تضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، وجاء أعرابي كأنما يدفع ، فذهب يضع يده في الطعام ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده قال ، فقال رسول الله ﷺ : **«إنَّ الشَّيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده إن يده مع يديهما يعني الشيطان»**[١] . رواه مسلم .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إِذَا دَخَلَ أحدكم بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُر الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُم الْمَبِيتَ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُر الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُم الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»**[٢] .

وقال ابن مسعود : لقي شيطان المؤمن شيطان الكافر ، فإذا شيطان المؤمن مهزول ، وإذا شيطان الكافر سمين ، فقال : ما لك ؟ قال : ما لي من شيء إذا دخل بيته ذكر الله ، وإذا طعم ذكر الله ، وإذا شرب ذكر الله . قال الآخر : لكني آكل معه وأشرب معه .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال النبي ﷺ : **«قال إبليس يا رب كل خلقك بينت رزقه ففيم رزقي ؟ قال : فيما لم يذكر اسم الله عليه»**[٣] .

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٠١٧) ، أبو داود (٣٧٦٦) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٧٣) (٦٧٥٤) ، أحمد (٥/ ٣٨٢، ٣٩٧) ، أبو عوانة (٥/ ١٦٠، ١٦١) ، الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢١) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٧٤) (٥٨٣٠) .

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨) ، أبو داود (٣٧٦٥) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٧٤) (٦٧٥٧) ، (٦/ ٥٢) (١٠٠٦) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٧٨) ، ابن ماجه (٣٨٨٧) ، أحمد (٣/ ٣٨٣) البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٩٦) ، الحاكم (٢/ ٤٣٦) ، البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٧٦) ابن حبان (٨١٩/ إحسان) ، أبو عوانة (٥/ ١٦٢) .

(٣) رواه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٦١) (٣٨٥) وفيه من لم أجدهم فلينظر .

رواه الضياء في المختارة ، وقد نصرنا في الكتاب الباهر أن الجن يأكلون حقيقة لأن النبي ﷺ قال : «**إنَّ العظام منْ زادهم وأن البعر أزواد دوابهم فلولا أكلهم لم يحتاجوا إلى الزاد ولم يسألوه إياه**»[١] .

وفي صحيح مسلم ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَتَانِي الْجِن فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ قَالَ ، فَانْطَلَقَ أي النبي فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ ، فَقَالَ : كُلُّ عَظْم ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ** » ، فَقَالَ النبي ﷺ : «**لَا تَسْتَجمروا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**»[٢]. وقال آخرون : إن عامة الجن يعيشون بالروائح ، وقال الغزالي في كتاب «الإحياء» : أكثر الجن يعيشون بالرائحة ، وقال ابن عقيل : يجوز أن يكون زادهم أو يلحسون زهائمها ويبقى أجسامها .

وسأل عمر رضي الله عنه رجلًا أستأسرته الجن ما طعامهم ؟ قال : الفول وما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجدف بالتحريك نبات يكون باليمن لا يحتاج معه إلى شرب ماء ، وقيل تأكله الإبل ، فلا يحتاج معه إلى شرب ماء ، وقيل : ما لا يغطي من الشراب وغيره ، وقيل : زبد الشراب ورغوة اللبن . قال الأعمش : تزوج إلينا جني فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز ، فأتاهم ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدًا ، فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا .

قال الشيخ كمال الدين المزي الحافظ : هذا صحيح عن الأعمش .

(١) انظر حديث ابن مسعود الآتي .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٤٥٠) ، أبو داود (٣٩) (٨٥) ، الترمذي (١٨) (٣٢٥٨) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٧٢) (٣٩) ، أحمد (١/ ٤٥٧) ، ابن خزيمة (٨٢) ، ابن حبان (١٤٣٢/ إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ٦٩) (٩٩٦) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ١٠٩) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الشيطان أتى العراق فباضَ فيهم وأفرخَ ثم أتى مصْرَ فبسط عبقريه وجلس ، ثم أتى الشام فطرده حتى بلغ بيسان**»[(١)]. رواه ابن عساكر.

وعن يحيى بن أيوب ، وابن لهيعة ، عقيل ، عن الزهري ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ إبليسَ دخل العراق فقضى حاجته منها ، ودخل الشام فطردوه حتى بلغ بيسان ، ثم دخل مصر فباض فيها وفرَّخ وبسط عبقريه**»[(٢)]. حديث حسن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات بلا حجة ، وسئل الحسن : أينام إبليس ؟ قال : فتبسم الحسن ، فقال : لو نام لوجدنا راحة . ذكره ابن أبي الدنيا .

***

(١) حديث ضعيف : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/٣٤٠) (١٣٢٩٠) ، وفي «الأوسط» (٦/٢٨٦) (٦٤٣١) ، أبو الشيخ في «العظمة» (١١٤٠٦٠) ، وفي إسناده انقطاع .

(٢) انظر الحديث السابق .

الفصل السابع

في عقبات الشيطان السبع وقصة برصيصا العبد وحديث من خلق

اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين في سبع عقبات : عقبة الكفر ، فإن سلم منه وقف له في عقبة البدعة ، ثم في عقبة فعل الكبائر ، ثم في عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففي عقبة فعل المباحات ، فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك وقف له في العقبة السابعة ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منها رسول الله ﷺ وهي تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله : «**يَجِدُ أَحَدنَا فِي نَفسِهِ الشَّيْءَ لَأَنْ يَكُونَ كتَمَه أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ . بِهِ فَقَالَ : الله أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**»[1]. رواه أبو داود وله أيضًا عن أبي زميل قال ، قلت لابن عباس : ما شيء أجده في صدري فقال : ما هو ؟ قلت : لا والله لا أتكلم به ، فقال الشيء من شك وضحك ، فقال : ما نجي منها أحد حتى أنزل الله تعالى : ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ

---

(١) حديث صحيح : رواه أبو داود (٥١١٢) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٧١) (١٠٥٠٣) (١٠٥٠٤) (١٠٥٠٥) ، أحمد (١/ ٢٣٥) ، ابن نصر في «تعظيم قدر الله» (٢/ ٧٢٣) (٧٧٩) ، الطبراني في «الصغير» (٢/ ٢٣٧) (١٠٩٠) ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» .

ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾[(١)].

فإذا وجدت شيئًا من ذلك فقل : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[(٢)(٣)].

وفي لفظ : إن أحدنا يجد في نفسه لأن يخر من السماء إلى الأرض ، أو يحترق حتى يصير حممة أحب إليه من أن يتكلم به . قال : «**ذلك صريح الإيمان**»[(٤)]. قال طائفة من العلماء :كأبي عبيد ، وأبي حاتم ، والخطابي وغيرهم : يعني كراهية ذلك واستعظامه ، وقال غيرهم : لابد للمؤمن من كراهية ذلك واستعظامه قال : فالمؤمن إذا ذكر الله وعَبَده وتفكَّر في عظمته فلا بد أن تقع هذه الوساوس على قلبه ضرورة كما قال : ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾[(٥)]. الآية فضرب مثل ما ينزله على القلوب من الإيمان والقرآن بالماء الذي ينزله فتحمله الأودية ، وهي أمثلة القلوب صغار وكبار ، وضرب له مثلًا بما يوقد عليه في النار من الحلية والحديد لابد فيهما من زبد في طبع الأرض والمعدن من الزبد الذي يظهر عند وجود الماء والنار ، وكذلك ما يظهر في القلوب من الوساوس الباطلة التي تظهر عند نزول الإيمان ، والقرآن الذي هو سبب حياة القلوب وعند حرارة الحركة والطلب والإرادة ، وهذا أمر محسوس بالقلوب يجده

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٤ .
(٢) سورة الحديد ، الآية : ٣ .
(٣) **حديث حسن** : رواه أبو داود (٥١١٠) ، الضياء في «المختارة» (١٠/ ٤١٩) (٤٤٢) .
(٤) **حديث صحيح** : رواه مسلم (١٣٢) ، أبو داود (٥١١١) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٧٠) (١٠٥٠٠) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٦٤) ، أحمد (٢/ ٣٩٧ ، ٤٤١) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠/ ٣٢١) (٥٩١٤) ، البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨٤) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٥) (٦٥٤) ، أبو عوانة (١/ ٧٧) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٠٠) (٣٤٠) ، ابن حبان (١٤٥/ إحسان) ، ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٢١) (٧٧٥) .
(٥) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

المؤمن عند تصحيح إيمانه واعتقاده ، وعند تصحيح عبادته وإرادته ، والشيطان لعنه الله إنما يجتهد على الإنسان حتى يؤول أمره إلى العقبة الأولى عقبة الكفر قال تعالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان زاهد في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين لم يعص الله فيها طرفة عين ، وإن إبليس أعياه في أمر الحيل ، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال : ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك ، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه ، فلم يجبه ، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ، ولا يفطر إلى عشرة أيام مرة ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على صلاته وعلى العبادة في أصل صومعته ، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته ، فرأى الأبيض قائمًا يصلي في هيئة حسنة من الرهبان ، فلما رأى ذلك من حاله قال له : إنك ناديتني وكنت مشتغلًا عنك ، فما حاجتك ؟ قال : حاجتي أني أحببت أن أكون معك وأتأدب بك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك .

قال برصيصًا : أنا في شغل عنك ، فإن كنت مؤمنًا فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبًا ، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، وأقبل الأبيض يصلي ، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يومًا بعدها ، فلما انفتل رآه قائمًا يصلي ، فلما رأى شدة اجتهاده قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن تأذن لي فارتفع إليك ، قال :فأذن له . فارتفع إليه في صومعته وأقام معه حولًا يتعب لا يفطر إلى في كل أربعين يومًا ، ولا ينفتل عن صلاته إلى في كل أربعين يومًا مرة وربما يزيد إلى الثمانين ، فلما رأي برصيصا شدة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه ، وأعجبه شأن الأبيض ، فلما حال الحول قال الأبيض

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٦ .

لبرصيصا : إني منطلق فإن لي صاحبًا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادًا مما أرى ، وكأنه بلغنا عنك غير الذي رأيت ، فدخل من ذلك على برصيصًا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من شدة اجتهاده .

فلما ودَّعه قال له الأبيض : إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن ، فهن خير لك مما أنت فيه . يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون ، قال برصيصا : إن أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلًا ، وإني أخاف إن علم الناس به شغلوني عن العبادة ، فلم يزل به الأبيض حتى علمه .

ثم انطلق حتى أتى إبليس ، فقال : والله أهلكت الرجل . قال : فانطلق الأبيض ، فتعرض لرجل فخنقه ، ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونًا . أفأعالجه ؟ فقالوا : نعم ، فقال إني لا أقوى جنيته ، ولكن سأرشدكم إلى مَن يدعو الله فيشفيه انطلقوا إلى برصيصا ، فإن عنده الاسم الذي إذا دعي به أجاب ، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك ، فدعا بتلك الدعوات ، فذهب عنه الشيطان ، وكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون ، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة ، وكان أبوهم ملكهم ، فمات فاستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل فعذبها وخنقها ، ثم جاء إليهم في صورة متطبب فقال لهم : أعالجها ؟ قالوا : نعم . قال : إن الذي عرض لها مارد لا يطاق ، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به وتدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها ، حتى تعلموا أنها قد عوفيت تردونها صحيحة ، فقالوا : ومن هذا ؟ قال : برصيصًا . قالوا : فكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنًا من ذلك ؟ قال فإن قبلها وإلا فضعوها عنده في صومعته ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك فاحتسب فيها ، قال : فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ، ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا : هذه أختنا ثم انصرفوا .

فلما التفت برصيصا من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال ،

فأسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم ، فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ، فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ، ثم جاء الشيطان فخنقها ، وكانت تكشف عن نفسها ، فجاءه الشيطان وقال : واقعها فتتوب بعد ، فتدرك ما تريد من الأمر ، فلم يزل به حتى واقعها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك يا برصيصا قد افتضحت ، فهل لك أن تقتلها فتتوب ، فإذا سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقو عليه ، فدخل برصيصا فقتلها ، ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ، فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلًا فأخذ بطرف إزارها فبقى طرف إزارها خارجًا من التراب .

ثم رجع برصيصا إلى صومعته ، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يسألونه عنها ، فقالوا يا برصيصا ! ما فعلت أختنا ؟ فقال : جاء شيطانها فذهب بها فلم أطقه ، فصدقوه وانصرفوا ، فلما أمسوا وهو مكروبون جاء الشيطان أكبرهم في منامه ، فقال : ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ودفنها في موضع كذا وكذا ، فقال الأخ : هذا حلم وهو من الشيطان . برصيصا خير من ذلك قال ، فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال مثل ما قال الأول ، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا ، فقال الأوسط : رأيت مثله ، فقال الأكبر : وأنا رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا ، فقالوا : ما فعلت بأختنا ؟ فقال : أليس قد علمتم فاستحيوا منه ، وقالوا : والله لا نتهمك ، فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال : ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا ، وإن طرف إزارها خارج من التراب ، فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم ، فمشوا إلى مواليهم وغلمانهم معهم الفئوس والمساحي فهدموا صومعته وأنزلوه ، ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أتاه فقال : تقتلها ثم تنكر اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة .

فلما صلب أتاه الأبيض ، فقال : أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك . ويحك أما استحييت في أمانة خنت أهلها ، وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل ، أما استحييت ؟ فلم يزل يغويه ، ثم قال في آخر ذلك : ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك ، وفضحت نفسك ، وفضحت أشباهك من الناس ، فإن مت على هذه الحال فلم يفلح أحد من نظرائك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : تعطني خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك ، قال : وما هي ؟ قال : تسجد لي ، قال : أفعل ، فسجد له ، ثم قال : يا برصيصا !هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك إلَيَّ أن كفرت بربك إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، والشيطان كثيرًا ما يدخل على الناس من قلة العلم[1].

وقال ثابت : حججت فأتيت إلى حلقة فيها رجلان أخوان أدركا رسول الله ﷺ ، اسم أحدهما محمد . خرج رسول الله ﷺ ، وهما يتذكران أمر الوسواس ، فقال : ما تذكران ؟ قالا : يا رسول الله ! نتذاكر الوسواس لأن يقع أحدنا من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم بما يوسوس إليه . قال : وقد أصابكم ذلك ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ! قال ، فإن ذلك محض الإيمان . قال ثابت فقلت أنا : يا ليت أن الله أراحنا من ذلك المحض فانتهراني وقالا : نحدثك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : يا ليت أن الله أراحنا ؟ ذكره عبد الله البغوي في معجمه .

فصل

الفقه في الدين حرز من الشيطان

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : اشتد عليَّ الحر في بعض

(١) انظر تفسير القرطبي (١٨/٣٧-٣٩) ، تفسير ابن كثير (٤/٣٤٢) .

الأسفار يومًا حتى كدت أموت عطشًا ، فظلتني سحابة سوداء وهب عليَّ منها هواء بارد حتى دار ريقي في فمي ، وإذا بصوت يناديني منها يا عبد القادر ! أنا ربك فقلت له : أنت الله الذي لا إله إلا هو ، فعدل الشيخ عن الاسم المشترك كما يقال : رب الدار ورب المال إلى الاسم المختص بالواحد الأحد سبحانه . قال : فناداني ثانيًا . فقال يا عبد القادر ! أنا ربك ، وقد أحللت لك ما حرمت عليك . قال ، فقلت له : كذبت بل أنت الشيطان . قال : فتمزقت تلك السحابة وسمعت من ورائي قائلًا يا عبد القادر ! نجوت مني بفقهك في دينك ، لقد فتنت بهذه الحيلة قبلك سبعين رجلًا .

وقيل للشيخ عبد القادر : كيف عرفت أنه الشيطان ؟ قال : من حين : قال : أحللت لك عرفته لأن بعد رسول الله ﷺ لا تحليل ولا تحريم ، فنفعه الله بالعلم النافع .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : ما عظمت عبد القادر إلا بكلامه في القدر وحكايته مع الشيطان . وقال ابن العربي في كتابه مواقع النجوم : ذكر لنا أن في بعض المنازل من يخاطب الولي بهذا ، ويقال له : افعل ما حرمت عليك ، وهذا إنما يسمعه من الحق سبحانه لكنه سماع ابتلاء .

قلنا : حاشا لله من هذا ، وإنما هو خطاب من الشيطان ليفتنه ويغره إنه قد وصل ، وأن الحق خاطبه والشيطان كثيرًا ما يدخل على الناس من قلة العلم .

وفي حديث الترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد**»[1] . قال أبو

(١) ضعيف جدًا : رواه ابن ماجه (٢٢٢) ، الترمذي (٢٦٨١) ، وقال : غريب ، البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٣٠٨) ، ابن عدي في «الكامل» (٣/١٤٥) ، ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٠٠) ، الدارقطني في «سننه» (٣/٧٩) ، القضاعي في «مسند الشهاب» (١/١٥٠) (٢٠٦) ، الطبراني في «الأوسط» (٦/١٩٤) (٦١٦٦) ،=

هريرة : «لكل شئ دعامة ودعامة الإسلام الفقه في الدين ، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»[١]. رواه ابن عدي عنه مرفوعًا .

وعن ابن عباس أنه قال : إن الشياطين قالوا لإبليس : يا سيدنا ! إنَّا نفرح بموت العالم ما لا نفرح بموت العابد ، والعالم لا نصيب منه ، والعابد نصيب منه . قال : انطلقوا فانطلقوا إلى عابد وأتوه في عبادته ، فقالوا : نريد أن نسألك ، فقال إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟ قال : لا أدري . قال : أترونه كفر في جوابه ؟ ثم جاء إلى رجل عالم في حلقة يضاحك أصحابه ، فقالوا : إنا نريد أن نسألك ، فقال : سل . فقال : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟ قال : نعم . قال : كيف يقول ؟ قال : يقول : «كن فيكون» قال : أترون ذلك لا يعدو نفسه وهذا يفسد عليَّ عالمًا كثيرًا .

وفي الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ،من خلق كذا حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ ولينته»**[٢].

وفي رواية : **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله»**[٣].

= وفي «مسند الشاميين» (٢/ ١٦١) (١١٠٩) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٦) (١٧١٢) ، انظر «علل الدارقطني» (٩/ ١٣٢) (١٦٧٦) .

(١) حديث ضعيف جدًا ، انظر تخريج الحديث السابق .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٠٢) ، مسلم (١٣٤) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٧٠) (١٠٤٩٨) ، أبو عوانة (١/ ٨٠) ، «الإيمان» لابن منده (١/ ٤٧٩) (٣٥٤) (٣٥٥) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٤) (٦٥١) ، اللالكائي في «شرح أصول السنة» (٣/ ٥٢٥)(٩٢٦) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٠١) (٣٤٥) .

(٣) حديث صحيح : رواه مسلم (١٣٤) ، أبو داود (٤٧٢١) ، أحمد (٢/ ٢٣١) ، (٦/ ٢٥٧) ، عبد بن حميد (٢١٥) ، ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٧٨) (٣٥٣) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٣) (٦٥٠) ، اللالكائي في «شرح أصول السنة» (١/ ١٢٠) =

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، حدثنا الضحاك . يعني : ابن عثمان ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبي ﷺ قال : **«إن أحدَكم يأتيه الشيطانُ فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله . فيقول : فمن خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه»**(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«قال الله تعالى إنَّ أمتك لا يزالون يتساءلون ويقولون ما كذا ، ما كذا ؟ حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟»**(٢) . رواه مسلم .

وللبخاري عنه : **«لن يبرحَ الناس يتساءلون : هذا الله خلق كل شئ فمن خلق الله ؟»**(٣) .

وللإمام أحمد في المسند : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **«قال الله تعالى إنَّ أمتك لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله تعالى خلق الناس ، فمن خلق الله ؟»**(٤) .

وقال ابن إسحاق في السيرة : حدثنا عتبة بن مسلم ، عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«يوشك الناس أن يتساءلوا فيما بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك ،**

= (١٩٢) ، الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٥) (٣٧١٩) ، «الأوسط» (٢/ ٢٥٢) (١٨٩٦) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٠١، ٢٠٣) (٣٤٣) (٣٥١) .

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٥٧) من حديث عائشة ، وانظر الحديث السابق .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (١٣٦) ، أحمد (٣/ ١٠٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٤٧) (٣٩٦١) ، ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٨٣) (٣٦٦١) ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٤) (٦٥٢) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٠٣) (٣٥١) .

(٣) حديث صحيح : رواه البخاري (٦٨٦٦) ، ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٨٣) (٣٦٧) .

(٤) انظر الحديث السابق .

فقولوا : قل هو الله أحد ، الله الصمد إلى آخرها ، ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»[١] .

وقال ابن إسحاق أيضًا : حدثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى امتقع لونه ، فأتاه جبريل ، فسكنه فقال : خفض عليك يا محمد ، وأتاه من ربه بجواب ما سألوه عنه : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[٢] . السورة كلها ، فلما تلاها عليهم قالوا يا محمد ! كيف خلقه ، كيف ذراعه ، كيف عضده ؟ فغضب رسول الله ﷺ ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال أول مرة ، وجاء من ربه بجواب ما سألوه يقول الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ إلى قوله : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣][٤] . فالتسلسل في الفاعل والفاعلية قد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منه ، وليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأمر بالإيمان بأن يقول : آمنت بالله ورسله ، وأمر أن يقرأ : قل هو الله أحد ، وأن يقول : هو الأول والآخر ، وقد أبطل النبي ﷺ هذا التسلسل لما أورد عليه حيث قال : «**لا عدوى ولا طيرة**» ، فقيل يا رسول الله ﷺ ! ما بال الإبل تكون كالظباء فيخالطها الجمل الأجرب فتجرب ؟ فيقول رسول الله ﷺ : «**فمن أعدى الأول**»[٥] . يعني لو كان كل أجرب يستدعي الجرب للزم تسلسل

(١) حديث صحيح : رواه أبو داود (٤٧٢٢) ، النسائي في «الكبرى» (٦/١٦٩) (١٠٤٩٧) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٩٤) (٦٥٣) ، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» .

(٢) سورة الإخلاص ، الآيتين : ١ ، ٢ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

(٤) حديث حديث صحيح : رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/٢٨) (٣٠/٣٤٣) ، من طريق ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع ، وهو أيضًا مرسل .

(٥) حديث صحيح : رواه البخاري (٥٣٨٠) (٥٤٢١) (٥٤٣٧) (٥٤٤٠) ، مسلم=

الجرب لكنه باطل بالعيان ، إذ البعير الأول لم يستدع أجرب يعديه ، وانظر إلى قوله ﷺ : «**فمن أعدى الأول**» مع قوله : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾[1] . كيف كل منهما ثلاث كلمات تتضمن دليلًا عظيمًا ، بهت في تقديره المتكلمون والفلاسفة ، وذلك دليل على تشابه الكلام ، فالنبي ﷺ علم أن وسواس التسلسل في الفاعل يقع للنفوس وأنه معلوم الفساد بالضرورة فأمر ﷺ بالاستعاذة بالله منه والانتهاء منه .

وقد قيل للإمام فخر الدين الرازي : لِمَ لم يأمر النبي ﷺ عند هذا الوسواس بالبرهان المبين لفساد التسلسل والدَّور ، بل أمر بالاستعاذة ؟

فأجاب : بأن مثل هذا مثل من عرض له كلب ينبح عليه ليؤذيه ويقطع عليه طريقه ، فتارة يضربه بعصاه ، وتارة يأمر من صاحب الكلب أن يزجره ، قال : فالبرهان هو الطريق الأول وفيه صعوبة ، والاستعاذة بالله هو الثاني وهذا سهل .

قال بعضهم : هذا يقتضي أن طريقة البرهان أقوى وأكمل ، وليس الأمر

= (٢٢٢٠) (٢٢٢٤) ، ابن ماجه (٨٦) (٣٥٣٧) (٣٥٣٩) ، أبو داود (٣٩١١) (٣٩١٦) (٣٩٢١) ، الترمذي (١٦١٥) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ٤٠٢) (٩٢٧٧) (٤/ ٣٧٥) (٧٥٩١) ، أحمد (١/ ١٧٤) (٢/ ١٦٢، ٤٢٠) (٣/ ١٣٠) ، الحميدي (١١١٧) ، الطيالسي (١٩٦١) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٠٦) (٧٦٦) ، (٣/ ٣٢٤) (١٧٨٩) (٤/ ٢٢١) (٢٣٣٣) ، البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢١٦) ، الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٨٨) (١١٧٦٤) وفي «الأوسط» (٥/ ٣٩) (٤٦١٤) .

قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ١٩٦) : «أما قوله ﷺ (لا عدوى) فهو نهي عن أن يقول أحد إن شيئًا يعدي شيئًا وإخبارًا أن شيئًا لا يعدي شيئًا ، فكأنه قال لا يعدي شئ شيئًا يقول ولا يصيب أحد من أحد شيئًا من خلق أو فعل أو داء أو مرض وكانت العرب تقول في جاهليتها مثل هذا أنه إذا اتصل شيء من ذلك بشيء أعداه فأخبرهم رسول الله ﷺ أن قولهم ذلك واعتقادهم ذلك ليس كذلك ، ونهى عن ذلك القول» أهـ .

وانظر «زاد المعاد» (٤/ ١٤٩) ، «الطب النبوي» (١/ ١١٩) كلاهما لابن القيم .

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ .

كذلك ، بل طريقة الاستعاذة أقوى وأكمل ، فإن دفع الله الوسواس من القلب أكمل من دفع الإنسان ذلك عن نفسه .

قلنا : هذا الكلام مبناه على أن الأسئلة الواردة على النفس تندفع بطريقين : أحدهما البرهان ، والآخر الاستعاذة ، والنبي ﷺ أمر بها ، وإن طريقة البرهان تقطع الأسئلة الواردة على النفس بدون ما ذكره النبي ﷺ ، وأن النبي ﷺ لم يأمر بالبرهان وهذا خطأ ، بل النبي ﷺ أمر بالبرهان في محله ، وهذا الذي وصل إلى هذا المقام من الوسواس لا ينتفع بالبرهان ، لأن البرهان لابد أن ينتهي إلى مقدمات ضرورية بديهية أولية يبتديها الله في قلبه ، ثم إن تلك العلوم الضرورية قد يعرض فيها شبهات ووسواس كالشبهات السوفسطائية والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان ، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث ، ولهذا من أنكر العلوم الضرورية والحسية لم يناظر ، بل إن كان جاحدًا معاندًا عوقب حتى يعترف بالحق ، وإن كان غالطًا إما لفساد عرض لحسه أو عقله فإنه يعالج ، فإن عجز عن ذلك لفساد في طبيعته عولج بالأدوية الطبيعية أو بالرق والدعاء والتوجه .

وفي الجملة الوسوسة والشبهة القادحة في العلوم الضرورية لا تزول بالبرهان ، وإنما تزول بالاستعاذة بالله ، فإن الله تعالى هو الذي يعيذ العبد ويجيره من الشبهات المضلة والشهوات المغوية ، ولهذا أمر العبد أن يقول في كل صلاة : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [١]. وفي الحديث الإلهي : **«كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»**[٢]. وقد شرعت الاستعاذة عند قراءة القرآن ، وعند الغضب ليصرف عنه شر الشيطان عند وجود سبب

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٦ .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٥٧٧) ، الترمذي (٢٤٩٥) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٧٢) ، الطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٦٥) (٧١٦٩) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٧٠٦) (٧٠٨٩) ، هناد في «الزهد» (٩٠٥) كلهم من حديث أبي ذر ﷺ .

الخير وهو القراءة ، وعند وجود سبب الشر لمنع الشر الذي يحدثه عند ذلك .

وفي الصحيح ، عن رسول الله ﷺ : **«ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه»**(١) . وكانت يمين رسول الله ومقلب القلوب وكان كثيرًا ما يقول : **«لا ومقلب القلوب»**(٢) . وفي الحديث : **«للقلب أشد تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا»**(٣) . والواردات على القلب كثيرة فيها المحمود وفيها المذموم ، والله سبحانه هو القادر على صرف ذلك ، فالاستعاذة بالله طريق مفضيه إلى المقصود الذي لا يحصل بالنظر والاستدلال ، وأيضًا النبي ﷺ لم يأمر

---

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٦٥٤) ، النسائي في «الكبرى» (٤/٤٤٣) (٧٨٦١) ، أحمد (٢/١٦٨) ، البزار (٢٤٦٠) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٠٠) (٢٢٢) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . ورواه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٤١٤) (٧٧٣٨) ، ابن ماجه (١٩٩) ، أحمد (٤/ ١٨٢) ، الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٥٥) (١٢٣٣) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩٨) (٢١٩) ، ابن حبان (٩٤٣/ إحسان) كلهم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه . ، ورووا ابن ماجه (٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٤٧) (١٥٣٠) ، أبو إسماعيل الهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» (١/ ٧٥) [٢٦] من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (٦٢٥٣) (٦٩٥٦) ، أبو داود (٣٢٦٣) ، النسائي في «الكبرى» (٣/ ١٢٢) (٤٧٠٣) (٤/ ٤٠٨) (٧٧١٣) ، وفي «المجتبى» (٧/ ٢) ، ابن ماجه (٢٠٩٢) ، الترمذي (١٥٤٠) ، الدارمي (٢/ ٢٤٥) (٢٣٥٠) ، الموطأ (١٠٢١) ، أحمد (٢/ ٢٥، ٦٧، ٦٨، ١٢٧) ، عبد بن حميد (٧٤١) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٣٣٢ ، ٣٦٢، ٣٩١، ٤٠٤) (٤٧٠٣) (٧٧١٣) (٥٤٤٢) (٥٤٧٢) (٥٥٢٠) (٥٥٢١) (٥٥٤٨) ، ابن حبان (٤٣٣٢/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٧) .

(٣) حديث صحيح : رواه أحمد (٦/ ٤) ، ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٠٢) (٢٢٦) ، الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) (٥٩٨) (٥٩٩) ، الحاكم (٢/ ٢١٧) وقال : «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» ، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٢٩) ، القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٣٠) (١٣٣١) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٤٧) .

بالاستعاذة وحدها ، بل أمر العبد أن ينتهي عن ذلك مع الاستعاذة إعلامًا بأن هذا السؤال هو نهاية الوسواس ليس هو من البدايات الذي يزيله ما بعده ، فإن النفس تطلب سبب كل حادث وأول كل شئ حتى تنتهي إلى الغاية والمنتهى .

وقد قال تعالى : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝﴾[(١)] .

وفي الدعاء المأثور الذي ذكره مالك في الموطأ : «حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى»[(٢)]. فإذا وصل العبد إلى غاية الغايات ، ونهاية النهايات وجب وقوفه ، فإذا طلب بعد ذلك شيئًا آخر وجب أن ينتهي ، فأمر النبي ﷺ العبد أن ينتهي مع استجارته بالله من وسواس التسلسل ، وأيضًا النبي ﷺ أمر العبد أن يقول آمنت بالله وأن يستعيذ وأن يقول : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ ، وأن يقول : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ كما سبق ، وهذا من باب دفع الضد الضار بالضد النافع ، فإن هذا يدفع عن قلبه الوسواس الفاسد ، ولهذا كان الشيطان يخنس عند ذكر الله ، ويوسوس عند الغفلة عن ذكر الله تعالى . قال الله تعالى :﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝﴾[(٣)]. وشبه هذا الوسواس الذي يعرض لكثير من الناس في العبادات حتى يشككه هل كبر أو لم يكبر ، وهل نوى العبادة أو لم ينوها ، فيشككه في علومه الحسية الضرورية ، فإن ذلك مما يعلمه بقلبه ويسمعه بأذنه ، وقصد الصلاة مثل قصد الأكل والشرب ، وعلم ذلك كله علم ضروري أولي لا يتوقف على البرهان ، بل هو مقدمات البرهان ، وهذا الوسواس يزول بالاستعاذة وانتهاء العبد وأن يقول إذا قال : لم تغسل

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٤٢ .

(٢) حديث ضعيف : رواه مالك في «الموطأ» بلاغًا ، والبزار (١٠٥٣) ، وقال : لا نعلمه يروى عن عبد الرحمن بن عوف إلا بهذا الإسناد وفي إسناده نعيم بن مورع العنبري ، قال أبو حاتم : ليس بقوي ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن عدي : يسرق الحديث .

وجهك : بل غسلت وجهي ، وإذا خطر له أنه لم ينو بقلبه ، بل قد نويت فيثبت على الحق ويدفع ما يعارضه من الوسواس ، فيرى الشيطان وقوفه وثباته على الحق ، فيندفع عنه ، وإلا فمتى رآه قابلًا للشكوك مستمعًا إلى الوسواس والخطرات أورد عليه من ذلك ما يعجز عن دفعه ، وصار قلبه موردًا لما يوحيه شياطين الإنس والجن من زخرف القول ، وانتقل من ذلك إلى غيره إلى أن يسوقه الشيطان إلى الهلكة : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾[1] . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾[2] .

فصل

يشرع أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في مواضع :

منها : عند قراءة القرآن كما سبق .

ومنها : عند وسواس التسلسل كما سبق .

ومنها : عند الغضب .

عن سليمان بن صرد قال : رأيت رجلين اختصما عند النبي ﷺ ، فغضب أحدهما حتى أحمرَّ وجهه فقال رسول الله ﷺ : **«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»** قال : وهل بي جنون ؟[3] . متفق عليه ، فالغضب سبب الشر فشرعت الاستعاذة عنده .

(١) سورة الزخرف، الآية : ٣٦ .
(٢) سورةالبقرة ، الآية : ٢٥٧ .
(٣) سورة الأعراف ، الآيتان : ٢٠١-٢٠٢ .
(٤) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٠٨) (٥٧٠١) (٥٧٦٤) ، مسلم (٢٦١٠) ، أبو داود (٤٧٨١) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٤) (١٠٢٢٥) ، أحمد (٦/ ٣٩٤) ، البخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٤) (١٣١٩) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»=

ومنها : عند الخلاء إجماعًا . عن أنس ﷺ قال : كان النبي إذا دخل الخلاء قال : «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(١)]. متفق عليه .

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا هشيم ، عن أبي معشر ، عن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس قال : كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : «**بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(٢)]. أبو معشر اسمه نجيح ضعيف .

قال الإمام أحمد في رواية أبي طالب يقول : أعوذ بالله من الخبث والخبائث وما دخلت قط ولم أقله إلا أصابني ما أكره فيه . الخُبُث بضم الخاء والباء جمع خبيث ، كرغيف ورغف ، وهو الذكر من الشياطين ، والخبائث : جمع خبيثة ، وهي الأنثى منهم . استعاذ من ذكران الشياطين وإناثهم ، وأكثر الروايات الخبث بإسكان الباء .

قال الخطابي : هو قول المحدثين وهو غلط كذا قال ويحتمل تصويبه وأن يكون كالأول مخففًا منه كقولهم : في كُتُب ورُسُل كتْب ورسْل ، فقال أبو عبيدة : الخُبْث بسكون الباء : الشر ، والخبائث : الشياطين ، لأن

= (٤/ ٣٢٠) (٢٣٤٩) ، ابن حبان (٥٦٩٢/إحسان) ، الحاكم (٢/ ٤٧٨) ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ٩٩) (٦٤٨٧) كلهم من حديث صرد ﷺ، ورواه أبو داود (٤٧٨٠) ، الترمذي (٣٤٥٢) ، أحمد (٥/ ٢٤٠،٢٤٤) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٤) (١٠٢٢١) ، الطبراني في «الكبرى» (٢٠/ ١٤٠) (٢٨٦) كلهم من حديث معاذ ابن جبل ﷺ.

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٤٢) (٥٩٦٣) ، مسلم (٣٧٥) ، أبو داود (٤) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٦٧) (١٩) ، وفي «المجتبى» (١/ ٢٠) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٤) ، ابن ماجه (٢٩٨) ، الترمذي (٥) (٦) ، الدارمي (١/ ١٨٠) (٦٦٩) ، أحمد (٣/ ٩٩) ، ابن خزيمة (٦٩) ، ابن حبان (١٤٠٦ ، ١٤٠٧/إحسان) ، أبو عوانة (١/ ١٨٤) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٤٠٨) (٨٢٤) ، أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ١٠) (٣٩٠٢) ، الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٦١) (٢٨٠٣) ، وفي «الصغير» (٢/ ١٢٠) (٨٨٨) ، كلهم من حديث أنس ﷺ.

(٢) حديث منكر : رواه بن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١١) ، العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٧٠) ، ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٥) ، وانظر «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٦٤) .

فعيلًا صفة يجمع على فعلا مثل : ظريفا وظرفًا ، وكريم وكرمًا ، وإنما تجمع على فعيل إذا كان اسمًا مثل : رغيف ورغف ، ونذير ونذر ، لأنه أكثر معنى . وقيل : الخبث : الشياطين ، والخبائث : المعاصي .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم»**[1] . رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف.

فإن قيل : كان عليه السلام معصومًا من الشياطين ومردة الجن ومن كل طارق شر ، فما معنى استعاذته ؟

قلنا : فيه فائدتان : أحدهما : ترجع إليه وهي لزوم الخضوع لربه واللجوء إليه وأنه سبحانه هو الذي عصمه ، وثانيها : التشريع لأمته .

***

(١) حديث منكر : رواه ابن ماجه (٢٩٩) ، ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٩) ، الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢١٠) (٧٨٤٩) من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة به . وهذا إسناده مظلم ، قال ابن حبان : «إذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم فذاك مما عملته أيديهم» . ورواه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٤٥) (٨٨٢٥) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس مرفوعًا به . وإسماعيل بن مسلم المكي لا يعرف بنقل الحديث وحديثه منكر ، والحسن وقتادة معروفين بالتدليس ، وكلاهما لم يصرح بالسماع ، وقد رواه ابن أبي شيبة (١/ ١١) موقوفًا على حذيفة ولا يصح فإن في إسناده جويبر ضعفه ابن معين وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، وقال الدارقطني متروك ، وقال النسائي متروك .
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٥٤) .

الفصل الثامن

في بكاء الشيطان

قال ثابت البناني : بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا قرأ ابنُ آدم السَّجدة فسجدَ اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار**»[(٢)]. رواه مسلم .

وقد احتج به من أوجب سجود التلاوة ، فذكر عنه الأمر بالسجود ، ولم يعقبه بإنكار ، فدل على أنه صحيح والأوامر للوجوب ، وهذا قول سفيان الثوري ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وأجيب عن هذا الاستدلال بأن تسمية هذا أمرًا من كلام إبليس ولا حجة فيه .

فإن قالوا : حكاه النبي ﷺ ولم ينكره .

قلنا : قد حكى عن غيره من أقوال الكفار ، ولم يبطله حال الحكاية ثم

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٨١) ، ابن ماجه (١٠٥٢) ، أحمد (٢/٤٤٣) ، أبو عوانة (١/٥٢١) ، ابن خزيمة (٥٤٩) ، ابن حبان (٢٧٥٩/إحسان) ، سعيد بن منصور في «سننه» (٢/٥٣٣) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/١٥٩) (٢٤٤) ، اللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/٨٢٥) (١٥٢٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/٣١٢) ، الطبراني في «الكبير» (٩/٢٩٠) (٩٤٦٣) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

المراد به أمر ندب لا إيجاب ، فإن السنة قد دلت على عدم الإيجاب وهو قول أكثر العلماء .

وجاء عن أربع من الصحابة : عمر وسلمان وابن عباس وعمران بن حصين ، وقد احتج الإمام أحمد على هذا بحديث زيد بن ثابت «قرأت على النبي ﷺ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فلم يسجد فيها»[١] . متفق عليه ، وللدارقطني فلم يسجد منا أحد ، ولما لم يذكر زيد سبب ترك السجود علم أنه تركه لأجل أنه مخير .

وعن عمر رضي الله عنه : «أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل ، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس ، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال : أيها الناس ! من سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد عمر»[٢] . رواه البخاري ، وله في رواية . قال عمر رضي الله عنه : «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء» ، وهذا الفعل من عمر والقول بمحضر من الصحابة ولم ينكره أحد ، فكان دليلًا ظاهرًا على إجماعهم ، واعتذرت الحنفية عن قول عمر رضي الله عنه بأنه نفى الفريضة لا الوجوب ، وهم قد فرقوا بين الفرض والواجب .

قلنا : لو كان سجود التلاوة واجبًا لما تركه لا سيما في ذلك المقام الذي

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٠٢٢) (١٠٢٣) ، مسلم (٥٧٧) ، أبو داود (١٤٠٤) ، الترمذي (٥٧٦) ، الدارمي (١/ ٤٠٩) ، ٢ ، (١٤٧٢) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٣٣١) (١٠٣٢) ، وفي «المجتبى» (٢/ ١٦٠) ، أحمد (٥/ ١٨٣ ، ١٨٦) ، عبد بن حميد (٢٥١) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٣٦٨) ، أبو عوانة (١/ ٥٢٣) ، ابن خزيمة (٥٦٦) (٥٦٨) ، ابن حبان (٢٧٦٢ ، ٢٧٦٩/إحسان) ، الدارقطني في «سننه» (١/ ٤٠٩) ، الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٥٢) ، الطبراني في «الكبير» (٥/ ١٢٦) (٤٨٢٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣١٣) كلهم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١٠٢٧) ، مالك في «الموطأ» (٤٨٤) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٥٨٨٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٢١) .

يتأسى به الناس .

وعن أحمد رواية ثالثة : أن سجود التلاوة يجب في الصلاة خاصة وقال في رواية صالح : لا يجب سجود التلاوة ، واحتج بحديث زيد في النجم ، وبحديث عمر على المنبر ، ثم قال أحمد : إلا أنه إن قرأ بها في الصلاة فيجب أن لا يدع السجود ، وهو في الصلاة فإنه أوكد منه في غير الصلاة .

وقال في رواية الأثرم وحنبل : إن كان في الصلاة فأحب أن يسجد لأنه أوكد ، فجعل من جعل من الأصحاب هذا رواية ثالثة ، ويحتمل أن يكون ذلك تأكيدًا للاستحباب في الصلاة ، لأنه لو وجب في الصلاة لبطلت الصلاة بتركه لأنه بالتلاوة صار من أفعالها ولا تبطل بتركه إجماعًا ذكره الشيخ مجد الدين .

***

الفصل التاسع

في رنة الشيطان وندائه ليلة البيعة

وقوف المشركين واجتماع الشيطان بهم في دار الندوة في أمر النبي ﷺ[(١)].
ونداء الشيطان وصياحه بقتل النبي ﷺ يوم أُحُد .

ذكر بقي بن مخلد في تفسيره : أن إبليس رن أربع رنات : رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب .

قال سعيد بن جبير : «لما لعن الله إبليس حول صورته عن صورة الملائكة ورن رنة ، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة» . رواه ابن أبي حاتم ، وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده ، فقال ايئسوا أن ترتد أمة محمد ﷺ على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم في دينهم ، وافشوا فيهم النوح»[(٢)].
رواه الطبراني والحافظ الضياء في كتاب «المختارة» .

الرنين : الصوت ، وقد رن يرن رنينًا . ولم يتكلم على ذلك الحافظ أبو موسى ولا ابن الأثير في كتاب «النهاية» وهو مما يلزمهما .

وقال سعيد بن جبير : «لما رأى إبليس النبي ﷺ قائمًا يصلي رن ، ولما افتتح مكة رن رنة أخرى اجتمعت إليه ذريته ، فقال : ايئسوا أن ترتد أمة

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٤٣) عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة .
(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/١١) (١٢٣١٨) ، أبو نعيم في «الحلية» (٦٢/٩) ، الضياء في «المختارة» (١٠/ ١٠٥) (١٠١) موقوفًا على ابن عباس ، قال المنذري (٤/ ١٨٤) : «رواه أحمد وإسناده حسن» وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣/٣) : «رواه الطبراني ورجاله موثقون» .

محمد ﷺ إلى الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم عن دينهم ، وافشوا فيهم النوح والشعر» . رواه ابن أبي الدنيا .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره في قوله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[1] . حدثني أبو عبد الله الطبراني ، أخبرنا حفص بن عمر ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : لما ولد رسول الله ﷺ أشرقت الأرض نورًا وقال إبليس : لقد وِلدَ الليلة ولد يفسد علينا أمرنا ، فقال له جنوده : فلو ذهبت إليه فخبلته ، فلما دنا من النبي ﷺ بعث الله جبريل عليه السلام . فركضه ركضة فوقع بعدن .

فصل

في صراخ الشيطان لدى مبايعة الأنصار لرسول الله ﷺ

وأما صراخ الشيطان في بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ ليلة العقبة ففي المغازي والسير : لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس : يا معشر الخزرج ! هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم أنهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله فعلتموه خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه إليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم ، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٩ .

قال ذلك العباس ، إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان[(١)] .

ولما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا فقال لهم : «**من أنتم ؟**»فقالوا : نفر من الخزرج . قال : «**أفلا تجلسون أكلمكم ؟**» قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم إليه فصدقوا وقبلوا ما عرضه عليهم من الإسلام ، وقالوا : قد تركنا قومنا بينهم من الشر والعدواة ما بينهم ، فعسى الله أن يجمعهم بك فسندعوهم إلى أمرك ، فإن الله يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا ، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى إذ كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلًا ، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء . أي : لم يبايعوه على القتال ، فكان يأخذ عليهن العهد ، فإذا أقررن بألسنتهن قال : بايعتكم وما مست يده يد امرأة في مبايعة قالته عائشة .

وقال الشعبي : كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوبه . وقيل : كان رسول الله ﷺ يغمس يده في إناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقدًا للبيعة ، وهذا رواية عن ابن إسحاق وقطع به النقاش ، وفيه نظر[(٢)] .

(١) انظر «تاريخ الطبري» (١/ ٥٦٣) ، «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٩٥) .
(٢) انظر «تاريخ الطبري» (١/ ٥٥٨) ، «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .

وقال عبادة بن الصامت : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن أصبتم من ذلك شيئًا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء عفا ، فلما انصرف القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب ، ففتح المدينة بالقرآن ، وأسلم معه خلق كثير ، ثم إن مصعبًا رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، حتى إذا أراد الله بهم ما أراد من كرامته ونصر نبيه وإعزاز دينه(١) .

قال كعب : فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبد الله بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، قلنا له : إنَّا نرغب بك أن تكون حطبًا للنار غدًا . ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة ، فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبًا ، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلسل تسلسل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا ومعنا امرأتان ، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذٍ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق به .

فلما جلس . قال العباس : يا معشر الخزرج ! إن محمدًا منا حيث قد

(١) انظر «تاريخ الطبري» (١/٥٥٩) ، «مسند أحمد» (٥/٣٢٣) ، «مستدرك الحاكم» (٢/٦٨١) .

علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، فهو في عز ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الاختيار إليكم واللحاق بكم ، فإن كنتم وافون له بما وعدتموه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه . قال : فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال ، فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ورغب في الإسلام ، ثم قال : **«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»**قال : فأخذ البراء بن معروف بيده ، ثم قال : نعم ، فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب والحلقة ورثناها كابرًا عن كابر . قال : فاعترض القول والبراء يكلم الرسول ﷺ أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ! إن بيننا وبين الرجال حبالًا ، وإنا قاطعوها يعني اليهود ، فإن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا . قال : فتبسم رسول الله ثم قال : **«بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»**[(١)] .

قال كعب بن مالك : كان أول من ضرب على يد النبي ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع القوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط . يا أهل الجباجب ! والجباجب : المنازل . هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : **«هذا أزب العقبة أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك»**قال : ثم قال رسول ﷺ : **«امضوا إلى رواحلكم»**[(٢)] .

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٣/ ٤٦٠-٤٦١) ، الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٦٢) ، الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٨٧-٨٩) (١٧٤) ، ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٦١) ، الفاكهي في «أخبار مكة» (٤/ ٢٣٦) ، وفي إسناده معبد بن كعب بن مالك لم يوثقه إلا ابن حبان على قاعدته في توثيق المجاهيل ، وقال الحافظ في «التقريب» مقبول ، أي عندما يتابع وإلا فضعيف .

(٢) إسناده ضعيف : رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٦٣) ، ابن هشام في «السيرة =

عن الحسن قال : لما بويع رسول الله ﷺ بمنى صرخ الشيطان ، فقال رسول الله ﷺ : «**هذا أبو ليلى قد أنذر بكم فتفرقوا**» ، فقال عباس بن عبادة : والذي بعثك بالحق بشيرًا ونذيرًا إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا فقال رسول الله ﷺ :«**لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا رحالكم**»فرجعنا إلى رحالنا فنما عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا جاءتنا قريش ، فقالوا : يا معشر الخزرج ! بلغنا أنكم أتيتم صاحبنا تخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال : فحلف مشركو قومنا بالله إنه ما كان من هذا الشيء . قال : وصدقوا لم يعلموا ، وبعضنا ينظر إلى بعض . قال ، ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام وعليه نعلان جديدان ، فقلت له كلمة ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليَّ وقال : والله لتنتعلنهما . قال : فقيل لي اردد إليه نعليه ، فقلت : والله لا أردهما . قال : والله صالح والله لئن صدق الفأل لأسلبنه(١) .

فصل

في مجئ الشيطان في صورة شيخ نجدي في دار الندوة لما اجتمعت قريش للتشاور في أمر رسول الله ﷺ

قال أهل العلم بالأخبار : هاجر أصحاب النبي ﷺ مثل عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وأخيه زيد بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وزيد بن

= النبوية» (٢/ ٢٩٦) ، الفاكهي في «أخبار مكة» (٤/ ٢٣٧) ، وفيه معبد بن كعب بن مالك ، وقد سبق الكلام عليه .

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٦٤) ، ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٩٧) وفيه معبد بن كعب بن مالك . انظر التعليق السابق .

حارثة وغيرهم ، وأقام رسول الله ﷺ بعد أصحابه ينتظر الإذن في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين ، إلا من حبس أو فتن ، إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب . وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله في الهجرة ، فيقول له رسول الله :«**لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبًا**» فيطمع أبو بكر أن يكون هو ، ولما رأت قريش أن لرسول الله شيعة وأصحابًا من غير بلدهم ، ورأوا خروج المهاجرين إليهم حذروا خروج الرسول ﷺ ، وعلموا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة ، وهي دار قصي بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون برسول الله ﷺ حين خافوه .

قال ابن عباس : لما خرجوا في اليوم الذي اتعدوا له كان ذلك اليوم يسمى الزحمة ، فاعترض إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بت أي كساء غليظ فوقف على باب الدار ، فلما رأوه قالوا : مَنِ الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فجاء ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا . قالوا : فادخل ، وقد اجتمع أشراف قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله ما نأمنه عن الوثوب علينا فاجمعوا فيه رأيًا ، فقال قائل : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء من الموت ، فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره إلى أصحابه ، فيثبوا عليكم فينتزعونه منكم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، فقال قائل : نخرجه من بين أظهرنا ، ثم إذا خرج فوالله لا نبالي أين ذهب . فقال الشيخ النجدي : لا والله ؟ ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله ما هو رأي . فقال أبو جهل : والله إن لي رأيًا . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابًا ، ثم نعطي كل فتى سيفًا ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ،

فيقتلوه ، فتستريحوا منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا ، فرضوا بالعقل فعقلنا لهم. فقال الشيخ النجدي : هذا هو الرأي الذي لا أرى غيره ، فتفرق القوم على ذلك ، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال : لا تبت الليلة على فراشك .

فلما كان عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرقبونه حتى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : «**نم على فراشي وتسبح ببردائي الأخضر ، فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم**»فلما اجتمعوا على بابه قال أبو جهل : إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، وجعلت لكم كجنات الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب ، ثم قال : «**نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم**» فأخذ الله على أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، وجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو عليهم : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله : ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١). ولم يبق منهم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ، ثم انصرف ، فأتاهم آت ، فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدًا . قال : خيبكم الله . قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته ، قال : فوضع كل واحد منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش مسجى ببرد رسول الله ﷺ ، فيقولون : والله ! إن هذا لمحمد نائم في برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علي من الفراش ، فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا ، وأنزل الله سبحانه في ذلك ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

(١) سورة يس ، الآيات : ١- ٩ .

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[(١)]. وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ إلى قوله :﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾[(٢)] [(٣)].

واختلف الناس لأي شيء قال الشيطان إني من أهل نجد ؟ فقيل : لأنهم قالوا : لا يدخل معهم في المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع

محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي ، وقيل : لأن نجدًا منها يطلع قرن الشيطان ، كما قال رسول الله ﷺ لما قيل له : وفي نجد يا رسول الله ؟ قال : «**هنالك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان**»[(٤)].

فلم يبرك عليها كما برك على اليمن والشام ، وقد قيل : إن الشيطان تمثل في صورة شيخ نجدي أيضًا حين حكموا رسول الله ﷺ في أمر الركن من يرفعه ، فصاح الشيخ النجدي : أرضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم ؟ والحكمة فيه ما ذكرناه .

فصل

في صياح الشيطان أن النبي ﷺ قُتل يوم أُحُد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نصر الله عز وجل نبيه ﷺ كما

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .
(٢) سورة الطور ، الآية : ٣٠ .
(٣) إسناده ضعيف : رواه الطبري في «تاريخه» (١/٥٦٦) ، ابن هشام في «السيرة النبوية» (٣/٦) .
(٤) حديث صحيح : رواه البخاري (٩٩٠) (٣١٠٥) (٣٣٢٠) (٦٦٨١) ، مسلم (٢٩٠٥) ، الترمذي (٣٩٥٣) ، الموطأ (١٧٥٧) ، أحمد (٢/١١٨ ، ١٢٦) ، عبد بن حميد (٧٣٩) ، أبو يعلى في «معجمه» (٧٨) ، ابن حبان (٧٣٠١/إحسان) الطبراني في «الكبير» (١٢/٣٨٤) (١٣٤٢٢) ، وفي «الأوسط» (٢/٢٤٩) (١٨٨٩) ، وفي «الصغير» (٢/١٠٧) (٨٦٤) ، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٢٧٠) (١٣١٩) .

نصره يوم أحد ، فأنكر ذلك فقال ابن عباس : بيننا وبين من أنكر ذلك كتاب الله عز وجل . إن الله تعالى يقول يوم أحد : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ (١). قال ابن عباس : والحس : القتل ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ، والمعنى : بهذه الرماة : وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال : «**احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**» فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعهم في العسكر ينهبون ، وقد التقت الصفوف ، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ أول النهار ، حتى قتل من المشركين سبعة أو تسعة وجالوا جولة نحو الجبل ولم يبلغوا ، وإنما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك في أنه قد قتل ، فما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فأومأ نحونا وهو يقول : «**اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبيهم رسول الله ﷺ**» ويقول مرة أخرى : «**اللهم إنه ليس لهم أن يعلوا**» فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أعلى الجبل : اعل هبل مرتين يعني إلهه . أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! ألا أجيبه ؟ قال : «**بلى**» قال : فلما قال اعل هبل . قال عمر : الله أعلى وأجل ، ثم قال : أين ابن أبي كبشة ، أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكر ، وهذا عمر . قال ، فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والأيام دول ، وأن الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال أبو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثلة ، ولم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

يكن ذلك على رأيي ثم أدركته حمية الجاهلية ، فقال : أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه[١]. رواه الإمام أحمد في المسند .

***

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (١/ ٢٨٧) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٤) من حديث بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه البخاري (٢٨٧٤) ، أبو داود (٢٦٦٢) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ١٨٩) (٨٦٣٥) ، أحمد (٤/ ٢٩٣) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٦٣) (٢٠٠٩) ، ابن الجعد في «مسنده» (٢٥٧٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٧١) ، وأحمد (١/ ٤٦٣) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الفصل العاشر

في أحقر أوقات الشيطان ودعائه على نفسه بالويل والثبور

عن العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه قال : «دعا رسول الله ﷺ لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة ، فأكثر الدعاء فأجابه : إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضًا فأما ما بيني وبينهم فقد غفرته ، فقال يا رب ! إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجب تلك العشية بشيء فلما كانت غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه : إني قد غفرت . قال : تبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله ! إنك تبسمت في ساعة لم تكن تتبسم فيها ، فقال : «**تبسمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله سبحانه قد استجاب لي أخذ يدعو بالويل والثبور ويحثي التراب على رأسه**»[١]. رواه عبد الله بن أحمد في «المسند» ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحافظ الضياء في «المختارة» .

وفي «الموطأ» : عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال رسول الله ﷺ : «**ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من نزول رحمة الله وتجاوزه عن الذنوب العظام إلا ما رؤي يوم بدر**» قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال :«**أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة**»[٢].

(١) إسناده ضعيف : رواه ابن ماجه (٣٠١٣) ، أبو يعلى في «مسنده» (٣/١٤٩) (١٥٧٨) ، عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ١٤) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٧٤) (١٣٩٠) ، الضياء في «المختارة» (٨/٣٩٨) (٤٩١) ، البيهقي في «الكبرى» (٥/١١٨) ، ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٧٤) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٩٦) ، وفيه كنانة ابن عباس وابنه وهما مجهولان .

(٢) إسناده ضعيف : رواه مالك في «الموطأ» (٩٤٤) ، البيهقي في «الشعب» (٣/ ٤٦١) =

وروى أبو عثمان الصابوني عن رجل كان أميرًا ببلاد الروم ، فهرب من بعض الحصون قال : فكنت أسير بالليل ، وأكمن بالنهار ، فبينما أنا ذات ليلة أمشي بين جبال وأشجار إذا أنا بحس ، فراعني ذلك ، فنظرت ، فإذا راكب بعير ، فازددت رعبًا ، وذلك أنه لا يكون ببلاد الروم بعير ، فقلت : سبحان الله في بلاد الروم راكب بعير إن هذا لعجب ، فلما انتهى إليَّ قلت : يا عبد الله ! من أنت ؟ قال : لا تسأل . قلت : إني أرى عجبًا ، فأخبرني. قال : لا تسأل . فأبيت عليه . قال : أنا إبليس ، وهذا وجهي من عرفات وافقتهم عشية اليوم أطلع عليهم ، فنزلت عليهم المغفرة ووهب بعضهم لبعض ، فدخلني الهم والحزن والكآبة ، وهذا جهتي إلى القسطنطينية أتفرح بما أسمع من الشرك بالله والدعاء أن له ولدًا ،فقلت : أعوذ بالله منك قال : فلما قلت هذه الكلمات لم أر شيئًا .

وقال على بن الجارود : خرجت أنا وصاحبي في طلب الحديث ، فمررنا على قرية لوط ، فبينما نحن نمشي في تلك السكك في يوم عرفة إذا رجل كوسج ، فقال : من أنتم ؟ فأخبرناه فانصرف ، فقلنا له : من أنت ؟ فتغافل عنا ، فقلنا له : من أنت ؟ فتغافل . فقلنا : أنت الشيطان إبليس ؟ قال : نعم . قلنا : وما جاء بك إلى ههنا ؟ قال : إني كنت بالموقف ، فنزلت الرحمة ، فغفر الله لرجل يعمل المعاصي خمسين سنة ، فشق عليَّ فخرجت إلى بلاد قوم لوط أخفف عن نفسي ما أجد .

وقال الفضيل بن عياض : «ما من شيء أبغض على إبليس من أن يرى ابن آدم نائمًا يقول متى يقوم حتى يعصي الله» . ذكره ابن أبي الدنيا .

قال تعالى في قصة بدر :﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾[1]. وذلك أن قريشًا لما

= (٤٠٦٩) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ فذكره ، وهو مرسل .
(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٨ .

عزمت على المسير ذكرت ما بينها وبين بكر بن وائل من العداوة ، فكاد ذلك يثبطهم ، فجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لأنه من بني مالك ، فقال : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان أي التقت الفئتان والجمعان ، ورأى إبليس الملائكة على أنه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه ، أي : ولى مدبرًا ورجع القهقرى على قفاه هاربًا ، وكان في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك يحرض على القتال ، آخذ بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه ، فقال له الحارث بن هشام : أفرارًا من غير قتال ، وجعل يمسكه فيدفعه في صدره ، وانهزم فانهزم الناس ، فلما بلغ ذلك سراقة بن مالك قال : والله ما شعرت بمسيركم حتى علمت بهزيمتكم ، فلما أسلموا علموا أن ذلك من الشيطان وقال : ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ ، فإنه رأى جبريل عليه السلام معتجرًا ببرد يمشي بين يدي رسول الله ﷺ[1] .

وعن ابن عباس قال : أيَّد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائه من الملائكة مجنبة ، وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه رايته في صورة رجال من بني مدلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم ، فلما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله يده فقال : «**يارب ! إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا**» فقال جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم ، فما أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه فولوا مدبرين ، وأقبل

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/١٨) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وعلي بن أبي طلحة قال الإمام أحمد : له منكرات ، وهو لم يسمع من ابن عباس ورواه أيضًا (١٠/١٩) حدثنا سلمة قال : قال ابن إسحاق. . .» فذكره ولا يصح .

جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين ، فانتزع إبليس يده ، ثم ولى مدبرًا وشيعته فقال الرجل : يا سراقة ! ألم تزعم أنك جار لنا ؟ قال : (إني أرى ما لا ترون)[1] . ذكره البيهقي .

قوله : إني أخاف الله . قال قتادة : صدق عدو الله في قوله : (إني أرى ما لا ترون) وكذب في قوله (إني أخاف الله) ، والله ما به مخافة ، ولكن علم أنه لا نجاة له فأسلمهم ، وكذلك عادة عدو الله بمن أطاعة . وقالت طائفة إنما خاف بطش الله به في الدنيا كما يخاف الفاجر أن يقتل أو يؤخذ بجرمه لا أنه خاف عقابه في الآخرة ، وهذا أصح ، وهذا الخوف لا يستلزم إيمانًا ولا نجاة .

***

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٥) ورواه (١٠/ ١٨) بنحوه .

الفصل الحادي عشر

جري الشيطان من ابن آدم مجرى الدم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق وعبد الأعلى كلاهما ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن صفيه بنت حيي رضي الله عنها قالت :كان النبي معتكفًا ، فأتيته أزوره ليلًا ، فحدثته ثم قمت فانقلبت ، فقام يقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله أسرعا فقال لهما : «**على رسلكما إنها صفية بنت حيي**» فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا أو قال شرًا**»[١] . متفق عليه .

قال أحمد في «المسند» : حدثنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :«**لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» قلنا : ومنك يا رسول الله ؟ قال :«**ومني ، ولكن الله أعانني عليه فأسلم**»[٢] .

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٩٣٣) (٦٧٥٠) ، مسلم (٢١٧٥) ، أبو داود (٢٤٧٠) (٤٩٩٤) ، النسائي في «الكبرى» (٢/ ٢٦٣) (٣٣٥٧) ، ابن ماجه (١٧٧٩) ، أحمد (٦/ ٣٣٧) ، عبد بن حميد (١٥٥٦) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ٣٩) (٧١٢١) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٨٠٦٥) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٤٤) (٣١١٩) ، ابن خزيمة (٢٢٣٣) ، ابن حبان (٤٤٩٦/ إحسان) ، الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٧١) (١٨٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٢١) كلهم من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها .

(٢) حديث ضعيف : رواه الترمذي (١١٧٢) ، الدارمي (٢/ ٤١١) (٢٧٨٢) ، أحمد =

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد الله بن مسلمة بن نصر ، حدثنا ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه ، فمر به رجل فدعاه فجاءه فقال : **«يا فلان ! هذه زوجتي»** فقال يا رسول الله ﷺ : من كنت أظن به فلا أظن بك ، فقال رسول الله ﷺ :**«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**(١) .

قال الشافعي :خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء من أمره ، فيكفروا ، وإنما قال ذلك شفقة عليهما لا على نفسه ، وقيل : فيه استحباب الاحتراز من كل مكروه مما يجري به الظن أو يخطر بالبال . قال علي رضي الله عنه : «إياكِ وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره» .

قال الشيخ تقي الدين :إنما حرم الله أكل الدم لأنه يقوي مجاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم .

قلت : يشهد لما قال من تحريم الدم حديث عكرمة ، عن أبي هريرة ، وابن عباس قالا : «نهى رسول الله ﷺ عن شريطة الشيطان ، وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفري الأوداج»(٢) . رواه أبو داود وابن حبان وعنده قال عكرمة : كانوا يقطعون منها الشئ اليسير ، ثم يدعونها حتى تموت ولا يقطعون منها الودج فنهى عن ذلك .

قال الشيخ تقي الدين : والملائكة والشياطين يعلمون ما توسوس به نفس

= (٣/٣٠٩) ، الطبراني في «الأوسط» (٩/١٤) (٨٩٨٤) ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٧٢) .

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢١٧٤) ، أبو داود (٤٧١٩) مختصرًا ، أحمد (٣/ ١٥٦، ٢٨٥) ، البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨٨) ، أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ١٨٦) (٣٤٧٠) الروياني في «مسنده» (٢/٣٨٩) (١٣٧٧) .

(٢) إسناده ضعيف : رواه أبو داود (٢٨٦٦)، ابن حبان (٥٨٨٨/إحسان)، البيهقي في «الكبرى» (٩/٢٧٨)، ابن عدي في «الكامل» (٥/١٤٤)، علل الترمذي للقاضي (١/ ٢٤٣) ، وفي إسناده عمرو بن عبد الله قال الإمام أحمد: له أشياء مناكير ، وقال ابن عدي: أحاديثه لا يتابع عليها الثقات، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٠٦٨).

العبد ، فالملائكة يعلمون ذلك لإحصاء وكتابة ما بهم من الحسنات والسيئات ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم يعلم ما تهم به نفسه فيوسوس له به .

قال الشيخ تقي الدين : الملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة وليس ذلك من علمهم بالغيب الذي اختص الله به .

وقد روي عن ابن عيينة أنهم يشمون رائحة طيبة فيعلمون أنه همَّ بحسنة ويشمون رائحة خبيثة فيعلمون أنه همَّ بسيئة ، وهم وإن شموا رائحة خبيثة. . ، فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك ، بل ما في قلب ابن آدم يعلمونه ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه ، بل الشيطان يلتقم قلبه ، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس ، والشيطان يعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي فيزينها له ، وقرب الملائكة من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار كان العبد مؤمنًا أو كافرًا ، ولعل أصل جريان الشيطان من ابن آدم مجرى الدم ما قاله وهب بن منبه : إن إبليس وضع ابنًا له بين يدي حواء وقال : أكفليه فجاء آدم فقال : ما هذا يا حواء ؟ فقالت : جاء عدونا بهذا ، وقال : أكفليه . فقال : ألم أقل لك لا تطيعيه في شيء ، هو الذي غرنا حتى أوقعنا في المعصية ، وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع ، فجاء إبليس ، فقال يا حواء ! أين ابني ؟ فأخبرته بما صنع آدم ، فقال : يا خناس ! أجبني فأجابه، فجاء إلى حواء ، فقال اكفليه فجاء آدم فحرقه بالنار ، وذراه في البحر فجاء إبليس فقال : أين ابني ؟ فأخبرته بما صنع آدم ، فجاء إلى البحر فأجابه فقال : يا خناس تجبني فأجابه ، فجاء به إلى حواء ، فقال : اكفليه فنظر إليه آدم ، فذبحه وشواه وأكلاه جميعًا ، فجاء إبليس فسألها فأخبرته حواء ، فقال : يا خناس تجيبني ، فأجابه من جوف آدم وحواء ، فقال إبليس : هذا الذي أردت أسكنك في صدور بني آدم ، فهو ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلًا يوسوس ، فإذا ذكر الله لفظ قلبه وخنس ، وهذا قد ذكره الحكيم الترمذي وتبعه القرطبي ، وجماعة من المتأخرين وفيه نظر . فإن في

الصحيحين عن ابن مسعود . قال رسول الله ﷺ : «**لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل**»[١] . ولو صح ما ذكره عن وهب كان آدم قد قتل قبل ابنه ، وهو خلاف الحديث .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : هذا من أقبح الكذب والبهتان لا يقوله أحد من العقلاء فضلا عن أهل العلم والإيمان ، ولم يذكره أحد من أهل العلم والدين ، وقد يقال في قوله ﷺ : «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» أن آدم لم يدخل في ذلك ، فإن وسوسته له إنما كانت مشاهدة بيمين ، وأقسم أنه ناصح له كما سبق ، وأما دخول النبي ﷺ في قوله : «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» فقال الطحاوي يحتمل أنه ﷺ داخل في هذا ، ويحتمل أنه ليس بداخل قال : وحديث ابن مسعود يدل على عدم دخوله ، وهو قوله ﷺ :«**ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن**» قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : «**وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[٢] . رواه مسلم .

قال الإمام أحمد في «المسند» : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا سفيان ، حدثنا منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، فذكره .

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٥٧) ، مسلم (١٦٧٧) ، الترمذي (٢٦٧٣) ، ابن ماجه (٢٦١٦) ، النسائي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٤) (٣٤٤٧) ، وفي «المجتبى» (٧/ ٨١) ، أحمد (١/ ٣٨٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣) ، الحميدي (١١٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٤٣٥) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١١٠) (٥١٧٩) ، نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ١٧٥) (٤٦٣) ، الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٢) (١٠٤٢٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٥) .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٨١٤) ، أحمد (١/ ٢٥٧) (٣٨٥٨) ، الخلال في «السنة» (١/ ١٩١) (٢٠٦) ، ابن خزيمة (٦٥٨) ، ابن حبان (٦٤١٧/ إحسان) ، الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٩٣) (٢٥٩٣) ، الضياء في «المختارة» (٩/ ٥٤٧) (٥٣٩) .

قيل : هذا القرين من الملائكة غير القرين الذي يحفظ الإنسان ، بل هذا موكل به ويرشده ويهديه ، وقيل : هذا الكاتب الذي يكتب فإن كل إنسان له ملكان كاتبان عن يمينه وشماله . وقال صاحبنا شمس الدين القونوي : هذا غير عام ومن عباد الله من لا يكتب عليه وإلا لزم أن يكون على يسار النبي ﷺ ملك يكتب .

فإن قيل : فما الجمع بين هذا ، وهو قوله ﷺ : «**إلا أن الله أعانني عليه فأسلم**» وبين حديث أبي الأزهر أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : «**بسم الله اللهم اغفر لي ذنبي واخسئ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في الندى الأعلى**»(١) . رواه أبو داود .

قلنا : إن كانت الرواية (فأسلم) فعل مضارع فلا معارضة ، فإنه ﷺ عصم منه وسلم من وسوسته لما أعطاه الله من العصمة ، وإن كانت الرواية (فاسلم) فعل ماض فأخبر عن شيطانه أنه أسلم ببركة النبي ﷺ فجاء يسرق سرق ، وجاء يفسد صلح كما في قصة مالك بن دينار لما دخل عليه في بيته لص يسرق ، فلم يجد في البيت شيئًا ، فلما أراد أن يخرج قال له مالك : يا هذا ! لم تجد شيئًا فلا تذهب خائبًا توضأ وصلِّ ركعتين ، أو كما قال ، وعلى هذه الرواية لا إشكال لأنه قال أخسئ شيطاني قبل أن يسلم شيطانه ، فأسلم بعد ذلك والخسأ في اللغة الطرد يقوله اخسأ شيطاني أي أذله من جميع الشد الذي فيه حتى لا يبقى له قوة أن يكتبه ، وإن دق ، والنبي ﷺ شق قلبه واستخرج منه حظ الشيطان(٢).

(١) حديث صحيح : رواه أبو داود (٥٠٥٤) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٣١) (٢٨٧٨) ، الطبراني في «الكبير» (٢٢/٢٩٨) (٧٥٨) (٧٥٩) ، الحاكم (١/ ٧٢٤) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٤٩) .

(٢) حادثة شق صدر النبي ﷺ ، رواها مسلم (١٦٢) ، أحمد (٣/ ١٤٩ ، ٢٨٨) ، عبد بن حميد (١٣٠٨) ، أبو يعلى في «مسنده» (٦/١٠٨) (٣٣٧٤) ، أبو عوانة (١/ ١١٣) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٢٩) (٤١٤) ، الحاكم (٢/ ٥٧٥) ، ابن منده في «الإيمان» (٢/ ٧١٣) (٧٠٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها قال : خرج رسول الله ﷺ من عندي ليلًا فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : «**مالكِ يا عائشة أغرت ؟**» فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ قال :«**أفأخذك شيطانك ؟**» فقلت : أو معي شيطان ؟ قال :«**نعم**» قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : «**نعم**» قلت ومعك يا رسول الله ؟ قال : «**نعم ، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه فأسلم**»(١) . رواه البخاري ، وأكثر الرواة على فتح الميم من أسلم إلا سفيان بن عيينة قال بضمها . قال ابن الجوزي : ليس بصحيح لأن في الروايات فلا يأمرني إلا بخير ، هذا في نسخة هنا ويأتي بعد في هذه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أصح القولين في ذلك قوله حتى أسلم استسلم لي وانقاد لي ، ومن قال : حتى أسلم ، فقد حرف لفظه ، ومن قال : الشيطان صار مؤمنًا ، فقد حرف معناه ، وقوله : فلا يأمرني إلا بخير دل على أنه لم يبق يأمرني بالشر ، وهذا إسلامه وإن كان ذلك عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله ، كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره فلا يأمره إلا بخير لعجزه وذلته لا لصلاحه ودينه .

عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ :«**فضلت على آدم بخصلتين : كان شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عونًا لي ، وكان شيطان آدم كافرًا وكانت زوجته عونًا على خطيئته**»(٢) .

---

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٨١٥) ، أحمد (٦/ ١١٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) حديث ضعيف جدًا :رواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٨١) ، وفي إسناده محمد بن الوليد قال ابن عدي : كان يضع الحديث ويوصله ويسرق ويقلب الأسانيد ، وقال أبو عروبة : كذاب ، وانظر «ميزان الاعتدال» (٦/ ٣٦١) ترجمة رقم (٨٢٩٨) و«لسان الميزان» (٥/ ٤١٨) ترجمة رقم (١٣٧٤) ، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٥) : «رواه البزار وفيه إبراهيم بن حرمة وهو ضعيف» .

فصل

في ما ورد عن الاحتلام

ولم يحتلم النبي ﷺ قط . وقد روى شيخ الإسلام الأنصاري من حديث داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «ما احتلم النبي ﷺ قط ، الاحتلام تلاعب من الشيطان» . ورواه الطبراني ، ورواه ابن عدي ولفظه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما احتلم نبي قط إنما الاحتلام تعبث من الشيطان»**[1]. والحديث من رواية إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة مختلف فيه .

وفي «تاريخ البخاري» عن مسلمة بن عبد الملك قال : ما تثاءب نبي قط وما احتلم نبي قط ، وقد ذكر طائفة من المفسرين أن آدم احتلم وامتزجت نطفته بالتراب وخلق منها يأجوج ومأجوج .

قال القرطبي في «التذكرة» : قال علماؤنا هذا فيه نظر ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام لا يحتلمون .

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قال : كان رسول الله ﷺ يصبح جُنبًا من جماع من غير احتلام ، ثم يصوم[2]. قولها من غير احتلام قد

(١) حديث منكر : رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/٩٢) ، وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : شيخ ليس بقوي يكتب حديثه ولا يحتج به منكر الحديث ، وضعفه النسائي وغيره ، وقال الدارقطني : ليس بالقوي في الحديث ، وقال البخاري : كثير الوهم ، واستشهد به في «صحيحه» .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١٨٢٥) ، مسلم (١١٠٩) ، أبو داود (٢٣٨٨) ، النسائي في «الكبرى» (١/١٠٦) (١٨٩) ، وفي «المجتبى» (١/١٠٨) ، ابن ماجه (٥٨١) (١٧٠٤) ، الترمذي (٧٧٩) ، وقال : حديث عائشة وأم سلمة حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو =

يفهم منه إمكان الاحتلام .

وفي البخاري عن عائشة أيضًا قال : كان النبي ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن[١] . قال سفيان : هذا أشد ما يكون من السحر .

وفي السنن : «**التثاؤب من الشيطان**»[٢] . وكان النبي ﷺ يعطس[٣] .

عن أبي هريرة قال : «كان رسول الله إذا عطس وضع يده على فيه وخفض صوته»[٤] . رواه أبو داود والترمذي ، وقال حسن صحيح .

= قول سفيان والشافعي وأحمد وإسحاق وقد قال قوم من التابعين إذا أصبح جنبًا يقضي ذلك اليوم والقول الأول أصح» . الدارمي (٢/ ٢٣) ، (١٧٢٥) ، الموطأ (٦٣٨) ، أحمد (٦/ ٣٤ ، ٣٦، ٧١ ، ٩٩ ، ٨٣ ، ١٨٤) ، الحميدي (١٩٩) ، الطيالسي (١٥٠٣) ، أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ١٦٢) (٤٧٠٦) ، ابن الجارود في «المنتقى» (٣٩٢) ، ابن خزيمة (٢٠١١) ، ابن حبان (٣٤٨٩، ٣٤٩٧/ إحسان) ، أبو نعيم «المستخرج» (١٣/ ١٨٥) (٢٥٠٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٢١٤) .

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣٠٩٥) (٥٤٣٠) (٥٤٣٢) ، مسلم (٢١٨٩) ، ابن ماجه (٣٥٤٥) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٨٠) (٧٦١٤) ، أحمد (٦/ ٥٧ ، ٦٣) ، الحميدي (٢٥٩) ، أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٢٩٠) (٤٨٨٢) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٤١) ، ابن حبان (٦٥٨٣/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٨٠) (٧٦١٤) .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١١٥) ، مسلم (٢٩٩٤) ، أبو داود (٥٠٢٦) (٥٠٢٨) ، الترمذي (٣٧٠) (٢٧٤٦) (٢٧٤٧) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٦٢) (١٠٠٤٢) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٢٢) ، ابن خزيمة (٩٢٠) ، ابن حبان (٢٣٥٧/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٩) .

(٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب**» رواه البخاري (٥٨٧٢) ، الترمذي (٢٧٤٧) ، النسائي في «الكبرى» (٦/ ٦٢) (١٠٠٤٢) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢١٥) ، أحمد (٢/ ٤٢٨) ، ابن حبان (٥٩٨/ إحسان) .

(٤) رواه أبو داود (٥٠٢٩) ، الترمذي (٢٧٤٥) ، أحمد (٢/ ٤٣٩) ، الحميدي (١١٥٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٢/ ١٧) (٦٦٦٣) ، ابن الجعد في «مسنده» (٣٢٩٧) ، الحاكم (٤/ ٣٢٥) ، وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٩٠) ، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٣٧) (١٨٤٩) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٥٥) .

قال الشيخ تقي الدين : أصح القولين في قوله : حتى أسلم استسلم وانقاد لي ، ومن قال : حتى أسلم فقد حرف لفظه ، ومن قال : الشيطان صار مؤمنًا فقد حرَّف معناه ، وقوله : **«فلا يأمرني إلا بخير»** دل على أنه لم يأمره بالشر ، وهذا إسلامه وإن كان ذلك في خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله ، كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره فلا يأمره إلا بخير لعجزه وذله لا لصلاحه ودينه .

حدثنا إبراهيم بن نصر ، حدثنا إبراهيم بن الحجاج ، عن يعلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : ما احتلم نبي قط . الاحتلام من الشيطان . قوله ﷺ : **«ما منكم من أحد إلا وكِّلَ به قرينه من الملائكة ومن الجن»** يحتمل أن يوكَّل بابن آدم شيطانه من حين ولادته .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : **«ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها»** ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا إن شئتم : ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1][2]. أخرجاه في الصحيحين . وأجرى أهل السنة هذا الحديث على ظاهره من غير تحريف ولا تأويل على عادتهم في ذلك . وتأولت المعتزلة . قال الزمخشري : هذا الحديث ، والله أعلم بصحته ، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان في صفتها لقوله : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٦ .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (٣٢٤٨) (٤٢٧٤) ، مسلم (٢٣٦٦) ، أحمد (٢/ ٢٣٣ ، ٢٧٤ ، ٣٦٨) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٢٨٨) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠/ ٣٧٦) (٥٩٧) ، الحميدي (١٠٤٢) ، ابن حبان (٦٢٣٥/ إحسان) ، الحاكم (٢/ ٦٥٠) ، الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٨) (٦٧٨٤) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[١]. واستهلاله صارخًا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب عليه بيده ، ويقول : هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي :

لما تؤذن الدُّنيا به من صُروفها   يكونُ بكاء الطفلِ ساعةَ يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يقول أهل الحشو فكلاً ، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخًا وعياطًا من نخسه انتهى .

وقد رد الأئمة هذا على الزمخشري ، وقالوا : الحديث صحيح لا مطعن فيه ، وتأويل الزمخشري جنوح منه إلى اعتزال منتزع من فلسفة منتزعة من إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض .

قال بعض المحققين : وما رؤي الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية حتى نفوها ، وحمل الزمخشري وأمثاله على أن يقولوا في كتاب الله وكلام رسول الله ﷺ أنه تخييل ، كما قال في هذا الحديث ، ثم نظره بتخييل ابن الرومي جرأة وسوء أدب ، ولو كان الصراخ غير واقعي من المولود لأمكن على بعد أن يكون تخييلا ، وأما وهو واقع مشاهد فلا وجه لحمله تمثيلا على التخييل ، ظاهر هذا الحديث أن الشيطان يمس كل مولود إلا من استثنى ، ويدخل في ذلك ما لو ذكر اسم الله عند الجماع ، والحديث في ذلك إنما جاء بنفي الضرر لا بنفي الأذى ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله . اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا**»[٢]. متفق عليه .

(١) سورة ص ، الآية : ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١٤١) (٣٠٩٨) (٦٠٢٥) ، مسلم (١٤٣٤) ، الترمذي (١٠٩٢) ، النسائي في «الكبرى» (٥/٣٢٧) (٩٠٣٠) ، الدارمي (٢/١٩٥) (٢٢١٢) ، عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤٦٦) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٥٦٠) ، الحميدي (٥١٦) ، الطبراني في «الكبير» (١١/٤٢٢) (١٢١٩٥) ، وفي = =

قال ابن الجوزي في كشف المشكل يحتمل أن لا يضره شيطان بالكفر ، فيحفظ عنه ويحتمل أن يحفظ عن الكبائر ، ويحتمل أن يكون توفيقه للتوبة إذا زل ، وقال عطاء في قوله تعالى : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1] . قال : هي التسمية عند الجماع . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[2] . كان إذا جامع الرجل ، ولم يسم انطوت الجان على القلفة ، فجامع فذلك قوله : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[3] .

مَنْ رستْ وسمت قواعدُ دينه ... وبه هوى أمر الضَّلال وسَاخا
هو خيرُ منْ شدَّ الرِّحال لقصده ... حادي المطيِّ وفي حِماه أناخا
أشْكُو إلى اللهِ المُهيمنِ عز مَنْ ... في الدِّينِ أضحى ثابتًا رسَّاخا
فلعلَّني أكفي عزائل ناصب ... شركًا لنا من كيده وفخَاخا
يجري مع الدم بالوساوس ماكنا ... في الصَّدر همَّازًا به نفَّاخا
وأفوز بالبُشرى إذا ورد الورى ... يوم القيامة جامحًا طبَّاخا
فنحا التقيُّ ولم يذر قعْرها ... إلاَّ غويًّا معولًا صُراخا

فصل

ورد أن الشيطان بين الرغوة والصريح من اللبن

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد الله عن

«الأوسط» (٧/ ٢٩٤) (٧٥٣٤) ، أبو عوانة (٣/ ٨٢) ، ابن حبان (٩٨٣/إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٤/ ١٠٩) (٣٣٥٣) ، اللالكائي في أصول الاعتقاد» (٢/ ٢٠٩) (٣٣٨) كلهم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .
(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٦٤ .
(٣) سورة الرحمن ، الآية : ٥٦ .

أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا أخافُ أُمتي إلا اللبن فإن الشيطان بين الرغوة والصريح من اللبن»**[(١)] . يحتمل أن يريد العرب ، أي لا يخاف على العرب إلا اللبن ، فإنه جلَّ عيشهم وعليه يقع الاختلاف .

وقد جاء في لفظ آخر أن النبي ﷺ قال : **«سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللبن»** فسئل رسول الله ﷺ من أهل اللبن ؟ قال : **«قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلاة»**[(٢)] .

قال إبراهيم الحربي : ظنه أراد يتباعدون عن الأمصار ، وعن صلاة الجماعة ، ويطلبون مواضع اللبن في المراعي والبوادي ، وأراد بأهل الكتاب قومًا يتعلمون الكتاب ليجادلوا به الناس انتهى .

ويحتمل أن يريد بأهل الكتاب : علماء السوء كما في سنن ابن ماجه : **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**[(٣)] .

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٢/ ١٧٥) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٥٨) وقال : «وهذا حديث لا يصح وابن لهيعة ذاهب الحديث» ، قلت : قد تكلم في ابن لهيعة لكن رواية العبادلة عنه أصح ، وليس هذا منها ومثل هذا لا يحتمل من ابن لهيعة وفي المتن نكارة والله أعلم ، وانظر «المجمع» (٨/ ١٠٥) .

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٦) وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٦) (٨١٦) (٨١٧) ، الروياني في «مسنده» (١/ ١٨٣) (٢٤٠) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٨٧) (٢٩٦٤) ، وإسناده لا بأس به إلا أن في النفس منه شيئًا والنكارة ظاهرة ، والله أعلم ، ومالك بن الخير الزيادي محله الصدق ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن القطان : لم تثبت عدالته ، انظر «تعجيل المنفعة» (١/ ٣٨٥) ، «ميزان الاعتدال» (٧٠٢١) ، «الإكمال» للحسيني (١/ ٣٩٢) .

(٣) إسناده ضعيف جدًا : رواه الدارمي (١/ ٩٣) (٢٦٢) ، القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢٢) ، ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٠) (٥/ ١٥٨) ، والطبراني في «الصغير» (٥٠٧) (٣٠٥٨) كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا . وفي إسناده عثمان بن مقسم تركه ابن القطان ، وابن المبارك ، وقال أحمد : حديثه منكر ، وقال الجوزجاني : كذاب ، وقال النسائي والدارقطني : متروك .

وفي «مسند الإمام أحمد» ، عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ : «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»[١]. ورواه جعفر الفريابي من حديث عقبة ابن عامر مرفوعًا . وفي مسند الإمام أحمد ، عن أبي سعيد قال : قال : رسول الله ﷺ : «**إنَّ من شرّ الناس رجلًا فاجرًا جريئًا يقرأ كتاب الله لا يرعوي لشيء منه**»[٢]. قوله جريء أي : رسولا ودليلا للشيطان .

فُقهاؤنا كذبالة النِّبْراس هي في الحريق وضوؤها للنَّاس
حبرٌ ذميمٌ تحتَ رائقِ منظرٍ كالفضةِ البيضاء فوقَ نحاسِ

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٢/ ١٧٥) من حديث عبد الله بن عمرو (٤/ ١٥١ ، ١٥٥) من حديث عقبة بن عامر ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو ، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص (١١٨) عن عقبة بن عامر ، والفرياني في «صفة المنافق» (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) من حديث عقبة بن عامر ، (٣٦) من حديث عبد الله بن عمرو ، ابن المبارك في «الزهد» (٦٤) من حديث عقبة بن عامر (٤٥١) من حديث عبد الله بن عمرو ، الطبراني في «الكبير» (١٧ / ٣٠٥) من حديث عقبة بن عامر ، الروياني في «مسنده» (٢١١) من حديث عقبة بن عامر ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٦٢) (٦٩٥٨) من حديث شرحبيل بن يزيد المعافري ، ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٨) (٦/ ١٥) من حديث عقبة بن عامر ، العقيلي في «الضعفاء» (/ ٢٧٤) من حديث ابن عباس وقال : «ولا يتابع على هذا أيضًا من حديث ابن عباس وقد روي هذا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ بإسناد صالح» ، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٥٧) من طريق شراحيل بن يزيد عن محمد بن هدية عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ :«**أكثر منافقي أمتي قراؤها**» وقال البخاري : «وتابعه ابن وهب وقال بعضهم شرحبيل بن يزيد المعافري ولا يصح» ، قلت : محمد ابن هدية الصدفي مجهول لا يعرف . والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٥٧) عن عقبة ابن عامر .

(٢) إسناده ضعيف : رواه النسائي في «الكبرى» (٣/ ٩) (٤٣١٤) ، وفي «المجتبى» (٦/ ١١) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٢٢٥) ، أحمد (٣/ ٤١) ، عبد بن حميد (٩٨٩) ، ابن المبارك في «الجهاد» (١٦٧) ، الحاكم (٢/ ٧٧) ، البيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٦٠) ، من طريق أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا . وأبو الخطاب هذا مجهول . روى له النسائي وقال : لا أعرفه ، وسئل عنه ابن المديني فقال: لا أعرفه . ولم يرو عنه غير أبي الخير .

قال العلاء بن الحداد :

اظْـهـروا لـلـنـاس سَمْـتًـا ... وعـلى المـنْـقـوش داروا
ولـه صـامـوا وصـلُّـوا ... ولـه حَـجُّـوا وزاروا
ولـهُ قـامُـوا وقـالـوا ... ولـهُ حـلُّـوا وسَـارُوا
لـو بـدَا فـوقَ الـثريـا ... ولهُـم ريـشٌ لـطَـاروا

قال عيسى ابن مريم للحواريين : «يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن كل شئ إذا فسد يداوى بالملح وإن الملح إذا فسد ليس له دواء» .

***

الفصل الثاني عشر

هرب الشيطان من الأذان ووسوسته للمصلين من المسلمين

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**إذَا نُوديَ بالصلاة أدبرَ الشَّيطان له ضراطٌ حتى لا يسمعُ الأذان فإذا قَضى الأذان أقبل فإذا ثوب بها أدبر فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**»[١]. متفق عليه ، ولمسلم : «**إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص**»[٢].

وقال سهيل بن أبي صالح : أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا ، فناداه مناد من حائط باسمه قال : وأشرف الذي معي في الحائط فلم ير شيئًا قال : فذكرت ذلك فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حصاص**»[٣]. وللدارقطني : «**إذا أذَّن المؤذن خرج الشيطان من المسجد له حصاص ، فإذا سكت المؤذن رجع فإذا أقام المؤذن خرج الشيطان من المسجد وله حصاص ، فإذا سكت المؤذن رجع حتى يأتي المرء المسلم في الصلاة فيدخل بينه وبين نفسه حتى لا يدري أزاد في**

(١) سبق تخريجه .
(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٣٨٩) ، أحمد (٢/ ٤٨٣) ، أبو عوانة (١/ ٢٧٩) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ١٠) (٨٤٩) ، الدار قطني في «سننه» (١/ ٣٧٤) ، الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٥٦) (٧٤٣٦) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٣٢) كلهم من حديث أبي هريرة .
(٣) انظر الحديث السابق .

الصلاة أو نقص فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم ثم يسلم»[١]. الحصاص بالحاء والصاد المهملتين : وهو الضراط مع شدة العدو ، وقيل : هو أن ينصب أذنيه ويرفع ذنبه ثم يعدو .

قال الإمام أحمد في رواية الأثرم : لا يبادر الرجل بالقيام عند الأذان يركع لأنه يقال إن الشيطان ينفر حين يسمعه .

وقال الإمام أحمد في «المسند» : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا أذَّن المؤذن هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء وهي من المدينة على ثلاثين ميلًا**»[٢]. رواه مسلم فقال : الروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلًا ، وهذا فيه فضل عظيم للأذان ، فإن الشيطان يدبر منه ولا يدبر من القرآن ذكره ابن عبد البر .

وقال ابن عباس : ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ المراد : الشياطين ، وقال ابن زيد : المراد به المشركون[٣].

وقيل : المعنى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده قول لا إله إلا هو وأنت تتلو القرآن ، وإنما يدبر الشيطان من الأذان لئلا يسمعه ، فيضطر إلى أن

---

(١) حديث صحيح : الجزء الأول من الحديث رواه مسلم بنحوه ، وقد سبق تخريجه ، وباقي الحديث بنحوه رواه : البخاري (١١٦٤) (١١٧٤) ، مسلم (٣٨٩) ، أبو داود (١٠٣٠) ، الترمذي (٣٩٧) ، النسائي في «المجتبى» (٣/٣١) ، الدارمي (١/٤١٨) (١٤٩٤) ، «الموطأ» (٢٢٤) ، ابن خزيمة (١٠٢٠) ، ابن حبان (١٦٦٢/إحسان) .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٣٨٨) ، أحمد (٣/٣١٦) ، عبد بن حميد (١٠٣٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٣/٤١٠) (١٨٩٥) ، أبو عوانة (١/٢٧٨) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/٩) (٨٤٧) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/٢٠٧) ، البيهقي في «الكبرى» (١/٤٣٢) كلهم من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١٥/٩٥) وفي إسناده روح بن المسيب ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقال ابن حبان : يروى عن الثقات الموضوعات ويقلب الأسانيد ويرفع الموقوفات لا تحل الرواية عنه.

يشهد له بذلك يوم القيامة لقوله ﷺ : **«لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»**[(١)]. وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد .

قال مالك : استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم ، وكان يصاب الناس فيه من قبل الجن فشكوا إليه ذلك فأمرهم بالأذان ، فارتفع ذلك عنهم فهم إلى اليوم كذلك . قال مالك : وأعجبني ذلك من رأي زيد .

وذكر وكيع أنه ذكر الغيلان عند عمر رضي الله عنه فقال : ليس شيء خلق الله يتحول عن خلقه الذي خلق عليه ، ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا أحسستم من ذلك شيئًا ، فأذنوا بالصلاة ، هذا الفضل يدل على عظمة الصلاة ، وأن الشيطان يجتهد في الوسوسة في الصلاة لأنه حالة قرب للمؤمن ومناجاة ، فيريد اللعين إفسادها أو تنقيصها عليه مهما أمكنه ، ولا شك عمل القلب لا يبطل الصلاة ولو كان أمرًا محرمًا .

قال أحمد : إذا فكر في صلاته حتى شغله لا سجود عليه من يخلو من هذا من يقدر أن لا يفكر ؟! . وقد حكى المالكية والشافعية الإجماع على ذلك ، وقيل : إن طال عمل القلب أبطل كعمل البدن اختاره ابن الجوزي ، وأبو حامد ، وبعض الشافعية ، وهو قول ضعيف لهذه الأحاديث ، وإذا لم تبطل الصلاة ، فإنه ينقص أجره بذلك ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، ولا يثاب إلا على ما عمل بقلبه ، فلا يكفر من صلاته إلا بقدره الباقي يحتاج إلى تكفير .

وعن عمار أنه صلى ركعتين ، فخففهما ، فقيل له في ذلك فقال : هل نقصت من حدودهما شيئًا ؟ قال : لا ، ولكن خففهما . فقال إني بادرت

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٥٨٤) (٣١٢٢) ، (٧١٠٩) ، ابن ماجه (٧٢٣) ، النسائي في «المجتبى» (٢/١٢) ، في «الكبرى» (/٥٠٢) (١٦٠٨) ، «الموطأ» (١٥١) ، ابن خزيمة (٣٨٩) ، ابن حبان (١٦٦١/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (١/٣٩٧) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بها السهو . إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن الرجل ليصلي ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عُشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها حتى انتهى إلى آخر العدد»**(١). رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي .

وعن أبي اليسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« منكم من يصلي صلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر»**(٢). رواه أحمد والنسائي .

وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده» : حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا عمرو بن مالك النكري ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كانت امرأة تصلي خلف النبي من أجمل الناس ، فكان رجال في آخر صفوف الرجال ينظرون إليها ، وكان أحدهم ينظر إليها من تحت إبطه ، وكان أحدهم يتقدم إلى الصف الأول ليرونها فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٣)(٤). ورواه الترمذي والنسائي ، وهذا فكر

---

(١) حديث حسن : رواه أبو داود (٧٩٦) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٢١١) (٦١١) (٦١٢) (٦١٤) ، أحمد (٤/ ٣١٩) ، الحميدي (١٤٥) ، البزار (١٤٢٠) (١٤٢١) (١٤٢٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٨٩) (١٦١٥) (٣/ ٢١١) (١٦٤٩) (١١/ ٥٠٢) (٦٦٢٤) ، ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٥) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٦) ، ابن المبارك في «الزهد» (١٣٠١) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨١) ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٦) .

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (١/ ٢١٢) (٦١٣) ، أحمد (٣/ ٤٢٧) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه. ورواه النسائي في «الكبرى» (١/ ٢١٢) بنحوه من أبي هريرة رضي الله عنه، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٠٢) بإسناد حسن .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٢٤ .

(٤) حديث منكر : رواه النسائي في «الكبرى» (١/ ٣٠٢) (٩٤٢) ، وفي «المجتبى» (٢/ ١١٨) ، الترمذي (٣١٢٢) وقال : « روى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو ابن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح» ، أحمد (١/ ٣٠٥) ، الطيالسي (٢٧١٢) ، ابن خزيمة (١٦٩٦) ، ابن حبان (٤٠١/ إحسان) ، «الحاكم» (٢/ ٣٨٤) ، الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦) ،=

في محرم وعظهم الله في ستر .

فإن قيل :قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾[1]. قال أبو العالية ؛ هو الذي لا يدري عن كم انصرف عن شفع أو وتر ، وهذا يقتضي أن عمل القلب حرام ، وأن الوسوسة التي تذهل عن الركعات محرمة .

قلنا : قد ثبت بالأخبار الصحيحة أن الوسوسة وعمل القلب لا يبطل الصلاة ، ولكن ينقص أجرها بذلك وما ذكرتم من الآية ، فعن أنس بن مالك ، وابن عباس رضي الله عنهم قال : الحمد لله الذي لم يقل في صلاتهم وإلا كان وعيدًا للمؤمنين ، وإنما قال عن صلاتهم أي ساهون عنها سهو ترك وقلة مبالاة والتفات إليها . فالسهو في الصلاة : من أفعال المؤمنين ، والسهو عنها من أفعال المنافقين والكفار . قال ابن عطاء : ليس في القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ أما ما قاله أبو العالية فلا يصح لأنه ﷺ سها في صلاته ، ولأنه قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم ، وتأول الأئمة قول أبي

=البيهقي في «الكبرى» (٩٨/٣) كلهم من طريق نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به ، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٦/١٤) من طريق جعفر ابن سليمان عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء به ، وعمرو بن مالك قال ابن عدي : منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث ، ضعفه أبو يعلى الموصلي . وقد رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨١/٣) وقال : «غريب من حديث أبي الجوزاء عن ابن عباس تفرد برفعه نوح بن قيس ، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠، ٥٥١) : «وقد ورد فيه حديث غريب جدًا . . . من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما وحكي عن ابن معين تضعيفه ، وأخرج له مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ، وقد رواه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو النكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ في الصفوف في الصلاة والمستأخرين ، فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر . . .» الخ .

(١) سورة الماعون ، الآيتين : ٤ ، ٥ .

العالية على السهو الدائم لا القليل النادر . وقال ابن الجوزي : لا أظنه أراد السهو النادر ، وإنما أراد السهو الدائم ، وذلك بتشاغل القلب عن قلة احترام الصلاة فيتوجه الذم إلى ذلك السهو انتهى .

فالسهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان :

أحدهما : أن يكون من الإنسان جواله ومولداته كالمجنون يسب إنسانًا .

والثاني : أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرًا ثم ظهر منه منكر لا قصد إلى فعله ، والأول معفو عنه ، والثاني مؤاخذ به . وفي الجملة السهو في الصلاة مما ينقص ثوابها وذلك مما يتفاوت فيه الناس ، والشيطان يجلب على المصلي بخيله ورجله ، ولهذا عظمت الصلاة الخالية من الوسوسة والسهو ، حتى قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ صلَّى ركْعتين لا يسْهو فيهما غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»**(١) .

وفي الصحيحين من حديث عثمان رضي الله عنه : **«من صلَّى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»**(٢) . وللناس في هذا قولان :

(١) رواه أبو داود (٩٠٥) ، أحمد (٤/ ١١٧) ، عبد بن حميد (٢٨٠) ، الطيالسي (١٣٣١) ، الحاكم (١/ ٢٢٢) ، الطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٤٩) (٥٢٤٣) ، قال الدارقطني في «العلل» (٨/ ٣٤٠) : «يرويه زيد بن أسلم واختلف عنه فرواه محمد بن أبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ، ورواه الزبيري عن زيد بن خالد ، وقال أسباط عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أو زيد بن خالد الجهني ، وقال قائل عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عقبة بن عامر ووهم وهمًا قبيحًا ليس الحديث بثابت» أهـ .
قلت : رواه الحاكم (١/ ٢٢٢) من حديث عقبة بن عامر وقال : «هذا وهم من محمد ابن أبان وهو واهي الحديث غير محتج به» ، وجاء نحوه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا . قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٧٨) : «رواه البزار وفيه عبد الكريم بن أبي المخارق وهو ضعيف» .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١٥٨) (١٦٢) (١٨٣٢) ، مسلم (٢٢٦) ، أبو داود (١٠٦) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٨٥) (١٠٢) وفي «المجتبى» (١/ ٦٤) الدارمي (١/ ١٨٨) (٦٩٣) ، أحمد (١/ ٥٩ ، ٦٨) ، عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٩)، أبو عوانة=

القول الأول : لا يحدث بشيء من الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فأعرض عنه عفي عن ذلك ، وحصلت له الفضيلة ، لأن هذا ليس من فعله ، فالخواطر التي تعرض ولا تستقر معفو عنها ، واختار ذلك الماوردي والقاضي عياض والنووي ، وأراد النبي ﷺ حديث النفس المجتلب والمكتسب . وقوله : يحدث فيهما نفسه : فيه إشارة إلى أن ذلك الحديث مما يكتسب لإضافته إليه .

والقول الثاني : أن الحديث من غير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشيء ، لأنه ﷺ إنما ضمن الغفران لمراعي ذلك وما زال في المصلين من يقبل على صلاته بقلبه ووجهه ولا حديث نفسي .

قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: ثلاث خصال أنا فيما سواهن ضعيف ، ما سمعت من النبي ﷺ قولًا إلا علمت أنه حق من الله ، وفي رواية إلا كأني أسمعه من الله . وما صليت صلاة فألهاني غيرها عنها حتى أفرغ منها ، وما تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة أو مقول لها حتى أفرغ منها .

قال ابن إسحاق ، قلت للزهري ، هل سمعت هذه الثلاث ؟ فطأطأ رأسه هيبة ، ثم قال : رحم الله سعدًا ، فهو المأمون عندنا وعند المسلمين ، وما كنت أظن هذه الخصال إلا في نبي ، وكان مسلم بن يسار في الصلاة ، فانهدمت ناحية من المسجد ، وقام الناس وهو في الصلاة لا يرفع .

وقيل لعامر ابن قيس : أتحدثك نفسك في الصلاة ؟ قال : أبالجنَّة والحور العين ؟ قالوا : لا . ولكن بالأهل والمال . قال : لأن تختلف الأسنَّة فيَّ أحب إليَّ من أن أجد ذلك ، ويعين على ذلك شيئان : قوة المقتضي بالتدبر ،

= (١/ ٢٠٢) ، البزار (٤٢٩) ، ابن خزيمة (٣) ، ابن حبان (١٠٥٨/ إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ١٩١) (٥٣٩) ، ابن الجارود في «المنتقى» (٦٧) ، الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٦٩) (٤٩٧٢) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧) .

وأنه مناج لله تعالى ، وضعف التشاغل . ومتى كان للقلب آلة تلهبه عن الله فسد وهلك هلاكًا لا صلاح معه .

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : **«من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء فله عبد أو فرس»**(١) .فقام رجل يصلي فصلى ركعتين ، فلما جلس أتاه الشيطان ، فقال : أيهما تأخذ العبد أو الفرس ؟ فتبسم النبي ﷺ (٢). رواه ابن عدي .

فصل

في الفرق بين هاتين الروايتين

عن سعد بن معاذ : فقوله : ما سمعت من النبي ﷺ قولا قط إلا كأني أسمعه من الله بيِّن . وقوله : إلا عرفت أنه حق .

هذا خُلُقٌ عظيم ، فصاحب الكلمة الأولى قد هتك الحُجُب وتخطى الدارين وصار بين يديه يجول وبه يصول وبه يلوذ وإياه يلاحظ ، وقد تحير كثير من السلف في قول سعد ، وقالوا : كيف تنقطع الوسوسة من القلوب ؟ فقال الحسن : هذا عندنا . وقال : ما جعل الله الزهري ما كنت أظن هذه الخصال إلا في نبي .

فإن قيل :قال البخاري ، قال عمر رضي الله عنه: إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة ، وقال عثمان النهدي عن عمر : إني لأؤمّر أمرائي وأبعث جيوشي

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) إسناده ضعيف : رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٥٠) (٣١٦٦) من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس به ، قال أحمد في سلمة بن وهرام : روى عن زمعة أحاديث مناكير ، وقال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٦) : «له عن عكرمة أحاديث لا يتابع منها على شئ» .

وأنا في الصلاة . وعنه : إني لأحسب جزية البحرين وأنا في الصلاة . ويغلب على ظني أنه جاء عنه رضي الله عنه: إني جهزت جيشًا ووصلت معهم وادي القرى وأنا في الصلاة ، وقد ذكرتم عن سعد بن معاذ أنه قال : ما صليت صلاة شغلني عنها غيرها حتى أفرغ منها ، فأيما أعلى في هذين المقامين مقام عمر بن الخطاب ، أو مقام سعد بن معاذ رضي الله عنهما ؟

فنقول : تكلم الناس قديمًا وحديثًا في هذا ، فقالوا للمصلين خمسة أحوال :

الأول : مصلٍّ ينقص من وضوئه ومواقيته وحدود أركانه .

الثاني : محافظ على ذلك مضيق مجاهد نفسه في الوسوسة .

الثالث : محافظ مجاهد في الوسوسة .

الرابع : محافظ على الوضوء والمواقيت والأركان ، مشغول بقلبه مع الله جل جلاله بحفظ هذه الحدود .

الخامس : محافظ على الوضوء والمواقيت والأركان مشغول بربه قرير العين به محفوظ عليه حدودها .

كما جاء أن العبد إذا قام يصلي قال الله تعالى : ارفعوا الحُجُب ، فإذا التفت قال : أرخوها ، فهذا القلب إلى سوى صلاة أو نفسًا أو دنيا بعد أن يلتفت . فالأول : معاقب ، والثاني : محاسب ، والثالث : مكفر عنه ، والرابع : مثاب ، والخامس : مقرب ، ولهذا قال ﷺ : **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[1]. فمن قرت عينه فيها ، فللقرب بربه لأنه ينال منه برًّا ،

(١) حديث صحيح : رواه النسائي في «الكبرى» (١/ ٣٣١) (٨٨٨٧) (٨٨٨٨) ، وفي «المجتبى» (٦١١٧) ، أحمد (٣/ ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) ، أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ١٩٩) (٣٤٨٢) ، ابن نصر في «تعظيم قدرة الصلاة» (١/ ٣٣١) (٣٢٢) ، الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٧٤) وقال : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٧٨) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٤٢٠) (١٠١٢) وفي «الصغير» =

وكلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد ، ولهذا قال : جعلت قرة عيني في الصلاة ، وقال لبلال : «**أرحنا بالصلاة**»[(١)]. فسعد بن معاذ رضي الله عنه كان من الصنف الرابع ، وإنه لم يخل من الإتقان للصلاة والإقبال على ربه بصلاته ، وعمر رضي الله عنه وأرضاه وجمعنا في زمرته من الصنف الخامس المقبلين على ربهم في صلاتهم بقلوبهم إلى ربهم ، فهم مشغولون بجلاله وجماله ومجده وعظمته مصلين وغير مصلين ، وعمر متقلد أمور المسلمين ولم يشغله عن الله لأنه مشغول بأمره معه ، وكيفما دار مع الأحوال فمع ربه ، أما المشغول فيه فهو في غفلة ومحدث قلبه في قبضة الله به يعقل وبه يسمع وبه يبصر وينطق سواء فكَّر في شأن صلاته وإمارته ، لأن الكل فرض ، وفكره في ذلك مع ربه فيه يفكر وبه يولي وبه يعزل ، فليس في هذا نقص لأن هذه الأشياء لا يقدر أن يأخذه من الله ، فحال عمر رضي الله عنه في هذا حال الأقوياء ، وحال سعد حال الضعفاء ، وقد أطلنا في هذا في «كتاب الباهر» ، وذكرنا كلام الناس هناك .

فصل

في حديث الخميصة

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : «**اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوا بأنبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي**» رواه

= (٢/ ٣٩) (٧٤١) ، وفي «الأوسط» (٥/ ٢٤١) (٥٢٠٣) ، والضياء في «المختارة» (٤/ ٣٦٧) (١٥٣٣) كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٨) (٣١٢٤) .

(١) في إسناده اختلاف : رواه أبو داود (٤٩٨٥) ، أحمد (٥/ ٣٦٤) ، أبو بكر الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٢/ ٥٨١) ، الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٧٦، ٢٧٧) ، وقد وقع في إسناده اختلاف ، انظر «علل الدارقطني» (٤/ ١٢٠-١٢١) .

البخاري . وفي رواية له : «**كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتني**»[(١)] . فما وجه هذا الحديث ؟

قلنا : ليس فيه بيان أنه شغل القلب ، أو شغل العين لأنه قال : كادت تفتني ، ولو كان شغل القلب مع النظر بالعين كانت الفتنة ، فعلم أنه شغل العين لا القلب ، فمشغول القلب بالله لا يشتغل الفتنة ،فعلم أنه شغل العين لا القلب ، فمشغول القلب بالله لا يشتغل بالأشياء عنه لا قلبه ، فلا يصل إلى قلبه شئ بالإلهاء للعين والفتنة للقلب .

قال ابن الجوزي : الحكمة في رد الخميصة إلى أبي الجهم ، وقال : إني نظرت إليها في الصلاة فكادت تفتني ، وهو لم يلتفت إلى الأكوان ليلة الإسراء لقوله ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ إنه كان في تلك الليلة خارجًا عن طباعه ، فأشبه نظره من ورائه وإذا رد إلى الطبع البشري أثر فيه ما يؤثر البشر.

الأنبجانية : كساء أسود ، والخميصة : كساء له أعلام .

قال الحافظ أبو الفضل بن ناصر : سألت أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالي عن هذا الحديث «اذهبوا بهذه الخميصة وأتوني بأنبجانية أبي جهم» فقلت : إذا كان النبي ﷺ مع قوته قال : ألهتني ، فكيف ينفذها إلى أبي جهم ؟ فقال : كان الموطن كدرًا فنفذ إليه ما يليق به ، فقلت كان ينبغي أن يزيل الكدورة لا يزيدها ، فلم يقل شيئًا . قال الحافظ : ومعنى الحديث أن الأنبجانية كانت للنبي ﷺ ، وإنما أضافها إليه لأنها كانت عليه والخميصة كان قد استعارها منه ليلبسها للوفد .

***

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣٦٦) ، (٥٤٧٩) ، مسلم (٥٥٦) ، أبو داود (٤٠٥٢) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٢٧٧) (٨٤٧) ، وفي «المجتبى» (٢/ ٧٢) ، أحمد (٦/ ١٩٩) ، عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٨٩) ، أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٣٨٦) (٤١٤٤) ، أبو عوانة (١/ ٤٠١) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢٣) .

فصل

في الوسوسة في الصلاة

قال يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عقيل بن مدرك قال : قال رسول الله ﷺ : «**الوسوسة في الصلاة صريح الإيمان**»[(١)] . وقال إبراهيم النخعي : آية قبول صلاة المؤمن الوسوسة . وذلك أن أهل الكتاب لا يوسوسون فما وجه هذا ؟

قلنا : طيَّب النبي ﷺ قلوب المؤمنين لما اغتموا بالوسوسة بأنها علامة الإيمان ليكون ذلك تسلية لهم ، والكفار قلوبهم خالية من الخير ممتلئة من الشر قد صيرها الشيطان بيتًا لنفسه ، فماذا يوسوس له ليفسد عليه صلاته بخلاف المؤمن ، فإن عنده كنزًا يدور عليه الشيطان.

فالقلوب ثلاثة : قلب خالي من الإيمان والخير وهو قلب الكافر بيت الشيطان ، وقلب فيه إيمان وعليه ظلمة الشهوات ، فهناك إقبال وإدبار فلا يخلو من وسوسة ، وقلب محشو بالإيمان كله نور ولنوره في صدره إشراق ولإشراقه شعاع ولإشعاعه شعل ، فإذا دنا منه الوسواس صار رمادًا .

وقد قيل : إذا تمكن ذكر الله من القلب ، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسه الإنسي . وقالت الصحابة يا رسول الله ! ليجد الرجل في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم ، فقال : وقد وجدتموه ؟ فقالوا : نعم ، فقال : «**ذلك صريح الإيمان**» .

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو داود في «المراسيل» (٤٦) عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلًا ، ورواه هناد في «الزهد» (٩٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا . وفي إسناده يحيى بن عبيد الله عن أبيه وهو منكر الحديث متروك ، وأبيه لا يعرف .

وفي لفظ : إن أحدنا ليجد في نفسه ما يتعاظم أن يتكلم به ، فقال : «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**» . قال العلماء : كراهته لذلك ، وقرار القلب منه هو صريح الإيمان ، والوسواس يعرض لكل من يتوجه إلى الله ، فينبغي للعبد أن يثبت فإن ملازمته ذلك تصرف عنه كيد الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا ، وكلما ازداد توجه العبد جاء من الوسواس أمور أخرى ، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق ، كلما ازداد العبد سيرًا قطع الطريق عليه ، ولهذا قيل لبعض السلف . قيل : أنه أبو بكر الصديق . قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في الأجوبة عن اليهود والنصارى أنهم قالوا لا نجد الوسوسة في صلاتنا . ما يصنع الشيطان في البيت الخراب ؟

قال أحمد بن أبي الحواري : شكوت إلى أبي سليمان الداراني الوسوسة في الصلاة ، فقال : إذا أردت أن ينقطع عنك ، فإذا أحسست به فافرح فإنك إذا فرحت انقطع عنك لأنه لا شئ أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن ، وإن اغتممت به زادك . قال بعض العلماء : لأن الوسواس إنما يبتلى به من كمل إيمانه فإن اللص لا يقصد بيتًا خرابًا .

فصل

في تحريك إصبع المصلي

ولما كان الشيطان يراصد ابن آدم في الصلاة يوسوس له حتى تنقضي صلاته جعل تحريك إصبع المصلي في التشهد مذعرة للشيطان ، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :«**تحريك الإصبع في الصلاة مذعرة للشيطان**»[1] . فيه الواقدي .

(١) إسناده ضعيف جدًا : رواه الروياني في «مسنده» (١٤٣٩) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ١٣٢) ، ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٢) ، وانظر «ميزان الإعتدال» ، وفي إسناده الواقدي وهو محمد بن عمر متروك الحديث ، وكثير بن زيد ضعفه النسائي .

ولهذا كان النبي ﷺ يشير بها[1]. وعن خفاف بن إيماء الصحابي أن النبي ﷺ كان يشير بها إلى التوحيد[2]. وقد ذكر القرطبي : أن إصبعه ﷺ الشاهدة كانت أطول من التي تليها وفيه نظر ، ولعله اشتبه بإصبع رجله ، فإنها كانت أطول .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنا يزيد بن عبد الله بن مقسم ، حدثني

(١) هذا هو المحفوظ عن النبي ﷺ أنه كان يشير بإصبعه في الصلاة ، فقد جاء هذا عن جماعة من الصحابة :

* كابن عمر : رواه مسلم (٥٨٠) ، أبو داود (٩٨٧) ، النسائي في «الكبرى» (٣/ ٣٦) (١٢٦٧) ، أبو عوانة (١/ ٥٣٧) .

* عبد الله بن الزبير : رواه مسلم (٥٧٩) ، أبو داود (٩٨٨) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٣٠) ، عبد بن حميد (٩٩) ، أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٤١٧) (٥٨٨) ، الدارقطني في «سننه» (١/ ٣٤٩) ، ابن خزيمة (٧١٨) ، ابن حبان (١٩٤٤/ إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ١٧٩) (١٢٨٣) .

* مالك الخزاعي : رواه أبو داود (٩٩١) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٣٧٧) (١٩٧٧) ، أحمد (٣/ ٤٧١) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٣٠) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٣٠٥) ، ابن خزيمة (٧١٥) .

* أبي حميد الساعدي : رواه ابن خزيمة (٦٨٩) ، ابن حبان (١٨٧١/ إحسان) .

*وائل بن حجر : رواه أحمد (٤/ ٣١٦، ٣١٨ ، ٣١٩) ، الطيالسي (١٠٢٠) ، ابن خزيمة (٦٩٠) ، الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧) (٨٩) .

أما لفظة التحريك فهي شاذة ، قال ابن خزيمة : «ليس في شيء من الأخبار يحركها إلا في هذا الخبر زائدة ذكره» رواها أحمد (٤/ ٣١٨) ، ابن خزيمة (٧١٤) من طريق زائدة ابن قدامة عن عاصم بن كليب الجرمي عن وائل بن حجر به . وزائده وإن كان إمامًا إلا أنه قد خالفه جماعة من الحفاظ منهم شعبة وسفيان وغيرهما ، وأيضًا قد اختلف على زائدة فيه فقد روي عنه التحريك والإشارة ، فالذي يظهر أن هذه اللفظة غير محفوظة ، فضلًا عن حديث ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ومالك الخزاعي ، وأبي حميد الساعدي ، ووائل بن حجر .

(٢) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٤/ ٥٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٠٧) (٩٠٨) ، الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢١٧) (٤١٧٦) عن مقسم عن إيماء بن خفاف به ، ومقسم هذا صاحب ابن عباس قال المزي : روى عن خفاف بن رحضة والصحيح أن بينهما رجل . «تحفة التحصيل» (١/ ٣١٤) .

عمتي سارة بنت مقسم ، عن ميمونة بن كردم قالت : رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، وأنا مع أبي ، وبيد رسول الله ﷺ درة كدرة الكتاب ، سمعت الناس يقولون الطيطية الطيطية ، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله ﷺ قالت : فما نسيت فيما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه[1].

قال عمر بن عبد العزيز : سأل رجل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فلما كان في النوم رأى فيما يرى النائم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد عند منكبه الأيسر ، بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل رقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله عز وجل خنس . ذكره ابن أبي الدنيا في «كتاب مكايد الشيطان». قال تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[2].

أشككهم في آخرتهم وأنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وأكذبهم بما فيها من الآيات ، وعن إيمانهم أشبِّه عليهم أمر دينهم وأبطلهم عن حسابهم ، وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي .

قال قتادة : أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل ناحية غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله . قال إسحاق بن راهوية ، قال ابن عباس : لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم ، وقد صح عنه ، ولهذا جاء في الحديث : «**الاستعاذة تعيذ من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها**» .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبادة بن مسلم ، حدثنا ابن أبي

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو داود (٢١٠٣) (٣٣١٤٠) ، أحمد (٦/ ٣٦٦) ، البيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٤٥) عن سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم به ، وسارة بنت مقسم هذه لا تعرف .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦ ، ١٧ .

سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عمرو يقول : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي : «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**» [1].

يعني : الخسف . رواه الخمسة ، إلا أبا داود ، وصححه ابن حبان والحاكم .

***

---

(١) حديث صحيح : رواه أبو داود (٥٠٧٤) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٦٧) (٧٩٧١) ، وفي «المجتبى» (٨/ ٢٨٢) ، ابن ماجه (٣٨٧١) ، أحمد (٢/ ٢٥) ، البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٨) (١٢٠٠) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٥) ، عبد بن حميد (٨٣٧) ، نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٢٥) ، الحاكم (١/ ٦٩٨) ، ابن حبان (٩٦١/ إحسان) ، الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٤٣) (١٣٢٩٦) ، كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٢٧) من حديث ابن عباس .
: الحديث رواه أبو داود كما ترى لا كما قال المصنف .

الفصل الثالث عشر

مبيت الشيطان على خياشيم ابن آدم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فليتوضأ وليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه**»[١] .

متفق عليه ، قد يقال إن الشيطان إنما بات على خياشيمه لبعده عن مواقع العبادة ، فإن العين باب النظر إلى خلق السموات والأرض ، قال الله تعالى : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾[٢]. فهي باب العبرة ، والفهم باب الفكر ، فاذكروني أذكركم واذكروا الله لعلكم تفلحون ، والأذن سماع ذكر الله وآياته قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾[٣]. وليس في الخياشيم شئ من هذه المعاني ، ويجوز أن يكون يدخل الشيطان في الإنسان من طريق الخياشيم ، ويقول الناس لمن ظهر فيه كبر نفخ الشيطان في منخره . قال الحجاج في خطبته : يا أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخركم حين قلتم مات الحجاج فمه ، وهل يرجو الحجاج الخير كله إلا بعد الموت ، ولهذا قال النبي ﷺ «**التثاؤب في الصلاة من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**»[٤] ، والخياشيم : باب ظاهر ليس له طبق ، والعين والفم لهما طبقات ، فلا يجد العدو إليه سبيلا كما لا يجد إلى

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٢١) ، مسلم (٢٣٨) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٨٣) (٩٦) ، وفي «المجتبى» (١/ ٦٧) ، أحمد (٢/ ٣٥٢) ، أبو عوانة (١/ ٢٠٩) ، ابن خزيمة (١٤٩) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٩) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ١٨ .

(٤) سبق تخريجه .

السقاء إذا أوكى ، وذكر اسم الله عليه وإلى الباب إذا أغلق سبيلا .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«اغلقوا الباب وأوكئوا السقاء واكفؤا الأناء وأطفئوا المصباح ، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا ، ولا يحل وكاء ولا يكشف آنية وإن الفويسقة تضرم على الناس بيوتهم»**[(١)].

فصل

وقد اختلف الناس في قوله ﷺ : **«إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا فإنه لا يدري أين باتت يده »**[(٢)]. لأي معنى أمر الشارع بغسل اليد ههنا ؟ فقال القاضي : أبو يعلى وأصحابه هذا تعبد محض لأنه ليس بنجاسة حقيقة ، وقيل معلل بوهم النجاسة ، وقال آخرون : إنه من مبيت يده ملابسة للشيطان لأنه ﷺ أمر بغسل الخيشوم

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٣٨) (٥٩٣٧) ، مسلم (٢٠١٢) ، أبو داود (٣٧٣٢) ، الترمذي (١٨١٢) ، ابن ماجه (٣٤١٠) ، أحمد (٣/٣٠١) ، «الموطأ» (١٦٥٩) ، أبو عوانة (٥/١٤٢) ، أبو يعلى في «مسنده» (٤/٩٨) (٢١٣٠) ، ابن خزيمة (١٣٢) ، ابن حبان (١٢٧١/إحسان) ، الطبراني في «الأوسط» (٢/٩٠) (١٣٤٥) كلهم من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (١٦٠) ، مسلم (٢٧٨) ، أبو داود (١٠٣) ، النسائي في «الكبرى» (١/٦٣) (١) ، وفي «المجتبى» (١/٧) ، ابن ماجه (٣٩٣) ، الترمذي (٢٤) ، والموطأ (٣٧) ، الدارمي (١/٢١٦) (٧٦٦) ، أحمد (٢/٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧١) ، الحميدي (٩٥١) ، الطيالسي (٣١٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠ / ٣٧٧) (٥٩٧٣) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/٩٤) ، أبو عوانة (١/ ٢١١) ، ابن خزيمة (٩٩) ، ابن حبان (١٦٠٢/إحسان) ، أبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٣٣١) (٦٣٨) ، ابن الجارود في «المنتقى» (٩) ، الطبراني في «الأوسط» (١/ ٥١٤) (٩٤٩) ، الدارقطني (١/٤٩) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه ابن ماجه (٣٩٥) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠/٢٥٧) ، ٥٨٦٣) الدارقطني في «سننه» (١/٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

معللا بمبيت الشيطان عليه ، فعلم أن ذلك سبب للغسل غير النجاسة والحدث المعروف ، وقوله : **«فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»** يمكن أن يراد به ذلك فتكون هذه العلة من العلل المؤيدة التي شهد لها النص بالاعتبار .

***

الفصل الرابع عشر

في نصب الشيطان عرشه على الماء وإرسال سراياه

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول فعل كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئًا ويجئ أحدهم ، فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدينه أو قال فيلتزمه ، ويقول نعم أنت**»[١]. رواه مسلم .

إبليس يضع كرسيه على البحر :

قال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد «**ما ترى؟**» قال : أرى عرشًا على البحر حوله الحيات ، فقال رسول الله ﷺ :«**رأى عرش إبليس**»[٢].

عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ : «**إن إبليس يبعث جنوده إلى المسلمين ، فيقول : أيكم أضل رجلًا ألبسته التاج ؟ فإذا رجعوا قال لبعضهم : ما صنعت : قال ألقيت بينه وبين أخيه عداوة . قال : ما صنعت شيئًا سوف**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٩٢٥) ، الترمذي (٢٢٤٧) ، أحمد (٣/ ٦٦ ، ٩٧) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٠٠) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٤٢٣) (١٢٢٠) ، أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٦٢) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه أحمد (٣/ ٣٨٤ ، ٣٨٨) ، ابن حبان (٦٧٨٤/ إحسان) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

يصالحه ، ثم يقول للآخر : فأنت ما صنعت قال : ما زلت به حتى طلّق امرأته ، قال : ما صنعت شيئًا فسوف يتزوج أخرى ، فقال للآخر : فأنت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى شرب الخمر . قال : أنت أنت ، ثم يقول للآخر : فأنت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى زنى . قال : أنت أنت ، ثم يقول للآخر : فأنت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى قتل ، فيقول : أنت أنت». رواه أحمد في «مسنده»»[1].

واعلم ؛ أن الطلاق قسمان : **أحدهما** : أن يكون محرمًا أو مكروهًا ، وذلك عند استقامة الحال من حسن العشرة والصحبة ، وقوة المحبة والقيام بحقوق الله تعالى وأداء الزوجة ما يجب عليها من طاعة الزوج ونحو ذلك . والطلاق في هذه الحالة إما حرام أو مكروه على اختلاف بين العلماء .

والثاني : أن يكون الطلاق واجبًا أو مندوبًا ، وذلك عند الشقاق والعداوة والمضارة وسوء العشرة ، وترك حقوق الله من الصلاة ، وتعاطي المنكرات ونحو ذلك ، مع عجزه عن تغيير ذلك ، فالطلاق في هذه الحالات إما واجب أو مستحب على اختلاف بين العلماء ، فيحمل الحديث الأول في

(١) إسناده صحيح : رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٤٢) ، الروياني في «مسنده» (٥٥٢) ، ابن حبان (٦١٨٩/ إحسان) ، الحاكم (٤/ ٣٩٠) وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» من طريق سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى مرفوعًا وهذا إسناده صحيح وعطاء بن السائب اختلط لكن سماع سفيان منه قديم ، قال يحيى بن سعيد : «ما سمعت أحدًا يقول في عطاء بن السائب شيئًا قط في حديثه القديم وما حدث عنه سفيان وشعبة عنه صحيح إلا حديثين كان شعبة يقول سمعتهما بآخرة» أهـ سير أعلام النبلاء (٦/ ١١١) .
ورواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٦) قال أخبرنا أحمد بن جميل المروزي ، نا ابن المبارك ، نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى موقوفًا ، وأحمد بن جميل المروزي أبو يوسف نزيل بغداد قال أبو حاتم : صدوق ، وكتب عنه أحمد وقال ابن معين : ليس به بأس ، وقال يعقوب بن شيبة : صدوق ولم يكن بالضابط ، وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين : سمعم من ابن المبارك وهو صغير كان يقول : كنت أسمع منه وأنا أنظر إلى العصافير .

فرح الشيطان بالطلاق والفراق بين الزوجين على الحالة الأولى . فإن فرقة المتحابين المجتمعين على الطاعة والحلال هلاك لكل واحد منهما .

قال عطاء : الطلاق هلاك ، ويتمكن الشيطان بسبب ذلك إلى أمور بما يوقع كل واحد منهما في الزنا وارتكاب الفواحش الظاهرة والباطنة والسحر والعداوة وتشتت القلب ، وربما يكون ذلك وسيلة إلى عوده إليها حرامًا ويحمل الحديث الثاني في قوله : ما زلت به حتى طلّق امرأته . قال : ما صنعت شيئًا سوف يتزوج أخرى على الحالة الثانية إذا كان الطلاق مندوبًا .

***



الفصل الخامس عشر

في ذكر شياطين العبادات من الإسلام والصلاة والوضوء والصيام وإن الشيطان يقعد للناس على الصراط المستقيم

قال تعالى عنه أنه قال :

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

وعن أبي سبرة ، عن ابن أبي الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال له : تسلم وتترك دينك ودين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّول ، فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، وهو جهاد النفس والمال فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال»** . قال رسول الله ﷺ : **«فمن فعلِ ذلك منهم ، فمات كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة وإن وقعت به ناقته كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة ، وإن قتل كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة»**[1] . رواه الإمام أحمد في «مسنده» .

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (٣/ ١٥) (٤٣٤٢) ، وفي «المجتبى» (٦/ ٢١) ، أحمد (٣/ ٤٨٣) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٢٠٤) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٨٤) (١٠٤٣) ، وفي «الجهاد» (١٣) ، ابن حبان (٤٥٩٣/ إحسان) ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ١١٧) (٦٥٥٨) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢١) (٤٢٤٦) ، كلهم من طريق موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكه ، وهذا إسناد جيد إن كان سالم سمعه من سبرة بن أبي فاكه ، موسى بن المسيب ويقال موسى بن السائب الثقفي ، أبو جعفر الكوفي البزار ، قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين موسى بن المسيب صالح الحديث ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال يعقوب بن سفيان : لا بأس به ، سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي وثقه يحيى =

قال منصور ، عن مجاهد : ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عدتهم .

فصل

في وسوسة الشيطان للإنسان أثناء الصلاة

عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت يا رسول الله ! حال الشيطان بيني وبين صلاتي . قال : «**ذاك خنزب فإذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك**»[1]. رواه مسلم . قال ابن أبي موسى من كثر منه الشك حتى صار كالوسواس طاعنه لأنه يفضي إلى نوع من المكابرة ، فيفضي إلى الزيادة في الصلاة مع تيقن إتمامها . قال مالك : الموسوس يبني على أول خاطر ، والشيطان لعنه الله له مع الإنسان في الصلاة مواقف ، فيشككه في كيفية النية حتى يصححها ، والنية قصد تتبع العلم ، فبلغ من استيلاء الشيطان على

= ابن معين وأبو زرعة والنسائي ، وسبرة بن الفاكه ويقال : ابن أبي الفاكه ، ويقال ابن الفاكهة ، ويقال ، ابن أبي الفاكهة الأسدي نزيل الكوفة ، قال المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/٢٠٢) : « له عن النبي ﷺ حديث واحد وفي إسناد حديثه اختلاف» وقال الحافظ في «الإصابة» (٣/ ٣١) بعد أن ذكر هذا الحديث : «إسناده حسن إلا أن في إسناده إختلافًا . . ولعل المزي وابن حجر يشيرا إلى الاختلاف في صحبة سبرة ولهذا قال المزي : «له عن النبي ولم يجزم بصحبته» .

تنبيه : وقع في «المسند» طبعة الميمنية : «موسى بن المثنى» بدلًا من «موسى بن المسيب» وهو تحريف ، والصواب «موسى بن المسيب» كما في «المسند المعتلي» (٢/ ٤٢٥) ، و«تحفة الأشراف» (٣/ ٢٦٤) و«تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٠٢) و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٧٢- ٣٧٣) و «المسند» طبعة الرسالة (٢٥/ ٣١٥) (١٥٩٥٨) وأشار المحقق إلى أن التصويب من النسخ الخطية للمسند .

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٢٠٣) ، أحمد (٤/ ٢١٦) ، عبد بن حميد (٣٨٠) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٥١/ ٧٦) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٤٢٢٠) ، الحاكم (٤/ ٢٤٤) ، الطبراني في «الكبير» (٣/ ٥٢) (٨٣٦٦) كلهم من حديث عثمان ابن أبي العاص .

الموسوسين أنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون ويقارب مذاهب السوء ، فشياطينه الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور اليقينيات الضروريات ، وهؤلاء يكبر أحدهم ويقرأ بلسانه ما تسمعه أذناه ويعلمه بقلبه ، ثم يصدق الشيطان في إنكاره يقينًا ، وجحد لما رآه ببصره وسمعه بأذنه وكذلك يشككه في نيته وقصده التي يعلمها من نفسه يقينًا ، ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها مكابرة منه لعيانه ، وجحد ليقين نفسه فيشككه في نيته حتى يفوته إدراك التكبيرة الأولى مع الإمام .

وقد قال رسول الله ﷺ :**«من صلى أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق»**(١) .رواه الترمذي

---

(١) إسناده ضعيف ، ورفعه منكر ، والموقوف أشبه : رواه الترمذي (٢٤١) وقال : «وقد روى هذا الحديث عن أنس موقوفًا ولا أعلم أحدًا رفعه إلا ما روى سلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو عن حبيب بن أبي ثابت عن أنس ، وإنما يروى هذا الحديث عن حبيب ابن أبي حبيب البجلي عن أنس بن مالك قوله حدثنا بذلك هناد ، وحدثنا وكيع عن خالد ابن طهمان عن حبيب بن أبي حبيب البجلي عن أنس بن مالك نحوه ولم يرفعه . وروى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن عمارة بن غزية عن أنس بن مالك عن عمر ابن الخطاب عن النبي ﷺ نحو هذا وهذا حديث غير محفوظ وهو حديث مرسل وعمارة ابن غزية لم يدرك أنس بن مالك ، قال محمد بن إسماعيل : حبيب بن أبي حبيب يكنى أبا الكشوش ويقال أبو عميرة» أهـ ، ابن ماجه (٧٩٨) ، أحمد (٣/ ١٥٥) ، رواية ابن ماجه عن أنس عن عمر بن الخطاب ، وأحمد عن أنس بن مالك وكذا الترمذي كلهم يرفعه ، ورواه أيضًا البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٦٢) (٢٨٧٤) عن أنس موقوفًا ومرفوعًا ، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٦٦) من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٣٢) (٧٣٥) عن أنس مرفوعًا وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٩) قال حدثنا الثوري عن عاصم الأحول عن أنس قال: «من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يومًا كتب له براءتان ، براءة من النار وبراءة من النفاق» .
قلت : (ياسر) وهذا أشبه والله تعالى أعلم . وقد رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٧٥) عن أنس مرفوعًا وذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ١٣٩) عن أنس =

وغيره من حديث أنس ، وهو حديث حسن صححه الحاكم وغيره ، وذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ، وليس ذلك بموضوع كما قد بينا ذلك في كتاب الباهر .

قال علماؤنا وغيرهم : إذا شهد المأموم تكبيرة الإمام واشتغل عقيبها بعقد صلاته أدركها لو أن أخر لم يدركها ، وهذا الموسوس لا يدرك هذه التكبيرة وليس له فيها نصيب ، ومنهم : من تفوته الركعة الأولى ورأيت من تفوته صلاة الجمعة والجماعة وهو مشتغل بتصحيح النية والتكبير ، ومنهم : من يتلفظ بالنية سرًّا وهذا سهل ، فإن العلماء اختلفوا في استحباب التلفظ بها ثم يخدعهم الشيطان فيجهرون بها ، فكلفظ الإجماع ثم يكررون لفظها ثم يكررون لفظ التكبير أو يكرر الحرف ، فيقول : أكاك كبر وغير ذلك من خدع الشيطان . وقد بيَّن الشيخ موفق الدين ذلك في جزء له سماه «ذم الشيطان والوسواس» ، وقد قال بعض العلماء لمن سأله إني أقول الله أكبر وأشك بعد ذلك ، فقال له : أنت غير مخاطب بالصلاة ، فقال : لماذا ؟ قال : لأن من كبَّر وشكَّ هل كبر غير مخاطب لأنه مجنون غير مخاطب قد رفع عنه القلم .

قال الشيخ موفق الدين : لو كلفه الله الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيقه ، ولا يدخل تحت وسعه ، وما كان هكذا ، فما وجه التعب في تحصيله ، وإن شك في حصولها فهذا نوع جنون .

وقال ابن عقيل ، وقد قيل له : رجل انغمس في الماء مرارًا وشك هل صح الغسل أم لا ، فما ترى في ذلك ؟ فقال له : اذهب فقد سقطت عنك الصلاة . قال : وكيف ؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : «**رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق**»[1] . ومن يغمس في الماء مرارًا وشك هل أصابه الماء

= مرفوعًا وقال : «قلت لأبي حبيب : هذا من هو ؟ قال : لا أدري» ، وانظر «علل الدارقطني» (٢/١١٨) .

(١) الموقوف أصح : رواه أبو داود (٤٣٩٨) (٤٤٠٢) (٤٤٠٣) ، الترمذي (١٤٢٣) =

أم لا فهو مجنون .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : وجود الإرادة غير العلم بذلك ، فقد فطر الله بني آدم على محبته كنفسه وكثير أنكر ذلك تكون صحبة نفسه في قلوبهم ، وإن لم يعلموا بذلك ، كما أن الذي يدخل في الصلاة قد نواها ، وقد يظن أنه ما نواها فوجود المحبة والإرادة غير العلم بذلك .

فصل

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء»**[1]. رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ،

= قال : «حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي من غير وجه عن علي عن النبي ﷺ ، وذكر بعضهم **«وعن الغلام حتى يحتلم»** ولا نعرف للحسن سماعًا من علي بن أبي طالب ، وقد روي هذا الحديث عن عطاء بن السائب عن أبي ظبيان عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ نحو هذا الحديث ورواه الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس عن علي موقوفًا ولم يرفعه والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم قال أبو عيسى : قد كان الحسن في زمان علي وقد أدركه ولكنا لا نعرف له سماعًا منه ، وأبو ظبيان اسمه حصين ابن جندب» . والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٢٣) (٧٣٤٥) عن علي موقوفًا وقال : «وهذا أولى بالصواب وأبو حصين أثبت من عطاء بن السائب وما حدث جرير بن حازم به فليس بذاك وحديثه عن يحيى بن أيوب أيضًا فليس بذاك» ، ورواه (٤/ ٣٢٤) (٧٣٤٦) (٧٣٤٧) عن عليٍّ مرفوعًا وقال : «ما فيه شئ صحيح والموقوف أصح وهذا أولى بالصواب» وفي «المجتبى» (٦/ ١٥٦) عن عائشة مرفوعًا ، ابن ماجه (٢٠٤٢) عن علي مرفوعًا ، الدارمي (٢/ ٢٢٥) (٢٢٩٦) عن عائشة مرفوعًا ، أحمد (١/ ١١٨، ١٤٠) عن علي مرفوعًا ، (٦/ ١٠٠/ ١٠١) عن عائشة مرفوعًا ، ابن حبان (١٤٢/ إحسان) عن عائشة مرفوعًا ، والحاكم (٢/ ٦٧) عن عائشة مرفوعًا ، وقال : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، و(٤/ ٤٣٠) عن علي مرفوعًا ، الطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٨٧) (٧١٥٦) عن غير واحد من أصحاب النبي منهم شداد بن أوس وثوبان مرفوعًا ، (١١/ ٨٩) (١١١٤١) عن ابن عباس مرفوعًا ، الطيالسي (٩٠) عن علي مرفوعًا ، وقال الدارقطني في «العلل» (٢/ ١٩٢) : «والموقوف أشبه بالصواب والله أعلم» .

(١) حديث منكر : رواه ابن ماجه (٤٢١) ، الترمذي (٥٧) وقال : «وفي الباب عن =

وابن خزيمة ، والترمذي . وقال غريب ليس بالقوي لا نعلم أحدًا أسنده غير خارجة بن مصعب ، وقد روى من غير وجه عن الحسن قوله : لا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شئ ، وخارجه ليس بالقوي عند أصحابنا ، وكذا قال البيهقي انفرد برفعه خارجه ، وليس بالقوي في الرواية ، قال النخعي : تشديد الوضوء من الشيطان لو كان هذا فضلًا لأوثر به أصحاب محمد ﷺ .

وقال إبراهيم التيمي : أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مرَّ رسول الله ﷺ على سعد وهو يتوضأ فقال : «**ما هذا السرف يا سعد!**» قال : أوَفي الوضوء إسراف ؟ قال : «**نعم ، ولو كنت على نهر جار**»[1]. رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه وفيه ابن لهيعة ، فينبغي للمتوضئ أن يخفف في اثنتين : إحداهما : في النية

= عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مغفل وحديث أبي حديث غريب وليس إسناده بالقوي والصحيح عند أهل الحديث لأنا لا نعلم أحدًا أسنده غير خارجه ، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن الحسن قوله ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شئ وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا وضعفه ابن المبارك» ، أحمد (٥/ ١٣٦) ، ابن خزيمة (١٢٢) ، الحاكم (١/ ٢٦٧) ، الطيالسي (٥٤٧) ، البيهقي في «الكبرى» (١/ ١٩٧) وقال : «وهذا الحديث معلول برواية الثوري عن بيان عن الحسن عن بعض من قوله غير مرفوع وباقيه عن يونس بن عبيد من قوله غير مرفوع والله أعلم» . والربيع بن حبيب في «مسنده» (١٢٩) ، كلهم من طريق خارجة بن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عتر بن حمزة عن أبي بن كعب مرفوعًا ، وهذا إسناده مظلم وهو حديث منكر ، فخارجه بن مصعب متروك الحديث ، وعتر بن حمزة قال علي ابن المديني : مجهول ، والحسن البصري : يدلس ، وورواه البيهقي في «الكبرى» (١/ ١٩٧) من طريق الثوري عن بيان عن الحسن موقوفًا عليه.
انظر «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٥٣) (١٣٠) ، «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٣/ ٥٤) ، «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/ ٣٤٥) (٥٦٧) ، «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٥٤) .

(١) إسناده ضعيف : رواه ابن ماجه (٤٢٥) ، أحمد (٢/ ٢٢١) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠) (٢٧٨٨) ، وفي إسناده ابن لهيعة .

كما سبق في نية الصلاة ، فإني رأيت بعض الموسوسين يقعد على بركة الوضوء من وقت طلوع الصبح إلى أن تطلع الشمس ، وهو في تحقيق النية فيفوته الوقت . والثاني : في غسل الأعضاء ودلكها وتكرير الغسلات وبعض الناس تمضمض واستنشق فوق الخمسين مرة وهو يظن أنه لم يأت بالسنَّة بعد . نسأل الله العفو والعافية .

فصل

قال القرطبي : سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبد المعطي بثغر الإسكندرية يقول : إن شيطانًا يقال له البيضاوي يتمثل للفقراء المواصلين ، فإذا استحكم منهم الجوع وأضر بأدمغتهم يكشف لهم عن ضياء ونور ، حتى يملأ عليهم البيوت ، فيظنون أنهم قد وصلوا ، وأنه من الله وليس كما ظنوا .

وحكى أحمد بن طاهر الفراء قال : كان بمصر بيت للضيافة ، فجاء فقير فأقام معنا تسعة أيام أكل فيها ثلاث أكلات كل ثلاثة أيام أكلة ، فسألته المقام عندنا فأبى ، وقال : أريد الثغر فسألته أن لا يقطع أخباره عني ، فغاب عني اثنتي عشرة سنة ، ثم قدم فقلت له : ويحك ما كتبت إليَّ بأخبارك؟ فقال : لم أبلغ الثغر كنت بالرملة ، فرأيت فيها شيخًا يقال له أبو شعيب مبتلى ، فخدمته سنة فوقع في نفسي أن أسأله أي شئ كان سبب بلائه ، فلما دنوت منه ابتدأني قبل أن أسأله ، فقال : وما سؤالك عما لا يعنيك ؟ فصبرت سنة أخرى ، ثم تقدمت إليه لأسأله ، فقلت : إن رأيت ؟ قال : نعم . بينما أنا أصلي بالليل في محرابي إذ بدا لي من المحراب نور قوي كاد يخطف بصري قلت : أخسأ يا ملعون ! فإن ربي أجلَّ من أن يبرز إلى الخلق ، ثم صبرت ساعة فبدا لي نور كاد يخطف بصري ، فقلت : أخسأ يا ملعون ، فإن ربي أجل من أن يبرز للخلق ، ثم بدا ثالثة أشد مما بدا وأقوى من الأول والثاني ، فقلت يا ملعون ! أخسأ فلو نورت السموات والأرضين والعرش والكرسي كان ربي أجل من أن يبرز للخلق ، ثم سمعت نداء يا

أبا شعيب ! قلت : لبيك . ثلاث مرات : تحب أن نفضلك في وقتك هذا ونجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به في عليين ؟ فقلت : بلاؤك بلاؤك بلاؤك ، فذهبت عيني ويدي ورجلي . قال : فكنت أخدمه اثنتي عشرة سنة ، فقال لي يومًا : ترى ما أرى ؟ قلت : لا . قال : تسمع ما أسمع ؟ قلت : لا ، قال : ادن مني فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضًا ، يقول العضو للعضو أبرز منه ، فإذا أعضاؤه بين يديه صبة واحدة تسبح وتقدس ، ثم مات رحمه الله .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ (١).

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن للشيطان للمة بابن آدم وللملك للمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان الرجيم . ثم قرأ** : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ (٢). رواه الترمذي ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٨ .

(٢) الموقوف أصح : رواه الترمذي (٢٩٨٨) وقال : «حديث غريب ، وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعًا إلا من حديث أبي الأحوص» ، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٠٥) (١١٠٥١) ، البزار (٢٠٢٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٤١٧) (٤٩٩٩)، ابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٥) ، ابن حبان (٩٩٧/إحسان) ، الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠١) (٨٥٣٢) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٢٠) (٤٥٠٦) ، وابن أبي عاصم في «الزهد» ص (١٥٧) ، كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا وموقوفًا ، قال=

والنسائي عن هناد ، وابن حبان في «صحيحه» ، عن أبي يعلى ، عن هناد قال الترمذي : حسن غريب ، وهو حديث أبي الأحوص سلام بن سليم ولا نعرفه مرفوعًا إلا من حديثه كذا قال ، ورواه ابن مردوية من غير طريقه مرفوعًا .

قال حمدون القصار : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشئ كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنًا ، ورجل يموت على الكفر ، وقلب فيه خوف الفقر . ويشهد لقول ابن مسعود قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1] . أي يخوفكم بأوليائه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرغبة لشيطان الإنس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل . وعكس هذا قوله تعالى : ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] . وقال : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[4] . والتثبيت : جعل الإنسان ثابتًا ، وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير ، كما قال ابن

= ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٤٤) (٢٢٢٤) : «سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن عبد الله عن النبي ﷺ : «**إن للملك لمة وللشيطان لمة**» الحديث ، فقال أبو زرعة : الناس يوقفونه عن عبد الله موقوفًا قلت : فأيهما الصحيح قال هذا من عطاء بن السائب كان يرفع الحديث مرة ويوقفه أخرى ، والناس يحدثون من وجوه عن عبد الله موقوف ، ورواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن مسعود موقوف ، وذكر أشياء من هذا النحو موقوف» . وقال الترمذي كما في «العلل الكبير» (١/ ٣٥٣) : «سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال : روى بعضهم هذا الحديث عن عطاء بن السائب ووافقه ، وأرى أنه قد رواه أبو الأحوص عن عطاء بن السائب وهو حديث أبي الأحوص» .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٢ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٧٤ .

مسعود : لمة الملك إيعاذ بالخير وتكذيب بالشر ، فمتى علم القلب أن ما أخبر به الوسواس حتى صدقه وإذا علم أن الله قد وعده بالنصر وثق بوعد الله فيثبت ، فهذا ثبت بالكلام كما يثبت الإنسان الإنسان في أمر قد اضطرب فيه بأن يخبره فيصدقه ويخبره بما يتبين له من أنه مصدق فيثبت ، وقد يكون التثبت بالفعل فيمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان .

وفي الحديث ، عن النبي ﷺ : **«من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله إليه ملكًا يسدده»**[١] . فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقي في قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[٢] . والملائكة رسل الله ، ولفظ الملك فيه معنى الرسالة ، فإن أصل الكلمة ملأك على مفعل ، ولكن خففت لكثرة الاستعمال لأنه ألقيت حركة الهمزة على الساكنين قبلها وحذفت الهمزة .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية : عن الأعمش ، عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيي سبعين شيطانًا»**[٣] . وقد قيل : إن الشيطان يأتي الرجل بسبعين من جنوده فيتعلقون

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو داود (٣٥٧٨) ، الترمذي (١٣٢٣) ، ابن ماجه (٢٣٠٩) ، أحمد (٣/١١٨/ ٢٢٠) ، الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٣) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٠٠) ، الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١١١) (٥٩٥٨) وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٢٠) (٥٦١٤) .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٥١ .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٥٠) ، الروياني في «مسنده» (١/ ٦٨) (١٨) ابن خزيمة (٢٤٥٧) ، الحاكم (١/ ٥٧٧) ، الطبراني في «الأوسط» (١/ ٣٠٨) (١٠٣٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٨٧) وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٢٥٧) (٣٤٧٤) البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٠٥) من طريق عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به ، وعبد الله بن جعفر فيه ضعف ، وعثمان الأخنس له أوهام ومناكير .

بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه من الصدقة ، فقال بعض القوم : أنا أقاتل هؤلاء بالسبعين ، فخرج إلى منزله وملأ ذيله من الحنطة ليتصدق به ، فوثبت زوجته ونازعته حتى أخرجه من ذيله فرجع الرجل خائبًا إلى المسجد وقال : هزمت السبعين وجاءت أمهم فهزمتني .

***

الفصل السادس عشر

في راية الشيطان

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عثمان بن محمد عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من خارج يخرج إلا ببابه راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**»[١] .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق ، فيرمون الناس بالترابيب ويثبطونهم عن الجمعة ، وتقوم الملائكة فتجلس على أبواب المسجد ، فيكتبون الرجل من ساعة والرجل من ساعتين حتى يخرج الإمام**»[٢] . ورواه أبوداود ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من غدا إلى صلاة الصبح أعطي راية الإيمان ، ومن غدا إلى السوق أعطي راية إبليس ، هو مع أول من يغدو ، وآخر من يروح**»[٣] . ذكره أبو القاسم في «الترهيب» .

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٢/ ٣٢٣) ، الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٩٩) (٤٧٨٦) ، البيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ٢٧٤) (٧٠٥) ، من طريق عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به ، وعبد الله بن جعفر فيه ضعف وعثمان الأخنس له أوهام ومناكير .

(٢) رواه أبو داود (١٠٥١) ، البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٢٠) ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٥٧) .

(٣) ضعيف جدًا : رواه ابن ماجه (٢٢٣٤) ، الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥٥) =

كان النبي ﷺ إذا دخل السوق قال : «**اللهم إني أعوذ بك من شر هذه السوق ، وشر ما فيها ، وأعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة ، ويمينًا فاجرة**»[(١)]. ذكره الضياء في «المختارة» . ولما كانت الأسواق تنصب الشياطين راياتها فيها كان الذكر فيها مضاعفًا .

قال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار مولى آل الزبير ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ : «**من قال في الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد بيده الخير يحي ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له بها ألف ألف حسنة ، ومحا ألف ألف سيئة وبنى له بيتًا في الجنة**»[(٢)].

= (٦١٤٦) ، العقيلي في «الضعفاء» (٣/٤١٨) ، وقال عبد الله بن أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٣/٤٥٨) (٥٩٥٢) : «سألت أبي عن هذا الحديث فقال أبي : هذا حديث منكر» وفي إسناده عبيس بن ميمون وهو متروك ، والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧١١) .

(١) إسناده ضعيف : رواه الروياني في «مسنده» (١/٧٩) (٤٠) ، الحاكم (١/٧٢٣) ، الطبراني في «الكبير» (٢/٢١) (١١٥٧) ، وفي «الأوسط» (٥/٣٥٤) (٥٥٣٤) ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٣٩١) .

(٢) حديث منكر : رواه ابن ماجه (٢٢٣٥) ، الترمذي (٣٤٢٩) وقال : «وعمرو بن دينار هذا هو شيخ بصري ، وقد تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه ، ورواه يحيى بن سليم الطائفي عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عمر رضي الله عنه» ، الدارمي (٢/٣٧٩) (٢٦٩٢) ، أحمد (١/٤٧) ، عبد بن حميد (٢٨) الطيالسي (١٢) ، البزار (١٢٥) ، الحاكم (١/٧٢١ ، ٧٢٢) ، الطبراني في «الكبير» (١٢/٣٠٠) (١٣١٧٥) ، ابن عدي في «الكامل» (٢/٣٥) ، العقيلي في «الضعفاء» (٣/٣٠٤) ، قال الترمذي كما في «العلل الكبير» (١/٣٦٣) (٦٧٤) : «سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال حديث منكر قلت له : من عمران بن مسلم هذا هو عمران القصير ؟ قال : لا هذا شيخ منكر الحديث» وقال ابن حاتم في «العلل» (٢/١٨١) : «سألت أبي . . . وذكر الحديث هو خطأ إنما أراد عمران بن مسلم عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم عن أبيه فغلط وجعل بدل عمرو عبد الله بن دينار وأسقط سالمًا من الإسناد ، قال أبو محمد : حدثنا بذلك محمد بن عمار . . .» ، انظر «علل الدارقطني» (٢/٤٩) ، =

رواه الترمذي في «جامعه» ، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» من حديث يزيد بن هارون ، حدثنا أزهر بن سنان القرشي ، عن محمد بن واسع ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «**من دخل سوقًا من أسواق المسلمين ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد يحي ويميت وهو حيي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وحطت عنه ألف ألف سيئة ورفعت له ألف ألف درجة**» قال محمد بن واسع فقدمت خراسان ، فلقيت قتيبة بن مسلم ، فقلت له : قد جئتك بهدية فحدثته به فكان يركب في مركبه إلى السوق فيقولها ثم يرجع .

وهذه الكلمات يخرج بها الإنسان عن الغفلة ، والغفلة مستولية على أهل الأسواق ، وهو سبحانه وتعالى المعطي والمانع والقابض والباسط والرازق وضع الأسباب وجعلها نصب أعين الآدميين ، فأهل البصائر واليقين تقذف بصائرهم لأولي الأسباب فهم يعملون في الأسباب مع وليها ، ويبتغون الأرباح من فضل الله ، وأهل الغفلة تعلقت قلوبهم بالتجارب والزراعات والصناعات والأسواق مظان الأرزاق ، وهي مملكة وضعها الله تعالى لأهل الدنيا بتداول الأملاك ، فالشيء الواحد يدور ملكه في اليوم الواحد مرات ، فمملكة التداول هي الأسواق ، ومملكة التدبير التداول هو العرش .

واعلم ؛ أن هذه الكلمات التي قالها رسول الله ﷺ فسخ لأفعال أهل الأسواق ، لأن القلوب قد لمت بعضها بعضًا في النفع والضرر ، فقال هذا الذكر (لا إله إلا الله) فكان في قوله فسخًا لوله قلوبهم . (وحده لا شريك له) فكان في قوله فسخًا لما تعلقت قلوبهم بعضها ببعض في نوال أو معروف أو لخوف أو ضرر ، ثم قال (له الملك) فكان في قوله فسخًا لما يرون من

= «المنار المنيف» لابن القيم (٤١ ، ٤٢) .

تداول أيدي المالكين تلك الأشياء ، قال (وله الحمد) كان في قوله فسخًا لما يرون من منع أيديهم وتصرفهم في الأمور يحمل ذلك بعضهم إلى بعض ، ثم قال (يحي ويميت) كان في ذلك فسخًا لحركاتهم ، فإن تلك الحركات على جديد الأرض ، ويميت أي يميتهم فلا يبقى متحرك ، ثم قال (وهو حي لا يموت) نفى عنه ما نسب إلى المخلوقين في حياتهم من أنهم يموتون ، ثم قال (بيده الخير) أي هذه الأشياء التي يطلبونها من الخير في هذه الأسواق وجميع الخير بيده (وهو على كل شئ قدير) .

فمثل أهل الغفلة والتخليط في هذه الأسواق ، كمثل الهمج والذباب يجتمعون على مزبلة يتطايرون فيها على القذر . فعمد رجل إلى مكنسة فكنس هذه المزبلة إلى الوادي ، فإذا البقعة نظيفة ، فهذا الناطق بهذه الكلمات وجد أسواقًا مشحونة بالكذب والغش والخيانة والظلم والعدوان ، والأيمان الكاذبة والمكاسب الردية ، قد تمكن فيهم العدو وهم على شرف حريق وعذاب فنطق بهذه الكلمات فرمى بهذه المزبلة في وجه العدو .

***

الفصل السابع عشر

في تصفيد الشيطان في رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**»[(١)]. متفق عليه . المشهور أن ما في هذه الأحاديث حقيقة فتفتح أبواب الجنة حقيقة وتغلق أبواب النار كذلك ، وقالت طائفة إنه كناية عن أفعال الخير التي هي سبب دخول الجنة ، وكناية عن ترك المعاصي التي فعلها سبب لدخول النار .

فإن قيل : لو كان ذلك حقيقة لكانت الجنة مغلقة في سائر السنة إلا في رمضان ، ولكانت النار مفتحة سائر السنة إلا في رمضان ، وإلا لم يكن الحديث فيه معنى ؟

قلت : لفظ فتحت وغلقت يقتضي التكثير ، فيجوز أن تكون أبواب الجنة بعضها مفتوحًا وبعضها مغلوقًا ، كما في المساجد في غير أوقات الصلاة والأعياد ، وأبواب الملوك في غير وقت الاجتماع العام عند الملك ، فأما وقت الاجتماع فإنه تفتح الأبواب كلها فلا يبقى باب إلا فتح .

وما في جامع الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح**

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٨٠٠) (٣١٣) ، مسلم (١٠٧٩) ، ابن عدي (١٦٤٢) ، النسائي في «الكبرى» (٢/ ٦٥) (٢٤٠٩) ، وفي «المجتبى» (٤/ ١٢٧) ، الترمذي (٦٨٢) ، الدارمي (٢/ ٤١) (١٧٧٥) ، «الموطأ» (٦٨٤) ، أحمد (٢/ ٣٧٨ ، ٤٠١) ، عبد بن حميد (١٤٣٩) ، ابن خزيمة (١٨٨٢) ، ابن حبان (٣٤٣٥/ إحسان) ، الحاكم (١/ ٥٨٢) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٠٣) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى منادٍ : يا باغي الخير ! أقبل ، ويا باغي الشر! أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة»[(١)]. وقال حديث حسن .

وقد جاء في الحديث : أن الجنة تزخرف في شهر رمضان ومن تمام تزيينها فتح جميع أبوابها ، وكذلك القول في جهنم أجارنا الله منها أنها في غير شهر رمضان منها ما هو مغلق ، ومنها ما هو مفتوح ، وقد يكون لها أبواب كبار وصغار وخوخات في الأبواب ، فإذا جاء رمضان سدوا الكل ، والجنة بعد دخول المؤمنين إليها تبقى مفتحة الأبواب ، وجهنم بعد دخول أهلها إليها مسدودة الأبواب مردودة بالعمد ، وأما أمر الشياطين فإنها تسلسل وتغل في رمضان على ظاهر الحديث ، أو المراد مردة الشياطين ، كما في هذا اللفظ ، وكذا جزم به أبو حاتم بن حبان وغيره من أهل العلم ، فليس في ذلك إعدام الشر بل قلة الشر لضعفهم . وفي الترمذي ، وابن ماجه : «**صفدت الشياطين ومردة الجن**» . وفي النسائي : «**وتغل مردة الشياطين**» .

وقد أجرى الإمام أحمد هذا على ظاهره .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : قلت لأبي قد نرى المجنون يصرع في شهر رمضان ، فقال : هكذا جاء الحديث ، ولا تكلم في ذلك ، فإن أصل أحمد أن لا يتأول من الأحاديث إلا ما تأوله السلف ، وما لم يتأوله السلف لا يتأوله .

وزعمت طائفة أن معنى «صفدت الشياطين» أن النفس الخبيثة الشريرة

(١) إسناده ضعيف : رواه ابن ماجه (١٦٤٢) ، النسائي في «الكبرى» (٢/ ٦٦ ، ٦٧) (٢٤١٧) (٢٤١٨) ، الترمذي (٦٨٢) ، أحمد (٤/ ٣١٢، ٣١٣) ، (٥/ ٤١١) ، عبد الرزاق في «المصنف» (٧٣٨٦) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٧٠) ، ابن خزيمة (١٨٨٣) ، ابن حبان (٣٤٣٥/ إحسان) ، الحاكم (١/ ٥٨٢) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٠٣) ، الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٢) (٣٢٥) ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩) .

مقيدة في رمضان بالمردة من الإنس ويتعففون عما هم فيه من شرب الخمر والزنا والقتل وغيرها ، وكذا مردة الجن والشياطين اسم لكل مارد من الإنس والجن ، والأول أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا هشام بن أبي هشام ، عن محمد ابن محمد بن الأسود ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت أمتي خمس خصال لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويزين الله كل يوم جنته ، ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك ، وتصفد فيه مردة الشياطين لا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة**» قيل : يا رسول الله ! أهي ليلة القدر ؟ قال : «**لا . . ولكن العامل إنما يوفَّ أجره إذا قضى عمله**»[1]. إسناده حسن ، وفيه أن قصد تصفيد الشياطين في شهر رمضان من خصائص هذه الأمة .

قال الشيخ تقي الدين : تفتيح أبواب الجنة ، وإغلاق أبواب النار ، وتصفيد الشياطين إذا دخل رمضان ، إنما هو للمسلمين الذين يصومون رمضان لا للكفار الذين لا يرون له حرمة ، قوله ﷺ : «**وذلك في كل ليلة**» هل يعود إلى العتقاء والنداء أو إلى العتقاء فقط ظاهر اللفظ العود إليهما .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن هشام ، عن قتادة ، عن خويلد العصري عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ : «**ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين . يا أيها الناس! هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا طلعت شمس إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعون أهل الأرض إلا الثقلين اللهم أعط منفقًا خلفًا**

---

(١) إسناده ضعيف جدًا : رواه أحمد (٢/ ٢٩٢) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠٢) (٣٦٠٢) ، وفي إسناده هشام بن أبي هشام أبو المقدام متروك .

وأعط ممسكًا تلفًا»(١).

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن عطاء بن السائب ، عن عرفجة ، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه ذكر رمضان فقال : **«تفتح فيهِ أبوابُ الجنةِ وتُغْلقُ فيه أبوابُ النار وتصفد فيه الشياطين وينادى مناد كل ليلة : يا باغي الخير ! أقبل ، ويا باغي الشر ! أقصر ، حتى ينقضي رمضان»**(٢).

***

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٣٧٤) ، مسلم (١٠١٠) ، النسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٧٥) (٩١٧٨) ، أحمد (٢/ ٣٠٥ ، ٣٤٧) (٥/ ١٩٧) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٣/ ٨٨) (٢٢٦١) ، الحاكم (٤/ ٦٠٤) ، ابن حبان (٣٣٣٣/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٨٧) كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا . رواه عبد بن حميد (٢٠٧) ، البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٣٣) (٣٤١٢) ، ابن أبي عاصم في «الزهد» ص (١٩) ، الطيالسي (٩٧٩) عن أبي الدرداء مرفوعًا .

(٢) سبق تخريجه .

الفصل الثامن عشر

في حضور الشيطان عند النبي ﷺ وفراره من عمر رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمر على النبي ﷺ ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر رضي الله عنه قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ! بأبي ما أضحكك ؟ قال : «**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**» . قال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن تهبن ، ثم قال عمر : أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ . قال : فقال رسول الله ﷺ : «**إيه يا ابن الخطاب ! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**»[(١)]. متفق علي معناه ، وفي مسلم من حديث أبي هريرة نحوه . الفج : الطريق .

وعن بريدة أن أمة سوداء أتت النبي ﷺ ، وقد رجع من بعض مغازيه فقالت : إني كنت نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب عليك بالدف . قال إن كنت فعلت فافعلي ، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي ، فضربت ، فدخل أبو بكر ، وهي تضرب ، ودخل غيره ، وهي تضرب ، ثم دخل عمر ، فجعلت دفها خلفها وهي مقنعة ، فقال رسول الله ﷺ : «**إن الشيطان ليفر**

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٢٠) (٣٤٨٠) (٥٧٣٥) ، مسلم (٢٣٩٦) ، النسائي في «الكبرى» (٥/٤١) ، (٨١٣٠) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧) ، أحمد (١/١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٧) ، أبو يعلى في «مسنده» (٢/١٣٢) (٨١٠) ، البزار (١١٨٤) ، ابن حبان (٦٨٩٣/إحسان) .

منك يا عمر أنا جالس ههنا ودخل هؤلاء ، فلما دخلت فعلت ما فعلت»[(١)] .
رواه الإمام أحمد والترمذي ، ولفظه : إني كنت نذرت إن ردك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدف ، وأتغنى ، فقال : إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا ، فقالت : نذرت ، فجعلت تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل عمر ، فألقت الدف تحت آليتها وقعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الشيطان يخاف منك يا عمر! إني كنت جالسًا وهي تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف وجلست عليه**»[(٢)]. قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

وقال سالم بن عبد الله : أبطأ خبر عمر على أبي موسى ، فأتى امرأة في بطنها شيطان ، فسألها عنه ، فقالت : حتى يجئ شيطاني فجاء فسألته عنه ، فقال : تركته مؤتزرًا بكساء يهنأ إبل الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان إلا خرَّ لمنخريه الملك بين عينيه ، وروح القدس ينطق على لسانه . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «مكايد الشيطان» .

قال الكلاباذي في كتاب «بحر الفوائد» : يجوز أن يكون الشيطان كان يخاف عمر ولا يخاف النبي ﷺ ، لأنه لو خافه لم يجد خوفه منه وهيبته له من أحد وجهين : إما خوف إجلال وتعظيم وهو فضيلة ، والشيطان أبعد شيء من الفضائل ، والثاني : خوف عقوبة يحلها به ، والنبي ﷺ لم يكن يعاجل بالعقوبة استخفافًا به وقلة مبالاة إذ لم يكن النبي ﷺ يخاف فتنته ولا يهاب

(١) إسناده صحيح : رواه الترمذي (٣٦٩٠) وقال : «حسن صحيح غريب من حديث بريدة ، وفي الباب عن عمر وسعد بن أبي وقاص وعائشة» ، أحمد (٥/٣٥٣) ، ابن حبان (٤٣٨٦/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (١٠/٧٧) ، الطبراني في «الأوسط» (٤/١٩١) (٣٩٤٣) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» .
(٢) انظر الحديث السابق .

وسوسته ، فلم يهبه اغترارًا به أمنًا من مكر الله تعالى ، وأما عمر رضي الله عنه ، فإنه كان يخاف الشيطان أن يفتنه ويوسوس إليه فكان يناصبه ، فكان يترك فجه وسبيله حذرًا منه ، وأما النبي ﷺ فكان لا يبالي استخفافًا به واستصغارًا له ، فإنه ليس بشيء عنده ، وقد قال أبو حازم : وما الشيطان حتى يُهاب ؟ فوالله لقد أطيع فما نفع ، وعصي فما ضر ، وكان الشيطان يتمثل لعامر بن قيس في صورة حية في موضع سجوده ، فكان إذا سجد نحاه ويقول : والله لولا نجاستك لم أزل أسجد عليك .

قلت : وقد يقال في توجيه ذلك إن رسالة النبي ﷺ شاملة لكل مكلف من الجن والإنس والشياطين ، فكان حضوره عند النبي ﷺ واستماعه أبلغ وأشق عليه ، واستماعهم للنبي ﷺ من كماله وشمول دعوته وفرار الشيطان من عمر فضيلة له ، والنبي ﷺ لم يكن له إلا ثلاثة خواطر : خاطر إلهي ، وخاطر ملكي ، ونفسي ليميزه الله سبحانه بالعصمة ، ولسائر المؤمنين أربع خواطر ، الرابع خاطر شيطاني .

وقيل لإبليس : ما حالك مع الشيخ أبي مدين ؟ فقال : ما شبهت نفسي فيما يلقي إليه إلا بشخص بال في البحر المحيط ، فقيل له : لمَ تبول فيه ؟ قال : حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة ، فهل رأيتم أجهل منَ هذا الشيخ بأحكام الله ؟ وقد تقدم خبر عبد الرحمن بن حبيش .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قام النبي ﷺ يصلي وهو خلفه ، فقرأ ، فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : «**لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطًا في سارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل**»[1]. رواه الحافظ ضياء الدين ، وهو حديث

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٣/ ٨٢) وفيه مسرة بن معبد ، قال ابن حبان : لا يجوز=

حسن ، وفي الصحيحين معناه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن عفريتًا من الجن تفلّت عليّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، وإنَّ الله أمكنني منه فذعته**»وذكره قال فرددته[1] . رواه البخاري ، ورواه مسلم ولفظه : يفتك ، والفتك : الأخذ في غفلة وخديعة . قوله : فذعته هو بذال معجمة وتخفيف العين المهملة . أي خنقته . ورواه ابن أبي شيبة بدال مهملة . أي : دفعته دفعًا شديدًا ، وأنكر الخطابي المهملة ، وقال : لا تصح وصححها غيره . قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» :

فإن قيل : كيف دنا من النبي ﷺ وهو يفر من ظل عمر ؟

قلنا : كان يعلم من النبي ﷺ الحلم والصفح ، ومن عمر الغلظة والشدة وطمع في جانب الحلم ، ثم أنه استقيل في أذى الرئيس ، ولم يزل يستقيل في أذى غيره انتهى .

وقد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما دخل عليه وعنده جواري يضربن بالدف فأسكتهن لدخوله ، وقال : «**إن هذا رجل لا يحب الباطل**» ، فكل لذة لا توجب لذة في الآخرة وتمنع لذة الآخرة ، فهي لذة باطلة ولا منفعة لها ولا مضرة وزينتها تسر وتشغل عما هو خير منها في الآخرة ، واللهو فيه لذة ، وقد يكره لأنه يصد عن فعل القربة ، والنفوس الضعيفة والصبيان قد لا تشتغل عن ترك اللغو بما يكون خيرًا منه ، بل قد تشتغل بما هو شر منه أو

=الاحتجاج به إذا انفرد لأنه يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات ، ورواه عبد ابن حميد (٩٤٦) وفي إسناده أبو هارون العبدي تركه يحيى القطان وضعفه أبو زرعة .

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣٢٤١) ، مسلم (٥٤١) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ١٩٧) (٥٥١) ، أحمد (٢/ ٢٩٨) ، أبو يعلى في «مسنده» (١٠/ ٣٦٠) (٥٩٥١) ، أبو نعيم في «المستخرج» (٢/ ١٤١) (١١٩٢) ، ابن حبان (٢٣٤٩ ، ٦٤١٨/ إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢١٩ ، ٢٦٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٥٤٢) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ١٩٦) (٥٤٩) ، ابن حبان (١٩٧٩/ إحسان) ، أبو عوانة (٢/ ١٤٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٦٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

تتألم بتركه ، فيكوم تمكينها من ذلك إحسانًا إليها وصدقه عليها كالمعاناة واسقامها ، فلهذا أمكنهم رسول الله ﷺ من عمل هذا الباطل بحضرته إحسانًا إليهن ورحمة بهن ، وكان ذلك في حقه من الحق المستحب المأمور به ، وإن كان في حقهن من الباطل كما كان إعطاؤه المؤلفة قلوبهم مأمورًا به في حقه ورفقًا بهم ، فالنبي ﷺ يبذل أنواعًا للنفوس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به ، ويكون المبذول مما يلتزمه الآخذ ويحبه لأن ذلك وسيلة إلى غيره ولا يفعل ذلك مع من لا يحتاج إلى ذلك كالمهاجرين والأنصار ، بل يبذل أنواعًا أخر من الإحسان والمنافع ، وعمر رضي الله عنه لا يحب هذا الباطل ولا يحب سماعه ، وليس هو مأمورًا إذ ذاك من التألف بما أمر به النبي حتى يصبر نفسه على سماعه ، فكان إعراض عمر عن الباطل كمالًا في حقه ، وحال النبي ﷺ أكمل ومحبة النفوس للباطل نقص .

فصل

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ المشهور في كتب التفسير أن النبي ﷺ قرأ : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾[1]. فلما بلغ : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ⑲﴾ . فقال : **«تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى»**[2].

---

(١) سورة النجم ، الآية : ١ .

(٢) إسناده ضعيف ، وفي متنه نكارة شديدة : رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٦/١٧) عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس عن النبي ﷺ مرسلًا ، (١٨٨/١٧) عن أبي العالية مرسلًا ، (١٨٨/١٧، ١٨٩) عن سعيد بن جبير ، و(١٨٩/١٧) عن ابن عباس به ، و(١٨٩/١٧) عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن النبي ﷺ ، وهذه الطرق كلها ضعيفة ، ولا يصح هذا عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة . قال ابن كثير في «تفسيره» (٢٣٠/٣) : «. . ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم» . وانظر «نصب المجانيق» للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى ، فقد تكلم عن طرق هذه القصة بما يشفي ويكفي .

قال أهل العلم : هذا السبب لم يصح ، وقد تكلم القاضي عياض في «الشفاء» في ذلك ، وقال البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل . قال ابن عطية : مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى ولا يعنون هذا الاعتبار ولا غيره . قال : ولاخفاء أن إلقاء الشيطان إنما هي ألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة ، ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء والذي في التفسير أنه ﷺ تكلم بذلك على لسانه ، قال العلماء والمتكلمون هذا لا يجوز للعصمة . انتهى .

وفي الصحيحين : عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في النجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[١]. رواه البخاري . قال كثير من العلماء منهم ابن الجوزي : إنما سجد المشركون معه لأنهم سمعوا تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى ، ففرحوا ووافقوه في السجود . وقد ذكرت في التفسير أن شيطانًا تكلم بذلك ، فسمعوه إما من الإنس وإما من الجن ، لأنهم كانوا إذا قرأ النبي ﷺ لغوا كما وصفهم الله عز وجل بقوله : وقالوا : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[٢]. فلما سمعوا هذه السورة قال بعض هذه الكلمات على وزنها ، فظنوا أنه ﷺ قالها ، وإنما قيلت في ضمن تلاوته ، وأما أن يكون هذا جرى على لسان الرسول المعصوم فمحال ، فلا يغتر بما في التفاسير أنه جرى على لسانه ، ولو جاز هذا لاختلط الحق بالباطل ولا يقال لعل هذا مما ألقاه الشيطان ، لأن الله تعالى قد عصم نبيه وبين كيفية حفظ الوحي من الشيطان قال تعالى : ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٣]. فالمعنى أنه يحرس الوحي عند تلاوة الملك له على

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١٠١٩) ، ابن حبان (٢٧٦٣/إحسان) ، البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه مسلم (٥٧٦) ، أبو داود (١٤٠٦) ، ابن خزيمة (٥٥٣) ، الطبراني في «الكبير» (١٠/١٥٢) (١٠٢٨٨) ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .
(٢) سورة فصلت الآية : ٢٦ .
(٣) سورة الجن الآية : ٢٧ .

الرسول ﷺ من استراق الشياطين لئلا يسبقونه إلى الكاهن ، فيتكلم به قبل الرسول ، وهذه العصمة تنافي صحة ما ادعى مما أنكرناه ، وقد ذهب إلى ما قلنا كبار العلماء منه : أبو الحسين بن المنادي ، وأبو جعفر النحاس ، وابن عقيل في خلق كثير من المحققين ، وفي الجملة كلام الناس في صورة هذا الإلقاء يدور على وجوه :

أحدها : أن النبي ﷺ قال ذلك .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في الرد على الرافضي : المشهور عند السلف والخلف أن ذلك جرى على لسانه ، ثم نسخه الله . انتهى كلامه ، وهذا قول باطل عند عامة العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من جميع الطوائف قالوا : ومن المحال أن يجري هذا على لسان النبي ﷺ لدلائل عصمته .

الثاني : قال قتادة ومقاتل : أنه ﷺ أصابته سنة عند قراءته هذه السورة ، فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على المعصوم مثله في حال من أحواله ، ولا يخلقه الله على لسانه في نوم ولا يقظة .

الثالث : إن الشيطان نطق بلفظ أسمع الكفار عند قراءة النبي ﷺ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ وقرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ، وقالوا : محمد قرأها ، وهذا هو الجواب المشهور عند المحدثين والفقهاء ، كأبي الحسين بن المنادي ، وابن عقيل ، والقاضي أبي بكر ، وإمام الحرمين ، والقاضي عياض وغيرهم .

قال الإمام فخر الدين الرازي : الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على إلقاء الباطل في أثناء الوحي وكان صديق الملك سام بن محمد يقول : من جوز هذه وقال إلقاء الشيطان في أثناء الوحي في سورة النجم فقوله باطل من وجهين :

أحدهما : أن النبي ﷺ قال : «**من رآني في المنام فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[١]. فإذا لم يقدر الشيطان على أن يتمثل بصورة الرسول فكيف يقدر على التشبه بجبريل حال اشتغاله بتبليغ الوحي .

الثاني : أن النبي ﷺ قال : «**ما سلك عمر فجًا إلا سلك الشيطان فجًا آخر**»[٢]. فإذا لم يقدر الشيطان على أن يحضر مع عمر ، فكيف يقدر أن يحضر مع جبريل في موضع تبليغ وحي الله عز وجل .

الثالث : أن الملقى شيطان الإنس لقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ .

الرابع : أن التمني قد يراد به القراءة كما قاله الأكثر ، وقد يراد به حديث وهو المراد هنا ، ومعنى الآية : إلا إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه . وروي عن ابن عباس ، قال النحاس : هذا أحسن ما قيل في الآية وأعلاه وأجله .

الخامس : إن الإلقاء في قلوب الكفار عند قراءة النبي ﷺ قاله سليمان بن حرب شيخ البخاري ، فجعل في معنى هذا كقوله تعالى : ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[٣].

وقال شيخ الإسلام تقي الدين : إلقاء الشيطان قد يكون في لفظ المبلغ ، وقد يكون في سمع المبلغ ، وقد يكون في فهمه .

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (١١٠) (٥٨٤٤) ، مسلم (٢٢٦٦) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٧٤) ابن ماجه (٣٩٠١) ، أحمد (١/ ٤٠٠) (٢/ ٢٣٢ ، ٤١١ ، ٤٦٣) (٣/ ٢٦٩) ، الطيالسي (٢٤٢٠) ، اللالكائي في «إعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٦٣) (٦١٥) ، الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٩٢) (٦٠٨) كلهم من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن ماجه (٣٩٠٠) ، الترمذي (٢٢٧٦) وقال : «وفي الباب عن أبي هريرة وأبي قتادة وابن عباس وأبي سعيد وجابر وأنس وأبي مالك الأشجعي وأبي بكر وأبي جحيفة» الدارمي (٢/ ١٦٦) (٢١٣٩) ، أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٦١) (٥٢٥٠) ، الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٩٢) (٦٠٨) كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٢٦ .

الفصل التاسع عشر

في كلام الأنبياء عليهم السلام وغيرهم للشياطين

قال أبو العالية : لما رست السفينة رأى نوح عليه السلام إبليس على الكوثر ، فقال له : أهلكت الناس غرقوا من أجلك . قال : فما تأمرني ؟ قال : تتوب . قال : وهل لي من توبة ؟ ادع ربك ، فدعا نوح ربه ، فأوحى الله إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم ، فقال له نوح عليه السلام قد جعلت لك توبة . قال : وما هي ؟ قال : تسجد لقبر آدم . قال : أنا لم أسجد له حيًّا ، فكيف أسجد له ميتًا . رواه أبي الدنيا في كتاب «مكائد الشيطان»[1] .

وله عن ابن عمر قال : لقي موسى عليه السلام إبليس ، فقال : يا موسى! أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليمًا أذنبت ، وأنا أريد أن أتوب ، فاشفع لي إلى ربك أن يتوب عليَّ . قال موسى : نعم ، فدعا موسى ربه ، فقال الله له : قد قضيت حاجتك فلقي موسى عليه السلام إبليس لعنه الله ، فقال : أُمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب ، وقال : أنا لم أسجد له حيًّا أأسجد له ميتًا ؟ ثم قال إبليس : يا موسى ! إن لك عليَّ حقًّا بما شفعت لي عند ربي ، فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن ، اذكرني حين تغضب ؛ فإن وجهي في وجهك ، وعيني في عينك ، وأجري منك مجرى الدم ، واذكرني حين تلقى الزحف ، فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف ، فأذكره أهله وزوجته وولده حتى يولي ، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٤٨) .

وذكر أهل التاريخ : أن إبليس قال لنوح عليه السلام حين عرض عليه التوبة تنصحني ؟ قال : أنصحك . قال : إن عندي اثنتين وإن شئت أربعًا ، فأوحى إليه أن سله عن اثنتين ولا تسأله عن أربع ، فسأله فقال : ليس هذا من عندك لا تحسد الناس ، فإن الحسد منعني أن أسجد لآدم ، فصرت بهذه الحال ، وإياك والحرص فإن الحرص هو الذي حمل آدم على أن أكل من الشجرة وأخرج من الجنة .

ولقي عيسى ابن مريم عليه السلام إبليس لعنه الله فقال له : أسألك بالحي القيوم الذي جعل عليك اللعنة ما الذي يسل جسمك ويقطع ظهرك ؟ فضرب بنفسه الأرض ، ثم قام فقال : لولا أنك سألتني بالحي القيوم ما أخبرتك . أما الذي يقطع ظهري فصلاة الرجل في بيته نافلة وفي الجماعة ، وأما الذي يسل جسمي فصهيل الفرس في سبيل الله عز وجل .

وقال ابن عدي : حدثنا عبد المؤمن بن أحمد ، حدثنا منقر بن الحكم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كانت جنية تأتي في نساء منهم إلى النبي ﷺ ، فأبطأت عليه ، فأتت ، فقال : ما أبطاك ؟ قالت : مات لنا ميت بالهند ، فذهبت في تعزيته ، ورأيت في طريقي إبليس يصلي على صخرة ، فقلت ما حملك على أن أضللت آدم ؟ قال : دعي هذا عنك . قلت تصلي وأنت أنت ؟ قال : يا فارغة ! إني لأرجو من ربي إذا أبرَّ قسمه أن يغفر لي ، فما رأيت رسول الله ﷺ ضحك مثل ذلك اليوم(١) . هذا حديث غريب . قال ابن الجوزي هذا حديث

---

(١) حديث منكر ، لم أجده مسندًا : وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦/ ٥٢٥) ، الحافظ في «لسان الميزان» (٦/ ١٠١) في ترجمة منقر بن الحكم ، وابن القيم في «المنار المنيف» ص (٧٩) وقال : قال ابن عدي في «الكامل» حدثنا عبد المؤمن بن أحمد حدثنا منقر بن الحكم حدثنا ابن لهيعة عن أبيه عن أبي الزبير عن جابر فذكره ، وقال ابن القيم : «والله أعلم بما دس في كتب ابن لهيعة وإلا فهو أعلم بالحديث من أن يروج عليه مثل هذا الهذيان» وهذا إسناده مظلم ، فمنقر هذا لا يدري من هو ، وابن لهيعة لا يحتمل منه مثل هذا ، وأبو الزبير مدلس .

محال ، وابن لهيعة لا يوثق به .

قال مكحول أبو عثمان : كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس ، فقال لعيسى عليه السلام : ألست تؤمن بالقضاء والقدر ؟ قال عيسى عليه السلام : نعم . قال : فالق نفسك من شاهق فلا يصيبك إلا ما قدر لك ، فقال عيسى عليه السلام : «الرب يبتلي عبده ويختبره وليس للعبد أن يختبر ربه» . رواه ابن أبي الدنيا ، وعن طاووس نحوه .

وعن ابن عباس : أن الشيطان لقي عيسى عليه السلام على عتبة بيت المقدس قال : يا ملعون أخبرني ما الذي صنعت بأمة موسى ؟ قال : سولت لهم اليهودية . قال : ما تصنع بأمتي ؟ قال : آمرهم أن يتخذوك إلهًا . قال : ما تصنع بأمة محمد ؟ قال هيهات لا سبيل لي عليهم ولكن أحبب إليهم الدنانير والدراهم حتى تكون عندهم أشهى من قول لا إله إلا الله .

قال وهب بن منبه : لما ضربت الدراهم والدنانير حمله إبليس فقبله ، وقال سلاحي وقرة عيني وقرة قلبي بكما أغوي وبكما أطغي ، بكما أكفر بني آدم ، بكما يستوجب ابن آدم حبي . قال وهب بن منبه : فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله .

قال مجاهد : لما كبر اليسع عليه السلام قال : لو أني استخلف رجلا من الناس يعمل في حياتي ، حتى أنظر كيف يعمل ، فجمع الناس فقال : من يقبل لي بثلاث استخلفه ، يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب ، فقام رجل تزدريه العين ، فقال : أنا . قال : فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان ، فأعياهم الرجل ، فقال : دعوني وإياه ، فأتاه في صورة فقير حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك القائلة ، فذكر أنه اشتكى إليه من قوم ظلموه ، فقال له : إذا رجعت ائتني آخذ لك بحقك ، فلم يجئ إليه ، ثم جاء وقت القائلة قال : لِمَ لا جئت ؟ قال : إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك ، وإذا نمت جحدوني فمنعه النوم ، فدخل عليه مرة أخرى من كوة في البيت ، فقال له أعدو الله ، فقال : نعم

أعييتني في كل شئ ففعلت ما تراه لأغضبك ، فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

عن ابن عمر قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ ، فجاء رجل من أقبح الناس وجهًا وأقبحهم ثيابًا وأنتن الناس ريحًا ، والناس حلق حلق ، فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدي النبي ﷺ ، فقال : من خلقك ؟ فقال النبي ﷺ : **«الله»** قال : فمن خلق السماء ؟ قال : **«الله»** قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : **«الله»** قال فمن خلق الله ؟ فقال النبي **«سبحان الله»** وأمسك لحيته وطأطأ رأسه ، وقال الرجل فذهب فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال : **«عليَّ بالرجل»** فطلبناه ، فكأن لم يكن ، فقال رسول الله ﷺ **«هذا إبليس جاءكم ليشككم في دينكم»**[1]. رواه البيهقي في دلائل النبوة .

قال الجنيد بن محمد : رأيت إبليس يمشي في السوق عريانًا وبيده كسرة خبز يأكل ، فقلت له : ويحك تمشي في السوق عريانًا ولا تستحي من الناس ! فقال : يا أبا موسى ! وهل بقي أحد على وجه الأرض يستحي منه ، من كان يستحى منهم تحت التراب أكلهم الثرى . ذكره ابن جهضم .

وقد خنق النبي ﷺ إبليس في الصلاة حتى سال برد لعابه على يده .

قال الإمام أحمد : حدثنا سبرة بن معبد ، حدثنا أبو عبيد ، صاحب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمرَّ بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه ، فقرأ ، فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : **«لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعيَّ هاتين الإبهام والتي تليها ، ولولا دعوة أخي سليمان أصبح مربوطًا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ،**

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٢٥) ، وإسناده لا بأس به .

فمَن استطاع منكم أن لا يحول بينهُ وبين القبلة أحد فليفعل»(١) .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : رسول الله ﷺ لم يكن مستخدم الجن ، لكن دعاهم إلى الإيمان بالله ، وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم الرسالة ، وبايعهم كما فعل بالإنس ، والذي أوتيه النبي ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان ، فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضاه ، واختار أن يكون عبدًا رسولًا ، وقد سبق خبر أبي هريرة لما وكله رسول الله ﷺ بحفظ الزكاة ، فجاءه الشيطان وعلمه آية الكرسي .

وعن الفضيل بن عياض قال : جاء إبليس وموسى يناجي ربه ، فوقف قريبًا منه ، فقال له بعض الملائكة : يا ملعون ! ما الذي ترجو منه في هذا الوقت ؟ فقال ما رجوت من أبيه آدم ، فلهذا قال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾(٢). ليزول الوسواس .

قال وهب بن منبه : بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال له : إني أريد أن أنصحك ، فقال : كذبت أنت لا تنصحني ، ولكن أخبرني عن بني آدم . قال : عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة ، فيفسد علينا كل شئ أدركناه منه . ثم نعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا ، فنحن من ذلك ، وأما الصنف الآخر : فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم ، وأما الصنف الآخر : فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ ، فقال له يحيى عليه السلام : هل قدرت مني على شئ ؟ قال : لا . إلا مرة واحدة ، فإنك قدمت طعامًا تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .

أكلت أكثر مما تريد ، فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة ، كما كنت تقوم إليها . فقال يحيى : لا جرم ، لا شبعت من طعام أبدًا حتى أموت ، فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدميًّا بعدك أبدًا .

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في «الفرقان الكبير» : قد يأتي الجني إلى من هو في البرية ملكًا أو أميرًا ، وقد يكون كافرًا قد انقطع وعطش وخاف الموت ، فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام فيسلم ويطعمه ، ويقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا فلان ، كما جرى مثل هذا لي في القلعة . كنت في قلعة وجرى مثل هذا لأمير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص : أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو ، وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين رسولًا إلى مصر وأنا في الجب ، فاستعظموا ذلك ، وأنا لم أخرج من الجب ولكن كان هنا جنيًّا وهو يحبنا ، فصنع بالترك كثيرًا مثل ما كنت أصنع لهم . لما جاءوا إلى دمشق كنت أدعوهم إلى الإسلام ، فإذا نطق أحدهم الشهادتين أطعمتهم ما تيسر ، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك إكرامي ، قال لي طائفة من الناس : فلم لا يجوز أن يكون ملكًا ؟ قلت : لا لأن الملك لا يكذب ، وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك . انتهى .

وذكر ابن أبي الدنيا أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل لقيه الشيطان وهو خارج من المسجد ، فقال : تعرفني يا ابن حنظلة ؟ فقال : نعم . قال : من أنا ؟ قال : أنت الشيطان . قال : كيف علمت ذلك ؟ قال : خرجت وأنا أذكر الله فلما رأيتك تلهيت جعلت أنظر إليك ، فشغلني النظر إليك عن ذكر الله ، فعلمت أنك الشيطان . قال : صدقت ، فاحفظ عني شيئًا أعلمك . قال : لا حاجة لي به . قال : تنظر ، فإن كان خيرًا قبلت ، وإن كان شرًّا رددت . لا تسأل أحدًا غير الله سؤال رغبة ، وانظر كيف تكون إذا غضبت .

وذكر أيضًا أن إبليس قال : يا رب ! اعفني من السجود لآدم أعبدك

عبادة ما عبدكها أحد من خلقك . قال : فأوحى الله إليه إنما أطاع من حيث عصيت .

وذكر أيضًا عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها أنها قالت : بينما أن في مجلسي إذ انشق سقفي ، فهبط عليَّ منه أسود مثل الجمل لم أر مثل سواده قالت : فدنا مني يريدني قالت : وتبعته صحيفة فإذا فيها من رب عكب إلى عكب أما بعد فلا سبيل لك على المرأة الصالحة بنت الصالحين قالت : فخرج من حيث جاء ، وأنا أنظر إليه ، وكانت الصحيفة عندها .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا وهب بن جرير ، أخبرنا أبي ، عن الحسن ، عن عمار بن ياسر قال : قاتلت مع النبي ﷺ الجن والإنس قيل : فكيف قاتلت الجن ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فنزلنا منزلًا . فأخذت قربتي ودلوي لأسقي من الماء ، فقال رسول الله ﷺ : «**إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه**» فلما كنت على رأس البئر إذ جاء رجل أسود ، فقال : والله لا تستقي منها اليوم ذنوبًا واحدًا ، فأخذني ، فأخذته فصرعته ، وأخذت حجرًا فكسرت به وجهه وأنفه ، ثم ملأت قربتي ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فقال : «**هل أتاك على الماء أحد ؟**» قلت : نعم قصصت عليه القصة . قال : أتدري من هو ؟ قلت : لا . قال : «**ذاك الشيطان**»[1] .

قال أبو سعيد الخراز : رأيت إبليس في منامي وبيدي عصا ، فرفعتها حتى أضرب ، فقال لي قائل : هذا لا يفزع من العصا . قلت : من أي شيء؟ قال : من نور يكون في القلب ، وقال أبو سعيد أيضًا : رأيت إبليس في النوم على وسطه منطقة ملوية ، وهو يفر من خلفنا ، فقلت : تعال . فقال : إيش اعمل عندكم ؟ أنا أخدع الناس بالدنيا وأنتم قد تركتم الدنيا ، فمر قليلًا ، ثم رجع ، فقال لي : فيكم لطيفة ؟ فقلت : إيش هو ؟ فقال :

(١) إسناده ضعيف : رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦٤) .

صحبة الأحداث ، ثم قال أبو سعيد : ما أقل من سلم منهم .

قال إبراهيم الموصلي : أستأذنت الرشيد أن أتأخر عنه كله أسبوع يومًا ، فأذن لي أن أنفر يوم السبت ، فينما أنا في داري وحشمي وخدمي إذ أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، وبيده عكاز مقمعة بفضة ، فدخلني منه هيبة ووحشة ، فسلم أحسن سلام ، فرددت عليه وأذنته بالجلوس ، فجلس ، ثم أخذ في أحاديث الناس وأيام العرب ، حتى زال الغضب ، فقلت : أحب غلماني أن يسروني بهذا الشيخ ، فقلت لك في الطعام . قال : إني أعاف . قلت : الشراب ؟ قال : نعم فشربت وشرب ، فقال : يا أبا إسحاق ! هل لك أن تغنيني ما قدم لك عند الخاص والعام فخجلت فأخذت العود وتغنيت ، فقال : أحسنت يا إبراهيم ، ثم قال : هل لك أن تعيده ؟ فلم أجد إلى رده سبيلا ، فأخذت العود وتغنيت ، فقال : أجدت يا أبا إسحاق ! ثم تغنيت ، فقال : أحسنت يا سيدي ، ويا بقية عودي ، ثم قال أتأذن لعبدك في جسه ؟ قلت : نعم ، فدعاه فإذا هو في حجره .

ولي كبدٌ مقْروحةٌ منْ يبيعني   بها كبدًا ليست بذات قُروح
أباها على النَّاسِ لا يشترونها   ومنْ يشتري ذا علةٍ بصحيحِ

قال إبراهيم : فجاوبته الأبواب ، ثم قال : يا إبراهيم : تعلم ، ثم غاب عني ، فوثبت كالمجنون أفتش ، فأتيت النساء ، فقلت لهن : رأيتم الشيخ ؟ قلن : نعم رأيناه عندك ، وسمعنا غناءه ، فبينما أنا كذلك إذ سمعت هاتفًا يقول : كان نديمك اليوم أبو مرة يا أبا إسحاق ، فقلت : لأطرفن أمير المؤمنين بذلك فأخبرت الرشيد .

قال بعض السلف: دليل هذا قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾[1].

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٢-٢٢٣ .

الفصل العشرون

في خلق الشيطان وافتخاره بأصله

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١). رواه مسلم .

وقال تعالى حكاية عن إبليس أنه : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٢). وقد اختلف العلماء في إبليس ، هل كان من الملائكة أم لا ؟ على قولين .

أحدهما : أنه كان من الملائكة قاله ابن عباس وابن مسعود ، وسعيد بن المسيب ، واختاره الشيخ موفق الدين البغوي : هذا قول أكثر المفسرين لأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾(٣). فلولا أنه من الملائكة لما توجه الأمر بالسجود ، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصيًا ، ولما استحق اللعنة والخزي والنكال .

والقول الثاني : أنه كان من الجن ، ولم يكن من الملائكة قاله ابن عباس في رواية ، والحسن ، وقتادة ، واختاره الزمخشري ، وأبو البقاء العكبري ،

---

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٩٩٦) ، أحمد (٦/١٥٣، ١٦٨) عبد بن حميد (١٤٧٩) ، البزار (٢٤٧٥) ، ابن حبان (٦١٥٥/إحسان) ، أبو الشيخ في «العظمة» (٤) ، من حديث عائشة ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ . سورة ص ، الآية : ٧٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ . وسورة الإسراء الآية : ٦١ .

والكواشي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ (١). فهو أصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور ، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة .

قال في «الكشاف» : إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة لأن إبليس كان في صحبتهم ، وكان يعبد الله عبادتهم ، فلما أُمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : كان أبو الجن اسمه سوما ، فقال الله له : تمن؟ فقال : أتمنى أن أرى فلا أُرى ، وأن نغيب في الثرى ، وأن يصير كهلنا شابًّا ، فأعطى ذلك ، فإن الدهر يمر على إبليس فيهرمه ، ثم يصبح وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد قيل إن الجان مسخ الجن ، كما أن القردة والخنازير مسخ الإنس ، وجاء ذلك عن ابن عباس بسند لا بأس به . والقول الأول هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وصححه البغوي وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ (١). أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة . قال سعيد بن جبير : من الذين يعملون في الجنة ، وقال قوم : من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلي أهل الجنة .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن . خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي ، وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار .

قال ابن القيم : والصواب التفصيل في هذه المسألة ، وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله . كان أصله من نار ، وأصل الملائكة من نور . فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد ، وكذلك قال شيخ الإسلام تقي

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

الدين ابن تيمية في الفتاوى المصرية ، وقيل : إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنًّا لاستتارهم عن الأعين ، فإبليس كان منهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[1] . وهو قولهم الملائكة بنات الله ، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذريته . سئل الشعبي : هل لإبليس زوجة ؟ قال : فقلت إن ذلك عرس لم أشهده . قال : ثم قرأت هذه الآية ، فعلمت أنه لم يكون له ذرية إلا من زوجة ، فقلت : نعم . وقال قوم : ليس له ذرية ولا أولاد أعوانه من الشياطين .

وخرج البرقاني من حديث أبي عثمان ، عن سلمان الفارسي ، عن النبي ﷺ قال : «**لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرَّخ**»[2] . قال بعض الأئمة : إسناده صحيح ، وهذا يدل على أن له ذرية من صلبه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كان إبليس من أشراف الملائكة ومن أكرمهم قبيلة وإن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، فكان منهم وكان له سلطان في السماء ، وكان له سلطان في الأرض ، وكان يوسوس ما بين السماء والأرض فعصى فمسخه الله شيطانًا رجيمًا .

***

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٥٨ .

(٢) صحيح موقوف ، ورفعه منكر : رواه البزار (٢٥٤١) ، الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٤٨) (٦١١٨) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان مرفوعًا وفي إسناده القاسم بن يزيد بن كليب ، قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٢٦) : «قال ابن أبي سعد كان شيخ صدق من الأخيار» . ورواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥٢) (٦١٣١) ، ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٠١) وفيه يزيد بن سفيان ، قال ابن حبان : يروي عن سليمان التيمي بنسخة مقلوبة روى عنه عبيد الله لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد لكثرة خطئه ومخالفته الثقات . ورواه مسلم (٢٤٥١) وهناد في «الزهد» (٢/ ٣٥٧) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٨) (٦١١٨) عن سلمان موقوفًا وهو الصحيح .

فصل

في شرور إبليس لعنه الله

في قول الله سبحانه حكاية عن إبليس قال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (١). تتضمن أمرين : أحدهما ، افتخاره بأصله على آدم عليه السلام ، والثاني : أنه أول من عارض أمر الله بعقله ، فعارض السمع بالعقل فعارض الشرع بالعقل ، فهو ميراث عن الشيخ أبي مرة فإن الله سبحانه وتعالى لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين : أنا خير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه أنتج لا ينبغي أن يسجد له ، وهذا من الشكل الأول ، وقياس آخر هكذا خلقتني من نار وخلقته من طين والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين ، وأنتج هذا أنا خير منه ، وفي بني آدم من صوب رأي إبليس وقياسه ، فكان على هذا المذهب بشار بن برد الأعمى ، وأنشد في قصيدته الرائية :

الأرضُ مُظلمةٌ سواد مُقتمةٌ والنارُ معبودةٌ مذْ كانت النَّار
إبليسُ خيرٌ منْ أبيكُم آدمُ فتَنَبهُوا يا معشرَ الفُجارِ
إبليسُ منْ نار وآدمُ طينةٌ والأرضُ لا تَسْمو سموَّ النَّارِ

وكان بشار هذا يمدح الخليفة المهدي ، حتى وشى إليه الوزير أنه هجاه وقذفه ونسبه إلى شئ من الزندقة أنه يقول بتفضيل النار على التراب ، وعذر إبليس بترك السجود لآدم ، فأنشد : الأرض مظلمة ، فأمر المهدي بضربه ، فضرب حتى مات ، ويقال إنه غرق ، فإبليس لعنه الله بتلك النخوة والكبر ليرضى أن يصير قوادًا لكل عاص كما قال :

(١) سور الأعراف ، الآية : ١٢ .

عَجِبْتُ مِنْ إبليسَ في تمرُّده   وقُبْحِ ما أظهر من نخوته
تاهَ على آدمَ في سَجْدةٍ   وصارَ قَوَّادًا لذريَّته

ومن شره أيضًا : أنه لص سارق لأموال الناس ، فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه ، فله فيه حظ بالسرقة والخطف ، وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم الله ، فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ، ويبيت في بيوتهم بغير إذنهم ، ويدخل سارقًا ، ويخرج مغيرًا ، ويدل على عوراتهم ، فيأمر العبد بالمعصية ، ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومنامًا أنه فعل كذا وكذا ، ومن هذا يفعل العبد بالذنب لا يطلع عليه أحد ، فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبه ، ثم وسوس إلى الناس بما فعل ، فألقاه في الذنب ، ثم فضحه به ، فالرب يستره ، والشيطان يفضحه، وقلَّ من يتفطن لهذه الدقيقة ، وبشار بن برد الأعمى كان على مذهب الكاملية أتباع أبي كامل ، وهو الذي زعم أن الصحابة كفرت بأجمعها بتركها بيعة عليٍّ ، وكفَّر عليًّا بتركه قتالهم ، وكان بشار يقول ذلك ، فجمع بين مقالتين خبيثتين هذه وتصويبه لإبليس في تفضيله النار على الأرض ، وقد رد عليه صفوان الأنصاري في قصيدة له يقول فيها :

زعَمْت بأنَّ النارَ أكرمُ عُنصرًا   وفي الأرض تحيى بالحجارة والزندِ
ويخلقُ في أرجائها وأرومها   أعاجيبُ لا تحصى بخط ولا عَقدِ
وفي تلك الأجيال خلْقٌ معظَّمٌ   زُبرجدٌ أملاك الورى ساعة الحشدِ
من الذهبِ الإبريز والفضة التي   تروقُ وتضيء ذا القناعة والزهْدِ
وكلَّ مُزمنٍ نحاسٍ وآنك   ومن زيبق حر ونوشادر سندي
وفيها ضروب القار والشبِّ والمها   وأصنافُ كبريتٍ مطاولة الرفدِ
وكل مواقيت الأنام وجلها   منَ الأرض والأحجار فاخرة المجد
وفيها مقامُ الركن والحل والصفا   ومستلم الحجاج منْ جنَّة الخلدِ

أتهجوا أبا بكرٍ وتخلعُ بعدَه عليًّا وتعزو كل ذاك إلى بُرْدِ
كأنك غضبان على الدِّين كلِّه وطالب زحل لا تبيتُ على حِقْدِ
تـوائبُ أقمـارًا وأنـتَ مـشـوهٌ وأقربُ خلق الله من شُبهة القردِ

ثم أن حمادًا أخذ عجز هذا البيت ، فقال في بشار قصيدته الدالية التي يقول فيها : وما أقبح من قرد إذا عمى القرد :

والله مـا الخـنزيـرُ في قُـبْـحـهِ مـنْ ربعة بن قيس أو خشْمهِ
بلْ وجهه أحسنُ منْ وجههِ ونـفـسـه أكـرمُ مـنْ نـفـسـهِ

فكل من كان على دين الكاملية فكفره كامل ، ومن صوب إبليس في استكباره فهو منه أكفر ، كذا كان أحمد الغزالي أخو الشيخ أبي حامد العزالي المشهور صاحب التصانيف ، كان أحمد المذكور يتعصب لإبليس ويعذره حتى قال يومًا : لم يدر ذلك المسكين أن أظافير القضاء إذا حلت أدمت ، وقسى القدر إذا رمت أصمت .

وكُنَّا وليلى في صعود منَ الهوى فـلـمَّـا تـوافيْنا ثبتت وذلَّت

ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ، وهذا القياس لإبليس باطل من وجوه :

أحدها : أنه قياس في مقابلة النص .

الثاني : وقوله أنا خير منه كذب ومستند باطل ، فإنه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة المخلوق منها على المخلوق من الأخرى ، فإن من كمال قدرة الله سبحانه أن يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها ، ومحمد وإبراهيم وموسى عليهم السلام أفضل من الملائكة ، ومذهب أهل السنة أن صالح البشر أفضل من الملائكة ، وإن كانت مادتهم نورًا ومادة البشر ترابًا ، والتفضيل ليس بالمواد والأصول ، ولهذا كان العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله أفضل عند الله ممن ليس مثلهم من قريش وبني

هاشم ، وهذه المعارضة الإبليسية صارت ميراثًا في أتباعه في التقديم بالأصول والأنساب على الإيمان والتقوى كما قال بعضهم :

لَعَمْرك ما الإنْسانُ إلاَّ بدينه فلا تترك التَّقوى اتِّكالا على الحسبِ

فَقَدْ رفع الإسلام سلمانَ فارسٍ وقد وضع الشِّرك الشَّريف أبا لهب

الثالث : ظنه أن النار خير من التراب باطل ، ومستنده ما فيها من الضياء والخفة ، وما في التراب من الثقل والظلمة ونسي الشيخ النجس ما في النار من الخفة والطيش وطلب العلو والإفساد بالطبع ، حتى أن شواظًا منها لو وقع في مدينة أفسدها ، والتراب خير من النار وأفضل من وجوه : أحدها : أن طبعه السكون والرزانة ، وثانيها : أنه مادة الحيوان والنبات والأقوات والنار بخلافه ، وثالثها : أنه لا يمكن أن يعيش بدونه وبدون ما خلق منه ، ويمكنه أن يعيش برهة من الدهر بلا نار . ورابعها : أن الأرض تؤدي إليك ببركتها أضعاف ما تودعها من الحب والنوى وتغذيه لك ، والنار تفسده . وخامسها : أن الأرض مهبط الوحي ومسكن الرسل والأولياء وكفاتهم أحياء وأمواتًا ، والنار مسكن أعداء الله ، وسادسها : أن في الأرض بيته محبط الأوزار وتكفير السيئات وجالبًا لهم مطالع معاشهم ومعادهم ، وسابعها : أن النار طبعها العلو والفساد والله لا يحب المستكبرين ولا المفسدين ، والأرض طبعها الخشوع والإخبات ، ومعلم الخير من المادة الأرضية ، ومعلم الشر من المادة النارية ، وثامنها : أن النار لا تقوم بنفسها بل لابد لها من محل تقوم به لا تستغني عنه ، فهي محتاجة إلى المادة الترابية في قوامها وتأثيرها ، والأرض قائمة بنفسها . وتاسعها : أن التراب يفسد صورة النار يبطلها ويقهرها ، وإن علت عليه ، وعاشرها : أن الرحمة تنزل على النار فتقبلها وتحيي بها وتخرج زينتها وأقواتها تشكر ربها ، وتنزل على النار فتأباها وتطفئها ، فبينها وبين النار معاداة ، وبين الرحمة والأرض مؤاخاة . وحادي عشرها : أن النار تطفأ بالتكبير ، فتضمحل عند ذكر الرب ، ولهذا يهرب المخلوق منها عند الأذان ، حتى لا يسمعه ، والأرض

تبتهج بذلك وتشهد به لصاحبها يوم القيامة . وقد جاء أن الأرض تفتخر بمن يذكر الله عليها . وثاني عشرها : يكفي من فضل المخلوق على الأرض على المخلوق من النار . أن الله سبحانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء ، فهل حصل للمخلوق من النار واحدة من هذه ، فقد اطلعت على بحث شيخ القوم ورئيسهم ، فما الظن بمعارضته التلامذة ، واعلم أن كل شبهة عارضوا بها الوحي المنزل ، فعند أئمة السنة ما يبطلها من وجوه كثيرة ، كما فعل الإمام أحمد في الرد على الجهمية ، وعثمان بن سعيد الدارمي وعبد العزيز المكي و هلم جرا من عالم بعد عالم .

والحق والباطل فرسا رهان إلى يوم القيامة ، وقد جرى على الإمام أحمد من تلامذة هذا الشيخ أبي مرة وأتباعه من الجاهلين والمعاندين والمعطلين ما جرى على من قام مقامه على مر السنين ، وكذلك على الشيخ تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه .

مَضوا ومَضى ثمَّ التقوا عند ربهم ... فأخرهم للحكم يوم التَّحاكمِ

ابن رشيق القيروني :

سألتُ الأرض لِمَ جُعلتِ مصلًى ... ولِمَ كانت لنا طُهْرًا وطيبا
فقالتْ غير ناطقةٍ لأني ... حويت لكلِّ إنسانٍ حبيبا

***

الفصل الحادي والعشرون

في تحزين الشيطان لابن آدم في المنام برؤيا سيئة وأن من رأى النبي ﷺ في المنام فقد رآه حقًا فإن الشيطان لا يتمثل به

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**إذا رأى أحدكُم رُؤيا يحبُّها فإنها من الله تعالى ، فليحمد الله عليها وليحدِّث**» وفي رواية : «**فلا يحدث بها إلا لمن يحب ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي منَ الشَّيطان فليستعذ بالله من شرِّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضرُّه**»[١]. رواه البخاري .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الرؤيا من الله تعالى ، والحلم من الشيطان فمَنْ رأى شيئًا يكرهه فليتفل عن شماله ثلاثًا وليتعوذ منَ الشَّيطان فإنها لا تضره**»[٢]. متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[٣]. رواه مسلم .

---

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٦٥٨٤) ، الترمذي (٣٤٥٣) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٩٠) (٧٦٥٢) (٦/ ٢٢٣) (١٠٧٢٩) ، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٩٤) ، أحمد (٣/ ٨) ، الحاكم (٤/ ٤٣٤) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١١٨) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٨٣) (٧٦٢٧) ، الدارمي (٢/ ١٦٧) (٢١٤١) ، أحمد (٥/ ٣٠٠) ، ابن حبان (٦٠٥٨/ إحسان) كلهم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٣) حديث صحيح : رواه مسلم (٢٢٦٢) ، أبو داود (٥٠٢٢) ، أحمد (٣/ ٣٥٠) ، النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٩٠) (٧٦٥٣) (٦/ ٢٢٦) (١٠٧٤٧) ، أبو يعلى في «مسنده»=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل ثلاث مرات ثم ليقل اللهم إني أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام فإنها لا تكون شيئًا**»(١) . قال الطبري في حديث : إذا رأى ما يكره يتعوذ من الشيطان ، ومن شر الشيطان ، وليتفل عن شماله ثلاث مرات إخساء للشيطان . كما يتفل على الشئ القذر يراه أو يذكره ، ولا أقذر من الشيطان ، فأمر عليه السلام بالتفل عند ذكره ، وأما خصوصية الشمال دون اليمين فلعل طريق الشيطان إلى ابن آدم لدعائه ما يكره من قبلها .

قال الحكيم الترمذي : لأن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان فتصير قروحًا ، وكذلك رمي الجمار إنما يرمى رأس الشيطان ومطلعه حيث طلع لآدم ، ثم للخليل عليهما السلام ، فبقيت سنة ، لأن تلك الطلعة كائنة منه لكل مسلم حاج ، فإذا رمى الحاج شدخ رأسه حتى يجثي ، وإنما أمر بسبع حصيات لأنه أطلع رأسه من سبع أرضين ونفسه موثقة في سجين ، وذلك سجنه تحت الأرض السابعة ، فكل حصاة يحثى في الأرض حتى يبلغ حشاته بالحصاة السابعة الأرض السابعة السفلى إلى مستقره ، فكذلك التفلة مع تعوذك بالله يرد ما جاء به من الوسوسة ، كالنار إلى وجهه ، فيحترق ويصير قروحًا .

وعن الربيع بن خثيم أنه قص عليه رؤيا منكرة وذلك أنه أتاه آت فقال : إني رأيت في المنام كأن قائلا يقول أخبر الربيع أنه من أهل النار ، فتفل عن يساره ثلاثًا وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فرأى ذلك الرجل في الليلة الثانية كأن رجلا جاء بكلب ، فأقامه بين يديه ، وفي عنقه حبل ، وفي

= (٤/ ١٨٠) (٢٢٦٣)، عبد بن حميد (١٠٤٧) كلهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(١) لم أجده من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ ، لكن رواه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٢٤) (١٠٧٣٨) بنحوه وليس فيه « ... وليقل اللهم إني أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام فإنها لا تكون شيئًا» .

جبهته قروح ، فقال هذا ذلك الشيطان الذي أراك في منامك رؤيا الربيع ، وهذه القروح تلك التفلات الثلاث التي كانت منه ، كان عبد الله بن مسعود يجلس الربيع بن خثيم إلى جنبه ويقول : مرحبًا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين .

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني في «فتوح الغيب» : رأيت إبليس اللعين في النوم ، وأنا في جمع كثير ، فهممت بقتله ، فقال لي اللعين لعنه الله : لِمَ تقتلني وما ذنبي ؟ إن جرى القلم بالشر ، فلا أقدر أغيره إلى الخير ، وإنَ جرى القلم بالخير فلا أقدر أغيره إلى الشر ، فأي شئ بيدي ، وكانت صورته صورة الخنائي ، لين الكلام ، مسنون الوجه ، فيه طاقات شعر في ذقنه ، حقير الصورة ، ذميم الخلقة ، ثم تبسم في وجهي تبسم خجل وجل .

وحدثني عمر الوراق المقرئ صاحبي قال : رأيت إبليس في النوم وأنا أقرأ القرآن ، وهو أسود ، فقال لي : أنت من أهل النار قرأت أو لم تقرأ ، فقال لي بعض المعبرين يريد تحزينه ويصده ، وقال لي إنه رآه مرة أخرى وأنه قال له : تظن أن ما قاله هذا الرجل حق ؟ قال فرفعت صوتي وقلت كل ما قاله رسول الله ﷺ حق ثلاث مرات .

قلت : وقد رأيته في المنام ، وأنا أكتب في هذا الكتاب ، رأيته على باب جامع دمشق تحت الساعات وهو قاعد وحوله حلقة مزدحمة ، فلما جئت تقربت إليه ، فرفع رأسه وقال لي : ما الذي جاء بك إلينا ؟ فقلت له : جئت لأنكر عليك أو نحو ذلك ، فطأطأ رأسه ووضعه في حجره وخنس ، ويغلب على ظني أنه لابس زي الفرنج ، وقد جاء أنه يغتم بنوم المؤمن وهذا أحسن فإذا تحصن منه بالذكر عند النوم عجز عن وسوسته وعن تحزينه في نومه ، فيغيظه منامه لأنه إذا استيقظ ربما يتمكن منه بخلاف حالة النوم .

فصل

في رؤيا النبي ﷺ في المنام

وقد خص النبي ﷺ بأن الشيطان لا يتشبه به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ رآني في المنام فقد رآني حقًّا فإنَّ الشيطانَ لا يتمثل بي»**(١) . متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«من رآني في المنام فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»**(٢) . وفي رواية : **«أن يتمثل في صورتي»** . رواه مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ : **«من رآني في المنام فأنا الذي رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي»**(٣) . فأما ما جاء من حديث عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : **«من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ، ومن رأى أبا بكر الصديق في المنام فقد رآه فإن الشيطان لا يتمثل به»**(٤) . فإنه من رواية أحمد بن الحسن بن أبان المصري وهو غير ثقة .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) انظر «الفردوس» للديلمي (٥٩٩٠) ، «لسان الميزان» (٢/٤٠٣) والحديث لوائح الوضع بادية عليه في إسناده أحمد بن الحسن بن أبان المصري الأملي ، قال ابن عدي : كان يسرق الحديث ، وقال ابن حبان : كذاب دجال يضع الحديث على الثقات ، وقال الدارقطني : حدثونا عنه وهو كذاب .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العربي الغزي بمدينة غزة ، حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا : **«من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة»**(١) . تفرد به ابن أبي السري ، وههنا فوائد :

منها : قال الأستاذ أبو إسحاق : رؤيا المنام إدراك بأجزاء لم تحلها آفة النوم . قال رأى الرائي أنه بالمشرق وهو بالمغرب أو نحوه ، فهي أمثلة جعلها الله عز وجل دليلًا على تلك المعاني كما جعلت تلك الحروف والأصوات والرقوم والكتابة دليلا على المعاني .

قال علي رضي الله عنه : الأرواح يعرج بها في منامها ، فما رأت وهي في السماء هو الحق ، فإذا ردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء وكذبتها ، فما رأت من ذلك فهو الباطل ، فإذا رأى النبي ﷺ فهي أمثلة تضرب له بقدر حاله ، فإن كان موحدًا رآه حسنًا ، أو ملحدًا رآه قبيحًا .

قال صاحب المقاييس ، قال بعض الأمراء : رأيت البارحة النبي ﷺ في المنام أشد ما يكون من السواد ، فقلت له : ظلمت الخلق وغيرت الدين . قال النبي ﷺ : **«الظلم ظلمات يوم القيامة»**(٢) . والتغير فيك لا فيه وعنده كاتبه وصهره وولده ، فأما الكاتب ، فمات وأما الآخران ، فتنصرا ، وأما هو جعل يعتذر .

ومنها : ما تقدم أن المدرك إنما هو المثل وبه يخرج الجواب عن كون النبي

(١) رواه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٧٥) (٢٧٧) ، وفي «الأوسط» (٣/ ٢٣٨) (٣٠٢٦) وإسحاق بن إبراهيم بن الورس الغزي لم أجده في ترجمه ، ومحمد بن أبي السري العسقلاني وثق ولينه أبو حاتم وله مناكير .

(٢) روى مسلم (٢٥٧٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»** رواه البخاري (٢٣١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ﷺ يرى في الزمان الواحد في المكانين ، فإن المرئي في المكانين مثلان ، وأما المشكل أن يكون الواحد في مكانين في زمان واحد ، وأجابت الصوفيه بأنه عليه السلام كالشمس يرى في أماكن كثيرة عدة ، وهي واحدة ، وهو جواب ضعيف ، وإنما الجواب في المرئي مثله ﷺ وكذلك كل مرئي من بحر أو جبل أو آدمي إنما يرى مثاله لا هو وبه يظهر معنى قوله ﷺ : **«من رآني في المنام فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بي»** والتقدير : من رأى مثالي فقد رأى مثالي حقًّا ، فإن الشيطان لا يتمثل بمثالي ، وأن الخبر إنما شهد لعصمة المثال عن الشيطان .

نص الكرماني في كتابه «تأويل الرؤيا» أن الرسل والكتب المنزلة والملائكة والسحب ، كذلك معصومة عن تمثيل الشيطان بمثلها ، وما عدا ذلك من المثل يمكن أن يكون حقًّا ، ويمكن أن يكون من الشيطان ، وأنه تمثل بذلك المثال .

وقال الغزالي : الموجود خمس مرات ، ذاتي كالسماء والأرض ، وحسي كدارة النار ومن نقطة متحركة ، وخيالي كتصور الفرس بعد غيبتها ، وعقلي كالقدرة ، فإنها يد عقلية ، وشهي ، فرؤية النبي ﷺ في المنام من الموجود الحسي وهو ما يتمثل من القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين ، كما يرى النبي ﷺ في المنام ، فلا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة إلى موضع النائم ، بل هو علي سبيل وجود صورته في حس النائم فقط .

ومنها : قال أهل العلم : إنما تصح رؤية النبي ﷺ لأحد رجلين : أحدهما صحابي رآه يعلم صفته ، فإنه إذا رآه في المنام جزم بأنه رأى مثله المعصوم من الشيطان ، وثانيهما : رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت في نفسه صفاته ﷺ ، وأما غير هذين فلا يحصل الجزم ، بل يجوز أن يكون من تخييل الشيطان ولا يفيده قول المرئي أنا رسول الله ولا قول من يحضر هذا رسول الله ، لأن الشيطان يكذب لنفسه

ويكذب لغيره ، فلا يحصل الجزم .

فإن قيل : يشكل هذا بما قاله أهل التعبير أن الرائي يراه شابًّا وشيخًا وعلى أنواع شتى من المثل التي ليست مثاله ﷺ .

قلنا : هذه صفات الرائين وأحوالهم تظهر فيه عليه السلام ، وهو كالمرآة لهم .

ومنها : لو رآه ﷺ ، فقال : إن امرأتك طالق ثلاثًا وهو يجزم بأنه لم يطلقها هل تحرم عليه ، لأن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقًّا . تردد فيه المتأخرون من الفقهاء ، والصواب عدم التحريم ، لأن أخباره في اليقظة في شريعته المعظمة أنها مباحة راجحة على خبر النوم ، لتطرق الاحتمال للرائي بالغلط في ضبط المثال ، والغالب على الرائي عدم الضبط ، ولذلك لم يرتب العلماء على المنامات شيئًا من الأحكام ، وقد نقل القاضي عياض الإجماع عليه فيما لو رأى النبي ﷺ ، فقال له غدًا من رمضان فصم ، وعن أبي إسحاق الأسفرايني أنه حكى وجهين : في أنه لو رأى النبي ﷺ فأمره بأمر هل يجب امتثاله إذا استيقظ على وجهين .

وقال الحياطي في فتاويه لو رآه إنسان فسأله عن حكم فأفتاه بما يخالف مذهبه وليس مخالفًا لنص ولا إجماع فقال : فيه وجهان .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية : الإسرائيليات والمنامات لا يجوز أن يثبت بها حكم شرعي لا استحباب ولا غيره ، ولكن يجوز ذكره في الترغيب والترهيب فيما لو علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع ، فإنه ينفع ولا يضر ، واعتقاد موجبه قدر ثواب وعقاب يتوقف على الدليل الشرعي .

ومنها : ما جاء عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر عن عمه عن سالم عن أبيه ، أن عمر رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فأعرض عني فقلت : ما لي ؟ فقال : إنك تُقبّل وأنت صائم . قال القاضي أبو يعلى : الظاهر من حال عمر أن القبلة تحرك شهوته ، وقال أبو محمد بن حزم عن

عمر بن حزم ليس بشيء ، والشريعة لا تؤخذ بالمنامات والنبي ﷺ أفتى عمر رضي الله عنه بالإباحة في اليقظة .

ومنها : قال عبد الله بن أحمد في «المسند» : حدثنا عثمان بن شيبة ، حدثنا يونس عن أبي اليغفور العبدي ، عن أبيه ، عن مسلم بن سعيد مولى عثمان ابن عفان : أنه أعتق عشرين مملوكًا ، ودعا بسراويل ، فشدها عليه لم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت النبي ﷺ البارحة في المنام ، ورأيت أبا بكر وعمر وقالوا : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه .

ومنها : قال حصيف : رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله اختلف علينا في التشهد ، فقال : «**عليك بتشهد عبد الله بن مسعود** »[(١)]. رواه الترمذي وغيره ، وذكره غير واحد من المرجحات لتشهد ابن مسعود على غيره من التشهدات .

ومنها : قال القاضي أبو الطيب الطبري : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي يا فقيه .

ومنها : قال سعيد بن أبي عروبة ، عن عمر بن عبد العزيز : رأيت النبي ﷺ ، وأبا بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي بن أبي طالب ومعاوية ، فدخلا بيتًا وأجيف عليهما الباب ، وأنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه ، وهو يقول : قُضِيَ لي ورب الكعبة ، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية في أثره وهو يقول : غُفِرَ لي ورب الكعبة ! وقد جاء منام عمر بن عبد العزيز على وجوه متعددة مشهورة .

ومنها : منام أبي الفضل بن ناصر الحافظ شيخ الجوزي رأى النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٨١) رقم (٢٨٩) من طريق عبد الله بن المبارك عن معمر عن خصيف به .

وقال له : عليك بمذهب الشيخ أبي منصور الخياط ترجع بسبب ذلك إلى مذهب أهل السنة ، وهو منام مشهور طويل ، وقد ذكره موفق الدين في كتاب «التوابين» .

ومنها : قال لي الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل رأيت النبي ﷺ بظاهر مدينته ، فقلت له : يا رسول الله ! أنت قلت : «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1] . قال : «**نعم أنا قلته**» وقال لي أنه يعرف شيئًا إذا قرأه الإنسان عند منامه رأى النبي ﷺ ، ولم يقله لنا بخل بذلك وفاته أجر عظيم ، وقد جاء مصلاه لرؤية النبي ﷺ في المنام ، فعن ابن عباس يرفعه :

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود (١٠٤٧) (١٤٣١) ، النسائي في «الكبرى» (١/ ٥١٩) (١٦٦٦) ، وفي «المجتبى» (٣/ ٩١) ، ابن ماجه (١٦٣٦) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٥٣) ، الدارمي (١/ ٤٤٥) (١٥٧٢) ، أحمد (٤/ ٨) ، ابن أبي عاصم في «الآحادوالمثاني» (٣/ ٢١٧) ، ابن خزيمة (١٦٣٣) ، ابن حبان (٩١٠/ إحسان) وصححاه ، والحاكم (٤/ ٦٠٤) وقال : «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، والبيهقي (٣/ ٢٤٨) ، الطبراني في «الكبير» (١/ ٢١٦) (٥٨٩) ، وفي «الأوسط» (٥/ ٩٧) (٤٧٨٠) ، كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس مرفوعًا به ، ووقع عند ابن ماجه (١٠٨٥) ، البزار في «مسنده» (٣٤٨٥) «شداد بن أوس» بدل «أوس بن أوس» . من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث . . . به ، وقال البزار : «هذا الحديث بهذا اللفظ لا نعلم أحدًا يرويه إلا شداد بن أوس ولا نعلم له إلا هذا الطريق عن شداد ولا رواه إلا حسين بن علي الجعفي ، ويقال : إن عبد الرحمن بن يزيد هذا هو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، ولكن أخطأ فيه أهل الكوفة أبو أسامة والحسين الجعفي على أن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم لا نعلم روى عن أبي الأشعث وإنما قالوا ذلك لأن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ثقة وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم لين الحديث ، فكان هذا الحديث فيه كلام منكر عن النبي ﷺ فقالوا هو لعبد الرحمن بن تميم أشبه» أهـ .
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢١٢) .
ورواه ابن ماجه (١٦٣٧) من حديث أبي الدرداء بنحوه ، قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٥٨) : «رواية عبادة بن نسي عن أبي الدرداء مرسلة ، وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي منقطعة» أهـ . وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٢٨) : رواه ابن ماجه بسند جيد» .

«ما من مؤمن يصلي ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة ، وخمسًا وعشرين مرة قل هو الله أحد ، ثم يسلم ثم يقول ألف مرة اللهم صل على محمد النبي الأمي ، فإنه يراني ليلته في المنام ، وإلا فلا تتم له الجمعة القابلة حتى يراني في المنام ، ومن رآني غفر الله له الذنوب» . وهذا الحديث وضع على يعلى بن عبيد ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد اتهم به محمد بن محمد بن الأشعث على أن إسناده ظلمات ، والمتن أشد ظلمة ، وقد ذكر في كتاب الفردوس : واغتر به جماعة ممن يميل إلى التصوف ولا أصل له .

وقيل : من قرأ سورة الكوثر ألف مرة وصلى على النبي ﷺ ألف مرة رآه في المنام .

وعن الزهري : من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين ويقرأ فيهما قل هو الله أحد ألف مرة رأى النبي ﷺ في المنام .

قال عامر بن سعد البجلي : لما قتل الحسين رأيت النبي ﷺ في المنام فقال : **«إن رأيت البراء بن عازب فاقرئه مني السلام ، وأخبره أن قتلة الحسين في النار ، وإن كان الله أن يسخب أهل الأرض منهم بعذاب أليم»** قال : فأخبرت البراء ، فقال : صدق رسول الله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : **«من رآني في المنام ، فقد رآني فإن الشيطان لا يتصور بي»**[(١)] . رواه الحافظ الضياء في «المختارة» ، قال الحسن البصري : رأيت النبي في منامي ، فقال لي : «من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون» ، عن أبي عياش الزرقي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل ، وكتبت له عشر**

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤١٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : «من رآني في المنام فقد رآني إن الشيطان لا يتصور بي» قال شعبة أو لا يتشبه بي .
وإسناده صحيح . =

حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي ، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح» فرأى رجل النبي ﷺ فقال يا رسول الله ! إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكذا ، فقال : «**صدق أبو عياش**»[1]. رواه أبو داود وغيره من أهل السنن .

ومنها : عن خزيمة بن ثابت «أنه رأى في منامه أنه يقبّل النبي ﷺ ، فأخبره بذلك ، فناوله النبي ﷺ جبهته . رواه الإمام أحمد في «المسند» . وفي رواية له أنه رأى في المنام أنه يسجد على جبهة النبي ﷺ : فأتى خزيمة النبي ﷺ فحدثه فاضطجع رسول الله ﷺ ، ثم قال له صدق رؤياك فسجد على جبهته ﷺ»[2] .

ومنها : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : يا بشر ! تدري لَمَ رفعك الله على أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله ! قال : باتباعك لسنّتي ، وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار .

ومنها : قال الربيع ، قال لي الشافعي : خذ كتابي وامض به إلى أحمد ابن

= ورواه الروياني في «مسنده» (٤٣٥) من طريق يحيى بن أبي كثير حدثنا علي يكنى أبا إسحاق عن عامر بن سعد البجلي . . . فذكره .

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود (٥٠٧٧) ، النسائي في «الكبرى» (٩٨٥٥) ، ابن ماجه (٣٨٦٧) ، أحمد (٤/ ٦٠) ، الطبراني في «الكبير» (٥/ ٥١٧) (٥١٤١) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي عياش الزرقي به .

(٢) إسناده ضعيف : رواه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٨٤) (٧٦٣٠) (٧٦٣١) (٧٦٣٢) ، أحمد (٥/ ٢١٤، ٢١٦) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ١١٨) (٢٠٨٨) ، «مسند الحارث» (زوائد الهيثمي) (١/ ٣٤٧) (٢٤٣) (٢/ ٧٤٤) (٧٣٧) كلهم من طريق عمارة بن عثمان بن سهل بن حنيف يحدث عن خزيمة بن ثابت به ، وعمارة هذا لا يعرف .

حنبل وأتني بالجواب . قال الربيع : فدخلت بغداد ، فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح ، فصليت معه الفجر ، فلما انتقل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت : هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فقال أحمد : نظرت فيه قلت لا ، فكسر الخاتم وقرأ الكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع ، فقلت له : إيش فيه يا أبا عبد الله ! فقال : يذكر أنه رأى النبي ﷺ في المنام ، فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه مني السلام وقل له : أنك ستمتحن وتدعى إن القول بخلق القرآن ، فلا تجبهم يرفع الله لك علمًا إلى يوم القيامة ، فقلت : البشارة ، فخلع قميصه الذي يلي جلده ، فدفعه إليّ ، فأخذته وخرجت إلى مصر ، وأخذت جواب الكتاب وسلمته إلى الشافعي ، فقال لي : يا ربيع ! أي شيء دفع إليك ؟ فقلت القميص الذي يلي جلده ، فقال لي الشافعي ليس نفجعك فيه ، ولكن بله وادفع إلينا الماء حتى نشركك فيه .

ومنها : قال الإمام أحمد في «المسند» : حدثنا عبد الرحمن وعفان قالا ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ، فقلت يا رسول الله ! ما هذا ؟ قال : **«دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم»** قال عمار : فحفظنا ذلك ، فوجدناه قتل ذلك اليوم(١).

ومنها : رأى بعضهم النبي ﷺ في المنام ، فذكر له كتاب قوت القلوب لأبي طالب ، فقال : لا تقل قوت القلوب ، فإن قوت القلوب هو القرآن ، وقد أنكر طائفة تسمية أبي طالب هذا الاسم .

ومنها : قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها النبي ﷺ واضعًا يده على رأسه ، ورأيت أبا بكر واضعًا يده على النبي ﷺ ورأيت

(١) رواه أحمد (١/ ٢٤٢، ٢٨٣) ، عبد بن حميد في «مسنده» (٧١٠) ، الطبراني في «الكبير» (٣/ ١١٠) (٢٨٢٢) (١٢ ، ١٨٥) (١٢٨٣٧) ، الحاكم (٤/ ٤٣٩) ، كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن عمار عن ابن عباس . . . به ، وإسناده صحيح .

عمر واضعًا يده على أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعًا يده على عمر ، ورأيت دمًا دونهم ، فقيل ذا دم عثمان يطلب الله به .

ومنها : قال أبو زيد المروزي الفقيه الزاهد : كنت نائمًا بين الركن والمقام ، فرأيت النبي ﷺ ، فقال لي : «**يا أبا زيد ! إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي ؟**»فقلت : وما كتابك ؟ قال : «**جامع محمد بن إسماعيل البخاري**» ، وكان أبو زيد يرويه عن الفربري ، وهو أجل من رواه عنه .

***



الفصل الثاني والعشرون

في اجتهاد الشيطان على المؤمن عند الموت

روى أبو داود في «سننه» أن إبليس يقول لأعوانه عند الموت : عليكم به ، فإن فاتكم الآن لم تقدروا عليه .

وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله : **«لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله وبشِّروهم بالجنة فإنَّ الحليمَ منَ الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ويمتحنون وأنَّ الشيطانَ أقربُ ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع ولمعاينة ملك الموت أشدُّ من ألف ضربة بالسيف»** . رواه أبو نعيم .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حضرت وفاة أبي بيدي خرقة لأشد لحييه ، فكان يغرق ثم يفيق ، ويقول : لا بعد . لا بعد . فعل هذا مرارًا ، فقلت له : يا أبت ! أي شيء يبدو منك ؟ قال : الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول : فتني يا أحمد ، وأنا أقول لا بعد حتى أموت .

وقال ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» : حدثنا أبو جعفر الكندي ، حدثنا إبراهيم بن صيعة الأنصاري عن يحيى بن سعيد قال : لما حضرت عمرة ابنة عبد الرحمن الوفاة اجتمع عندها ناس من التابعين منهم : عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وأبو سلمة ، فبينما هم عندها ، وقد أغمي عليها إذ سمعوا نقيضًا من السقف ، فإذا ثعبان أسود قد سقط ، كأنه جذع عظيم ، فأقبل يهوى نحوها إذ سقط رق أبيض فيه مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم) من رب عكب إلى عكب ليس لك على بنات الصالحين سبيل ، فلما نظر إلى الكتاب سما حتى خرج من حيث نزل .

وقال بن أبي الدنيا : **حدثني أبي ، حدثنا أبو خالد القرشي ، عن سفيان**

الثوري ، عن رجل ، عن عطاء بن يسار قال : تبدى إبليس لرجل عند الموت ، فقال : ما نجوت منك بعد .

وحكى القرطبي في «التذكرة» عن شيخ شيخه أحمد بن محمد القرطبي أنه احتضر ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فكان يقول لا ، فلما أفاق ذكرنا له ذلك ، فقال : أتاني شيطان عن يميني وعن يساري يقول أحدهما : مت يهوديًا ، فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصرانيًا فإنه خير الأديان ، فكنت أقول لهم لا لا . أنَّي تقولان هذا ، وقد كتبت بيدي في كتاب الترمذي والنسائي عن النبي ﷺ : «**إنَّ الشيطانَ يأتي أحدَكم عندَ موته فيقولُ مُتْ يهوديًا مُتْ نصرانيًا**»[١]. قال القرطبي لم أجد هذا الحديث في كتاب الترمذي ، وأما النسائي ، فهو نسخ ، فيحتمل أن يكون في بعضها .

وقال أبو الحسن القابسي في شرح رسالة ابن أبي زيد : روي أن العبد إذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان . واحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فالذي عن يمينه على صفة أبيه ، فيقول له : يا بني ! إني كنت عليك شفيقًا ولك محبًا ، ولكن مت على دين النصرانية ، فهو خير الأديان ، والذي على شماله على صفة أمه تقول : يا بني ! إنه كان بطني لك وعاء وثديي لك سقاء وفخذي لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهودية وهو خير الأديان ، انتهى .

وقال الغزالي عند ذلك فعند هذا يزيغ الله من يريد زيغه وهو قوله : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٢]. أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل أزمانًا ، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتًا جاءته الرحمة أو جبريل عليه السلام ، فيطرد عنه الشياطين ، ويقول للمؤمن هؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الحنيفية والشريعة المحمدية ، فما شيء أحب إلى الإنسان من ذلك

---

(١) لم أجده ولا أظنه مرفوعًا ، ولعله عن بعض السلف .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨ .

الملك وهو قوله تعالى : ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(١) .

وقال بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾(٢) . قال بالسابقة . وقال السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل ما أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه .

قال منصور بن عمار : إذا مات الإنسان اقتسمه خمسة أشياء : المال للوارث ، واللحم للديدان ، والعظم للتراب ، والروح لملك الموت ، والإيمان بالله إن كان سعيدًا ، أو يخاف على أن يكون إيمانه للشيطان . وحدثني بعض أصحابي لما مرض جاءه الشيطان في زي يهودي ، فعرفه فعرض عليه دين اليهودية قال : فتعوذت بالله أو كما قال أبو الفرج بن الجوزي في «صيد الخاطر» : أوصى نفسي ومن يبلغه كلامي بالثبات عند الموت ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فما يلقى المؤمن شدة تشبهها ، وأجود للمريض أن يغوص في سكرات الموت ، فلا يعقل ونعوذ بالله من الإفاقة مع عدم الثبات .

وكان سفيان الثوري يقول : أخاف أن أفتتن عند الموت ، يشتد الأمر عليَّ فأسأل الرفق فلا أعطى فأفتتن ، ونِعْم ما قال ، فإن عوارض الفتن هناك كثيرة لا تحصى ، فربما وجد تشوقًا إلى الدنيا وانزعج لفراق محبوب ، أو ضعف عن حمل البلاء ، أو عرض الفتن ، فمال الإنسان عن التوحيد أو أعرض عن المالك ، فالله الله إذا نزل بك الموت فلا يكون لك هم إلا في تهذيب الاعتقاد والاستغفار من الذنوب ، والتوبة من الخطايا لعلك تلقاه نظيفًا .

وقد كان الجنيد يقرأ إلى أن مات ، فقيل هل : ارفق بنفسك ، فقال : الآن تطوى صحيفتي .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨ .
(٢) سورة ق ، الآية : ١٩ .

وتوفي شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو يقرأ عند الموت : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾(١).

قال ، وحكي عن بعض المشايخ أنه احتضر وهو يقرأ في قوله تعالى في سورة يس : ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾(٢). ثم توفي فخاف عليه تلامذته ، ثم دفنوه ، فخاف عليه بعض تلامذته ، فنام عند قبره ، فسمع كلام منكر ونكير وهما يقولان له : من ربك ؟ فقال تمام الآية ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾(٣). فقال الملكان : ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

قال محمد بن ثابت البناني : ذهبت ألقن أبي وهو في الموت ، فقلت يا أبت ؟ قل لا إله إلا الله ، فقال يا بني ؟ خذ عني فإني في وردي السادس أو السابع .

ووجدت حاشية بخط الوالد أبي المصنف . قال سبط ابن الجوزي : كان آخر ما تكلم به الشيخ أبو عمرو رضي الله عنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

قلت : وكذا كان والدي رحمه الله وأنا جالس عنده فقرأ عنده سورة يس فكان يقرأ معنا همهمة تفهم منه بعض الآيات إلى أن فاضت نفسه .

وقد ذكر النسائي وغيره في دعاء النبي ﷺ : «**اللهم إني أعوذ بك من الغرق والحرق وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت**»(٥).

---

(١) سورة القمر ، الآيتان : ٥٤ ، ٥٥ .
(٢) سورة يس ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) سورة يس ، الآية : ٢٥ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٣٢ .
(٥) إسناده صحيح : رواه أبو داود (١٥٥٢) ، أحمد (٣/٤٢٧) ، النسائي في «الكبرى» (٤/٤٤٣) (٧٨٦٣) ، (٤/٤٦٧) (٧٩٧٢) (٤/٤٦٨) (٧٩٧٤) ، وفي «المجتبى» =

وفي «سنن أبي داود» : كان النبي ﷺ يقول : «**اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت**»[(١)] .

مرض أبو قلابة بالشام فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده ، فقال : يا أبا قلابة ! تشدد ولا تشمت بنا المنافقين .

قال محمد بن يزيد بن خنيس : خلف وهيب بن الورد أن لا يراه الله ضاحكًا ، ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتي به رسل الله . قال : فسمعوه عند الموت يقول وفيت لي ولم أوف لك .

وقال علقمة بن مرثد : كان الأسود بن يزيد يقوم حتى يصفر ويخضر ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه بما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير ، فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيًا منه ، ولقد حج ثمانين حجة .

وقال أبو بكر بن عياش : دخلت على عاصم ، وقد احتضر ، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية يحققها كأنه في المحراب : ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[(٢)] .

وقال أهل التاريخ : كان آخر ما تكلم به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، فلما مات رؤي في المنام فقيل له : ما أوردك لسانك ؟ قال : أوردني لساني الجنة بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

= (٨/ ٢٨٢) ، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٣٦٠) (١٩١٩) ، وفي «الجهاد» (٢/ ٦٣٧) (٢٦٩) ، الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٠) (٣٨١) ، الحاكم (١/ ٧١٣) كلهم من حديث أبي اليسر رضي الله عنه مرفوعًا . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٨٢) .

(١) انظر الحديث السابق .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٦٢ .

لما كان أبو يزيد البسطامي في مرضه الذي مات فيه بكى شديدًا ، ثم ضحك ، فقيل له : لِمَ بكيت ثم ضحكت ؟ فقال : أتاني إبليس قال : يا أبا يزيد ! تموت وتخلصَ من شبكتي فبكيت ، فأتاني ملك من الله فبشرني بالجنة فضحكت .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله : «**يقوم من باب الميت صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ، فيصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع منها عظام جسده ، ويقول لجنوده : الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم ، فيقولون : هذا كان معصومًا**»(١). رواه أبو يعلى الموصلي في حديث طويل .

قال سفيان : «إن الشيطان أشد بكاء على الميت المؤمن إذا مات من بعض أهله لما فاته من افتتانه إياه في دنياه» ذكره ابن أبي الدنيا .

قيل : هذا كله يدل على أن الشيطان بعد موت المؤمن لا سبيل له عليه بعد ذلك ، وقد انقطع تسلطه على المؤمن .

وقد ورد أن النبي ﷺ قال وقد أخذ في تسوية اللحد : «**اللهم أجره من الشيطان**»(٢). وهذا يدل على أن العدو لا ينقطع طمعه عن المؤمن بالموت .

---

(١) عزاه ابن كثير في «تفسيره» إلى «أبي يعلى» من طريق ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري . . به . وقال (٢/ ٥٣٧) : «وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثًا غريبًا مطولًا . .) فذكر إسناده ومتنه .
وضرار بن عمرو ويقال عمر قال يحيى بن معين : ليس بشيء فلا يكتب حديثه وقال ابن عدي منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ذاهب متروك ، ويزيد بن أبان الرقاشي : قال أبو طالب : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا أكتب حديث يزيد الرقاشي . قلت له : فلم ترك حديثه ، لهوى كان فيه ؟ قال : لا ، ولكن كان منكر الحديث . وقال يحيى بن معين ضعيف .

(٢) حديث منكر : رواه ابن ماجه (١٥٥٣) ، الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٧٤) ، البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٥٥) كلهم من طريق حماد بن عبد الرحمن عن إدريس الأودي عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعًا به . وحماد بن عبد الرحمن ضعفه أبو حاتم وغيره ، وقال الرازي : منكر الحديث مجهول ، وقال ابن عدي : قليل الرواية .

وقال عمر بن مرة : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم .

قال سفيان : إذا سئل الميت من ربك تزيا له الشيطان في صورة ، فيشير إلى نفسه إني أنا ربك ، فعلمنا أن للشيطان هناك سبيلا .

***



الفصل الثالث والعشرون

فيما أُعد لإبليس في جهنم ورجائه المغفرة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «**أول من يكسى حلة من النار إبليس ، فيضعها على جانبيه ويسحبها من خلفه وذريته بعده وهو ينادي : يا ثبوراه ! وينادون : يا ثبورهم ، حتى يقفوا على النار فيقول : يا ثبورهم ، ويقولون يا ثبورهم ، فيقال لهم : لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا**»(١). وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «**والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه ، الأحمق في معيشته ، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه**»(٢). رواه الطبراني من رواية سعد بن غيلان ، وهو مجهول ، وقد سبق في الفصل التاسع عشر

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٣/ ١٥٢، ١٥٣ ، ٢٤٩) ، ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٥، ٢٦٣) ، عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٢٥) ، من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن أنس مرفوعًا به . وعلي بن زيد هو بن جدعان الأكثر على تضعيفه .

(٢) إسناده ضعيف ، ومتنه منكر : رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٦٨) (٣٠٢٢) من طريق سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن صلة عن زفر عن حذيفة مرفوعًا ، وسعد بن طالب أبو غيلان الشيباني قال أبو حاتم : شيخ صالح فيه ضعف وحماد بن أبي سليمان فيه ضعف وقد رُمي بالإرجاء ، وفي الحديث ما يؤيد هذه البدعة ولا يبعد أن تكون الآفة من قِبَله . ورواه في «الأوسط» (٥/ ٢٥٠) (٥٢٢٧) ، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣١٧) من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور عن حماد عن إبراهيم . . . به.

وعبد الأعلى بن أبي المساور : قال يحيى وأبو داود : ليس بشيء ، وقال ابن نمير والنسائي : متروك ، وقال الدارقطني : ضعيف . وقال البخاري : كوفي منكر الحديث ، وقال ابن عدي : وعامة أحاديثه مما لا يتابعه عليه الثقات .

أن إبليس يصلي ، وأنه قال : إني لأرجو من ربي إذا أبر قسمه أن يغفر لي .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ : «**إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدًا ينادي ويجهر : إلهي مرني أن أسجد لمن شئت . قال فيجتمع إليه زبانيته فيقولون : يا سيدهم ما هذا التضرع ؟ فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم ، وهذا الوقت المعلوم . قال : ثم تخرج دابة الأرض من الصفا من صدع في الصفا قال : فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه**»[1]. رواه الطبراني بإسناد ضعيف .

قال سفيان بن عيينة : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]. مد إبليس عنقه وقال : أنا من الشيء فنزلت . ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[3]. مدت اليهود والنصارى أعناقهم وقالوا : نحن نؤمن بالآيات ونؤدي الزكاة ، فخلصها الله تعالى من إبليس واليهود والنصارى ، فجعلها الله لهذه الأمة خاصة فقال : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[4]. الآية . وهذا دليل على أن إبليس عارف بالله كما نص عليه الإمام أحمد ، واحتج بقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[5].

وقال إسحاق : لم يكن عارفًا بالله ، ومن زعم أنه عارف بالله فقد كفر ، ولم يبلغه كلام أحمد ، ولم يبلغ أحمد كلام إسحاق .

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم في «الفتن» (١٨٤٣) (٢/ ٦٥٥) وفي إسناده ابن لهيعة فيه ضعف ، ورواه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٣٦) (٩٤) قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٨) : «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبرق وهو ضعيف» . قلت : وفيه أيضًا ابن لهيعة .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٥) سورة الحجر ، الآية : ٣٩ .

والتحقيق أنه عارف بالله في الجملة ويعرف وجود الصانع وقدرته ، لكن نسبه إلى النقص في الجملة وهو جهل منه بما يجوز على الله ويمتنع عليه ، فهو عارف بالله من وجه ، كما قال الإمام أحمد غير عارف بالله معرفة مطلقة كما قال إسحاق .

قال الحكم بن إسحاق : بلغنا أن الله تعالى ينزل مع المطر الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم ويحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت . رواه ابن جرير في قوله : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[(١)] .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أن جبريل حدثه قال : «**كل قطرة مطر تنزل من السماء موكل بها ملك من الملائكة يضعها موضعها**»[(٢)] . ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٨) من طريق ابن الجارود عن عبد العزيز بن زياد مولى عبد الله بن عامر عن أنس مرفوعًا به ، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٨/ ١٤٩) (٥٣٤) : «عبد العزيز بن زياد أرسل وروى عن أنس وروى عن قتادة روى عنه مضاء بن الجارود الدينوري قال أبو حاتم مجهول» ، ورواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ١٩) بنحوه عن الحكم بن عتيبة قوله .

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة